



جامعة النجاح الوطنية  
كلية الدراسات العليا

## أبعاد المضمون في رواية "زوريا" للكاتب "تيكوس كازانتزكي"

إعداد

صفاء تيسير أبو العلا

إشراف

د. عدوان نمر عدوان

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس - فلسطين.

2022م

## أبعاد المضمون في رواية "زوريا" للكاتب "تيكوس كازانتزكي"

إعداد

صفاء تيسير أبو العلا

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2022/02/21م، وأجيزت.

_____	د. عدوان نمر عدوان
التوقيع	المشرف الرئيسي
_____	د. معاذ عبده الله
التوقيع	الممتحن الخارجي
_____	د. خليل عودة
التوقيع	الممتحن الداخلي

## الإهداء

إلى كلّ من قرأ رواية "زوربا" وأثّرت به كما أثّرت بي

إلى من غرس في نفسي حب العلم

إلى من كساني ثوب الإيمان والنّقى، وسيرني على الثابت من الخُطا

إلى ذلك العظيم.... والدي الحبيب

إلى من أنارت دربي بالحنان وأدفأت قلبي بالإيمان

إلى من لها في القلب ما لها... أمي الحنون

إلى مصدر الإلهام والسعادة

إلى رفيق الدروب كلها زوجي العزيز

إلى قمر الحياة وشمسها إلى امتدادي على الأرض عبد الله وكفاح

إلى أخوتي وأخواتي وأزهارهم

إلى صديقاتي ومن سكن قلبي

إلى صديقتي التي استعجلت الرحيل، في عالمها الآخر، لروحها الرحمة رفاء زيدان"

أهدي عملي المتواضع

## الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى أساتذتي الأجلاء في جامعة النجاح الوطنية -قسم اللغة العربية- وأخص منهم الدكتور عدوان نمر عدوان الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة وأضفى عليها من خبرته الواسعة وتوجيهاته السديدة. وأتقدم بالشكر والتقدير إلى المناقشين الكريمين على جهودهما في إثراء هذه الرسالة. كما أتوجه بالشكر إلى كل من قدم لي مساعدة ووقف بجاني بالدعاء وتمنى لي التوفيق.

## الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

### أبعاد المضمون في رواية "زوربا" للكاتب "تيكوس كازانتزكي"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة اليه  
حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو  
بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: صفاء تيسير أبو العلا

التوقيع:

التاريخ: 2022/02/21

## فهرس المحتويات

ج	الإهداء.....
د	الشكر والتقدير .....
هـ	الإقرار.....
و	فهرس المحتويات.....
ز	الملخص .....
1	المقدمة: .....
7	الفصل الأول: البعد الاجتماعي.....
9	1.1 مجتمع كريت .....
15	1.2 مكانة المرأة.....
18	1.2.1 النساء في كريت:.....
33	1.2.2 البغايا في الرواية:.....
41	1.3 رجال الدين: .....
48	الفصل الثاني: البعد النفسي.....
50	2.1 الحرية:.....
54	2.2 البوذية:.....
58	2.3 قضية الطعام:.....
65	2.4 قضية المرأة:.....
74	2.5 قضية الأحلام: .....
79	2.6 قضية الموت.....
88	2.7 قضية الجنس:.....
103	الفصل الثالث: البعد الفلسفي.....
114	3.1 فلسفة الدين:.....
123	3.2 فلسفة الوطن:.....
132	3.3 فلسفة لغة الجسد:.....
146	3.4 فلسفة الماورائيات: .....
171	الخاتمة.....
172	قائمة المصادر والمراجع.....
B	Abstract.....

## أبعاد المضمون في رواية "زوريا" للكاتب "نيكوس كازانتزكي"

إعداد

صفاء تيسير أبو العلا

إشراف

د. عدوان نمر عدوان

### الملخص

تناولت الباحثة في هذه الدراسة الرواية العالمية المترجمة "زوريا" للكاتب "نيكوس كازانتزكي" ودرستها دراسة موضوعية من أبعادها الثلاث، الاجتماعية، والنفسي، والفلسفي.

شملت هذه الدراسة مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، تناولت الباحثة في المقدمة أهمية الدراسة وأهدافها وقدمت موجزاً لمحتواها موضحة المنهج والدراسات السابقة.

أما الفصل الأول، فتحدثت فيه الباحثة عن البعد الاجتماعي، وتكون من ثلاثة مباحث: أولاً مجتمع كريت وطبيعته، ثم مكانة المرأة في اليونان بشكل عام، وحياة النساء الكريتيات بشكل خاص، ثالثاً رجال الدين ومكانتهم في المجتمع.

أما الفصل الثاني، فناقشت فيه الباحثة الذات الإنسانية وتأثرها بفكرة أو اعتقاد -الحرية والبوذية- وأثرها على نفسية الإنسان في كل قضايا حياته، وقد تعرض هذا الفصل للعديد من القضايا، الطعام والمرأة والأحلام والموت والجنس.

أما الفصل الثالث، فاعتمدت فيه الباحثة على الفلسفة والفكر، موضحةً رأي الكاتب في قضايا متعددة كالدين والوطن ولغة الجسد والماورائيات.

**الكلمات المفتاحية:** نيكوس كازانتزكي، فيلم زوريا، أنتوني كوين، رقصة زوريا، جوائز أوسكار.

## المقدمة:

الرواية فن حديث في الساحة الأدبية، يعرض قضايا إنسانية ويتتبع أثرها وتأثيرها على الواقع، وسرعان ما انتشرت، وأصبحت من أكثر الفنون الأدبية رواجاً في العالم، وقد ساعدها على ذلك؛ التطور الذي وصل إليه العالم في مجالات الحياة جميعها وخصوصاً مجال الطباعة والنشر والإعلام، وتطور المواصلات والاتصالات، مما أسهم في خروجها من الحدود الضيقة إلى آفاق العالم شرقاً وغرباً، وقد ترجمت العديد من الأعمال الأدبية إلى معظم لغات العالم، والرواية قيد الدراسة هي إحدى الأدبية العالمية المترجمة إلى عدة لغات، ومن هنا لا بد لنا من الإشارة إلى مفهوم الأدب المترجم بإيجاز الأعمال.

يندرج تحت الأدب المترجم كل عمل أدبي نقل من لغته الأصلية التي أنتج منها إلى بقية لغات العالم؛ لما فيه من ميزات فنية وجمالية ولتناوله قضايا إنسانية مهمة، والترجمة تقوم على نقل النصوص من لغة إلى أخرى بدقة كبيرة، وبذلك نُقلت الثقافة والفكر عن طريق الأدب الروائي، وبطريقة ممتعة؛ لأن الترجمة تقوم على نقل كل كلمة في العمل الأدبي بما يقابلها من معنى بلغة الترجمة، بحيث تنتقل الأفكار ذاتها فتترجم فكر المؤلف وأسلوبه، والأدب فن يحتاج إلى إبداع في ترجمته، وحس لغوي وقدرة عالية على تقريب الثقافات للخروج بنص أدبي مترجم يعبر عن كل ما أراد المؤلف أن يتحدث به في سياقاته المختلفة<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> ينظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان: ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ، ص45.

ومن الأعمال الغربية التي كان لها صدى واسع في العالم رواية "زوربا"<sup>1</sup>، التي حوت تجارب كثيرة لا يتسنى لنا خوضها، ومعاني قيمة عن الحياة والموت والخير والشر بالإضافة إلى ذلك أنماط التفكير والفلسفة والعلاقات الاجتماعية ومكونات النفس الإنسانية.

كما عرفتنا على الهوية اليونانية وتاريخ شعبها العريق وحضارته "فلقد رأيت اليونان ولمستها وأنا أسير على قدمي حاملاً قضيباً من الزيتون في يدي وخرجا على كتفي. وفيما كانت اليونان تتغلغل أعمق فأعمق في داخلي كنت أحس من أعماقي أن الجوهر السري لأرضها وبحرها موسيقى"<sup>2</sup>.

وقد نقل لنا هذه الصورة الكاتب العالمي "نيكوس كازانتزافي"، (1883-1957)، وهو كاتب وفيلسوف يوناني، له العديد من الروايات المترجمة إلى عدة لغات حية مثل: الإغواء الأخير للمسيح، والمسيح يصلب من جديد، والحرية أو الموت.

تعد رواية "زوربا" أشهر روايات الكاتب وأكثرها نجاحاً، التي تُعدُّ أعظم ما أبدع عالمياً، رشحت للحصول على جائزة نوبل للآداب 1956م، إلا أنه خسرها بفارق صوت واحد لصالح (ألبير كامو). "فكتاب زوربا هو في جوهره رحلة بحث فلسفية من طراز رفيع، محورها الإنسان، وغايتها طرح السؤال"<sup>3</sup>.

حوت الرواية فكرة الكاتب وفلسفته الخاصة، والتي جعلت السينما تستثمرها عام 1964م في فيلم سينمائي من بطولة الممثل العالمي "أنطوني كوين" وحاز هذا الفيلم على ثلاث جوائز "أوسكار" توفي "كازانتزافي" عام 1957م وكتب على شاهد قبره "لا أمل في شيء، لا أخشى شيء، أنا حر"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوربا، ت: جورج طرابيشي، ط11، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، 2013.

<sup>2</sup> كازانتزافي، نيكوس: تقرير إلى غريكو، ت: ممدوح عدوان، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002، ص166.

<sup>3</sup> عبد الشكور، محمود: أقتعة السرد، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2016، ص153.

<sup>4</sup> يُنظر: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

هذه الفلسفة التي أثرت على كل حياته بحسب بعض النقاد "فإن أول ما ندركه هو أن هذه الأفكار قد أملت عليه أسلوب حياته كرجل قلم كما أنها تفسر حماسة كنبى، فالبرغم من أنها كانت عقلانية بحتة، فإنها لم تكن تفتقر للحبوية"<sup>1</sup>.

و"زوريا" رواية تتحدث عن رجلين يتفقدان على استثمار أموال "باسيل" في منجم فحم تحت إشراف "زوريا" وإدارته، مع اختلاف شخصيتهما، "فباسيل" الشاب الغني المنقف، و"زوريا" العجوز الفقير الأمي، ولكل منهما مزايا خاصة.

استقر الثنائي في كريت، وبدأ العمل في المنجم، وتعمقت الصداقة بين النقيضين، "باسيل" الذي لم يعرف الحياة إلا من خلال الكتب، و"زوريا" الذي يعيش الحياة بكل تفاصيلها، يحب الطبيعة والمرأة والرقص والموسيقا، يتأمل في كل شيء ويستنتقه.

ومع أن الاستثمار في منجم الفحم فشل، إلا أنه تجربة "زوريا" ومجازفته كانت ملمحاً مميزاً وفارقاً في حياة "باسيل"، وحياة كل من يقرأ الرواية.

وفي هذه الرواية درست الباحثة أبعاد المضمون فيها، فقد شدني الحماس عند قراءتها للبحث والتنقيب في النص الإبداعي واكتشاف الواقع الاجتماعي اليوناني والغوص في دهاليز الذات الإنسانية، وتحرير ملكة الفكر والفلسفة والتحليق بها، دون التطرق للصورة الفنية فيها، إلا بما يخدم القضايا الموضوعية، تماشياً مع قرارات الجامعة في دراسة الأدب المترجم، مع الإشارة إلى أن كل تعريف وتوضيح جاء في الرسالة هو خاص في الرواية فقط.

---

<sup>1</sup> ببين، بيتر: مدخل إلى كافافي، كازانتزاكيس، ريتسوس، ت: سعاد فركوع، د. طه دار منارات للنشر، عمان، 1985، ص70.

وقد اعتمدتُ على النسخة المترجمة للمترجم جورج طرابيشي، مع الإشارة إلى وجود نسخة قام بترجمتها نخبة من الأساتذة، صدرت عام 1968 عن دار إحياء التراث -بيروت، وهذه النسخة متخمة بالأخطاء الطباعية والإملائية التي تفقد القارئ شغف القراءة.

هذه الرواية لم تحظ بالاهتمام الكافي من خلال متابعتي لما كتب عنها، إذ لم تعثر الباحثة على أي دراسة أكاديمية عربية، أو رسالة ماجستير، أو دكتوراه تُعنى ب الرواية، أما المقالات، فمنها:

1. ابن نوار، بهاء: (زوريا) اليوناني بين المكتوب والمرئي، دار المنظومة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، 2009، ص77.

**108: [http:// search. Mandumah.com\ Record\598969](http://search.Mandumah.com/Record/598969)**

وقد عنيت هذه الدراسة بتلمس جماليات رقصة (زوريا) ومقارنتها مع العمل المكتوب والإجابة عن إشكاليات تتعلق بفكرة الاقتباس والتحويل.

2. أمانة، فارس حميد: (زوريا) اليوناني و(نيكوس كازنيتزاكي) وملحمة الروح والجسد، الحوار المتمدن، ع4220-2013. [www. Ahewar. Org](http://www.Ahewar.Org)

هذا المقال يسهب الحديث في حياة الكاتب وتجربته الغنية، وأهم أعماله، ويقر أن شخصية (زوريا) شخصية حقيقية التقاها الكاتب في إحدى رحلاته وكانت ملهمة له لكتابة الرواية.

3. الحاج، فوزي: عناصر الفن الروائي عند (نيكوس كازنيتزاكي)، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد السابع: ع1-1999.

يدرس الكاتب عناصر الالتقاء والتقاطعات المختلفة في رواياته بهدف تقديم رؤية فنية شاملة عنه.

4. النقر، حسن عبد الرازق: زوربا اليوناني والزين السوداني: دراسة في التقابل والتضاد، دار

المنظومة، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، 2013، ص102. [http:// search.102](http://search.mandumah.com/Reord/634707)

Mandumah. Com / Reord / 634707

وقد تناولت الدراسة أوجه الشبه والاختلاف في الروايتين عبر تحليل الشخصيتين الرئيسيتين، وتوظيفهما لتجسيد القضايا والأحداث التي تتوافق مع البيئة والزمان والمكان.

5. MARIOS STAVROS, KA.(1968). A CRITICAL ANALYSIS OF THE FILM "ZORBA THE GREEK", American University ProQuest Dissertations Publishing, University Microfilms, Inc., Ann Arbor, Michigan

عُنيت هذه الدراسة في تحويل الرواية العالمية إلى فيلم، وتأثير المؤثرات البصرية والسينمائية على العمل، ودور الممثلين في تقمص شخصيات الرواية، وخصت الممثل انطوني كوين في البحث، حيث ركزت على أداء الرقصة الشهيرة، وعرضت تضارب آراء النقاد في نجاح الفيلم عالمياً كالرواية. والاختلاف بين الدراسة وما سبق أن هذه المقالات تطرقت للرواية تطرقاً عاماً، ودرست البعد الفني لها، وتتبع رقصة (زوربا) كشكل من أشكال رقص الباليه ولم تدرس أبعاد المضمون في الرواية.

وجاءت هذه الدراسة من أجل الإجابة عن أسئلة متنوعة، منها:

- ما هي الأبعاد الموضوعية التي عبر عنها الكاتب في روايته؟
- هل استطاع الكاتب نقل أفكاره وفلسفته من خلال الشخصية الرئيسية "زوربا"؟
- كيف بدت صورة المجتمع المحلي، ومجتمع رجال الدين في كريت؟
- ما موقف الرواية من قضايا المرأة والحرية والجسد؟
- كيف أثرت فلسفة "زوربا" على "باسيل"؟

- هل وجد "زوريا" إجابة على أسئلته الفلسفية؟
- هل نجح الكاتب بتوظيف لغة الجسد (الرقص) وجعلها وسيلة اتصال وإيصال؟ وما مدى تأثير هذه اللغة في الآخرين؟

أما فيما يخص منهج الدراسة، فقد تبنت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، لاكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى، والغوص في عمق القضايا الموضوعية.

وقد نالت الدراسة من الوقت والجهد، حتى انتهت إلى ما هي عليه وجاءت على النحو التالي، مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

## الفصل الأول

### البعد الاجتماعي

الأدب صوت المجتمع وفكره وروحه\*، ومن الأسس التي تقوم عليها الحضارة الإنسانية، والتي تقام على جانب مادي وآخر معنوي، وما الأدب إلا أحد هذه الجوانب المعنوية، التي ارتقت بالمجتمع والإنسان، مُشكلاً رسالة روحية وفكرية واجتماعية خالدة لفترة معينة من حياة أي مجتمع "اعتبر الأدب مصدراً هاماً من مصادر البيانات والمعلومات والتي يتعذر الحصول عليها بالنسبة لعلماء الاجتماع من أي مصدر آخر، كانتقال وتبلور القيم والاتجاهات بالإضافة إلى بعض المعلومات المتصلة بالأعراف والعادات والتقاليد"<sup>1</sup>.

فيقع على عاتق الأدب مسئولية اجتماعية اتجاه كل فرد، فهو يجلو الواقع ويصور حياة الناس ويبرزها "الأدب يمثل الحياة، والحياة في أوسع مقاييسها حقيقة اجتماعية واقعة"<sup>2</sup>.

ويقوم البعد الاجتماعي على دراسة المضمون وتحليله في العمل الأدبي، ويهدف إلى إبراز الواقع على حقيقته دون تزييف أو تجميل، بنظرة شاملة لكل مناحي الحياة الاجتماعية فلكل عصر خصوصية تميزه وأحداث أثرت به، ولقد لاقت الرواية رواجاً بين جمهور القراء والنقاد، فكانت أرضاً خصبةً لدراسة المجتمعات وواقعها دينياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً في مجتمع ما في فترة ما "يميل

---

\* "العلاقة بين الأدب والمجتمع قائمة بالفعل، وبالقوة؛ فالأدب لا يكون أدباً إلا في ظل شروط اجتماعية محددة، فالأديب المنتج للعمل الأدبي، هو في البدء والختام فاعل اجتماعي قادم من مجتمع معين، والمتلقي المفترض لهذا المنتج الأدبي/ الاجتماعي هو فاعل اجتماعي آخر، والنسق العام الذي يحتضن هذه العملية يظل هو المجتمع بفاعلياته وأنساقه الفرعية الأخرى". الموسى، أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي، د ط، دار النهضة العربية، القاهرة، 2010، ص18.

<sup>1</sup> البديوي، محمد علي: علم اجتماع الأدب النظرية والمنهج والموضوع، د ط، دار المعرفة الجامعية، 2004، ص103.

<sup>2</sup> ويليك، رينيه: نظرية الأدب، ت: محي الدين صبحي، ط3، المجلس الأعلى للفنون والأدب، القاهرة، 1962، ص97.

علماء الاجتماع دائما إلى تفضيل الأدب الروائي، حيث إن مساحته المرجعية والتوثيقية أكثر وضوحاً...، وتعتبر الرواية وثيقة تاريخية شاهدة على العصر الذي قيلت فيه "مهمة الرواية في نظر الروائيين

إذاً عدت الرواية وثيقة تاريخية شاهدة على العصر الذي قيلت فيه "مهمة الرواية في نظر الروائيين هي تأريخ الحياة الخاصة تأريخاً صادقاً، أي تصوير سمات المجتمع وقيمه وشخصياته، وتصوير لبؤس الحياة الاجتماعية وتصوير الشخصيات المثالية والكادحة والانتهازية والمتسلقة، وتسليط الضوء على المواقف الاجتماعية التي تعبر عن التناقضات الفردية والاجتماعية"<sup>2</sup>.

وعند تحليل مضمون روائي نربط بين النص والمجتمع لاكتشاف حقيقة الواقع المعيش، ولنقل التجربة الإنسانية من منظور اجتماعي "إن المضمون يحدد الشكل، وليس هناك من مضمون إلا وكان الإنسان ذاته نقطته البؤرية"<sup>3</sup>.

وبالتالي الرواية تعكس لنا الواقع، والناقد الاجتماعي يحلل هذه الدلالات لكشف الحقائق المحتجبة في مجالات الحياة "فيستطيع الناقد دراسة الثقافة والاختلاف الثقافي بين المجتمعات، ويمكنه أيضاً دراسة الضبط الاجتماعي ومدى التزام الأفراد بالمعايير الاجتماعية مثل العادات والتقاليد والأعراف والقانون والدين، ودراسة الأسرة والعنصرية وغيرها الكثير من الأمور التي تستمد من باطن الأعمال الأدبية"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> زيماء، بير: النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع النص الأدبي. ت. عايدة لطفي، ط1. دار الفكر للدراسات. القاهرة. 1991. ص123-124.

<sup>2</sup> فرح، محمد سعيد، مصطفى خلف، علم اجتماع الأدب، ط1. دار المسيرة للنشر والتوزيع. عمان. 2009، ص50.

<sup>3</sup> لوكاتش. جورج: معنى الواقعية المعاصرة، ت أمين العيوطي، د ط، دار المعارف، مصر، 1971، ص18.

<sup>4</sup> ينظر: البدوي. محمد علي: علم اجتماع الأدب، ص104-107.

وبهذا نستطيع التعرف إلى أشكال الوعي السياسي والديني والاقتصادي التي ظهرت في رواية "كارانتزاكي" "فالاتجاه الاجتماعي يهتم بالعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تتحكم بالظاهرة الأدبية، وتلعب هذه العوامل دوراً مؤثراً في الإبداع أما الأديب فيعكس ويصور الحياة الاجتماعية في بيئته، ويدرسها مثل ما يدرس ظاهرة اجتماعية أخرى من خلال بعدين: بعد اجتماعي ينطلق من الواقع، وبعد فردي ينطلق من خياله"<sup>1</sup>.

وفي رواية زوريا سندرست الباحثة كل ما يتعلق بالواقع الاجتماعي الكريتي على مستوى المجتمع\* الكريتي والمرأة ورجال الدين.

## 1.1 مجتمع كريت

يتمسك سكان كريت بأسلوب حياتهم وطريقة معاشهم المتمثلة بالقيم الأصيلة والمرتبطة بالأرض، وقد صور لنا (كارانتزاكي) الواقع الكريتي حتى انغماسنا فيه "ف الرواية الجيدة لا تمثل الفعل الإنساني في خلاء، بل تمثله في مجتمع، ولا تمثله على المريخ، بل فوق هذا الكوكب الأرضي وفي هذه الحياة الدنيا، الرواية الجيدة تمثل الفعل الإنساني من جانب اجتماعي لا من جانب فردي"<sup>2</sup>.

كريت الجزيرة الوادعة الواسعة المتربعة في عرض البحر كعروس في أبهى حلة تشد الأنظار إليها جبالها وأشجارها وبحرها وثرواتها الطبيعية وكنوزها الدفينة، وموقعها الجغرافي المتاحم للشرق\* جعلها

<sup>1</sup> يُنظر: فرح، محمد سعيد: علم اجتماع الأدب، ص28-30.

\* "المجتمع مكون من حصيلة "تجربة" ومن مجموعة "معارف" ومن محتوى هذه المجموعات من المعارف الفكرية والروحية الموضوعية للمجتمع وتربط هذه الفكرة الأجيال الواحد بالآخر". بوتول، جاستون: تاريخ علم الاجتماع، ت: غنيم عبدون، د ط، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، --19، ص72.

<sup>2</sup> تشارلتن، ه، ب: فنون الأدب، ت: زكي نجيب محمود، د ط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1945، ص156.

\* "بالنسبة للموقع الجغرافي تواجه كريت شمالاً مداخل حوض بحر ايجيه في شرق بلاد اليونان لدرجة أن أرسطو نفسه ذكر أن الطبيعة أرادت لهذه الجزيرة أن تتحكم في بلاد اليونان كما أن الطرف الشرقي من كريت لا يبعد كثيراً عن شواطئ سوريا وبنيفيا وقد مهد لها هذا الموقع أن تكون علاقة وثيقة بحضارات الشرق الأوسط القديمة ومن ناحية الجنوب تواجه كريت ساحل أفريقيا الشمالي ولذا كانت على علاقة وثيقة بحضارة وادي النيل بل يقال أن كريت قامت بدور الوسيط بين حضارة الشرق الأوسط وحضارة وادي النيل". الناصري، سيد أحمد، الأغرقي تاريخهم وحضارتهم، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976، ص33.

عُرْضَةً للاحتلال والثورات "كنت في عام 1896 رجلاً حقاً... لكن، في تلك الفترة بالضبط أراد الشيطان أن تنشب ثورة في كريت"<sup>1</sup> فكان لها عظيم الأثر في مظاهر الحياة الاجتماعية فيها، وكان التأثير واضحاً لأول وهلة من عفوية الحياة وبساطتها والفقر الناتج عن سنوات الصراع، هذه الآفة التي لا يخلو مجتمع منها، فكانت أول الظواهر\* الملموسة التي شاهدها "زوريا" و"باسيل" عند وصولهما الجزيرة، فالصبية حفاةً في الأزقة، والمتسولة رثة الثياب، والمنازل الترابية المتلاصقة، والرجال في المقاهي والطرقات بلا عمل\*، فقد سرهم إقامة مشروع الفحم في جزيرتهم "إنك تفيد القرية، تقدم لآباء الأسر الفقراء ما يطعمون به أسرهم "البياركك الله!"<sup>2</sup>.

ومن المظاهر الاجتماعية أيضاً الكرم وحسن استقبال الضيوف، فنتسع صدورهم لهم قبل بيوتهم "إنه لعارٌ علينا، نحن الكريتيين، أن نرفع اليد على ضيف جاء إلى بلادنا"<sup>3</sup>.

ويلاحظ إقامتهم للولائم والطعام والشراب في مناسباتهم، فيلتفون حوله بألفة كبيرة ويتبادلون الأخبار والأحاديث والحكايات الشعبية المتوارثة إذ يعتقد عالم الاجتماع الفرنسي "أوجست كونت" "أن الحب الجامع الذي ينتج عن تعاطف متزايد مستمر، والذي يدفع الإنسان إلى حب أخيه، الإنسان، هو دعامة البنيان الاجتماعي كله وعلى هذه الدعامة ينمو المجتمع ويتطور ويسوده الإخاء"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص30.

\* "الظاهرة الاجتماعية: هي كل ضرب من السلوك ثابتاً كان أم غير ثابت، يمكن أن يباشر نوعاً من القهر الخارجي على الأفراد، أو هي سلوك يعمم في المجتمع بأسره وكأنه ذو وجود خاص مستقل عن الصورة التي يتشكل بها في الحالات الفردية". دور كايم، إميل: قواعد المنهج في علم الاجتماع، ت: محمود قاسم، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص68.

\* البطالة **Unemployment**: موقف يرغب فيه الفرد في الحصول على وظيفة مدفوعة الأجر ولكنه يعجز عن ذلك. وتعد البطالة فكرة أكثر تعقيداً بكثير مما تبدو للوهلة الأولى. فالشخص الذي لا يعمل ليس بالضرورة متعطلاً عن العمل، بمعنى أنه ليس لديه ما يفعله، فريات البيوت على سبيل المثال لا يتلقين أي أجر لقاء عملهن، ولكنهن يؤديين في العادة أعمالاً غاية في المشقة. غدنز، أنتوني: علم الاجتماع، ت: فايز الصباغ، ط4، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص740.

<sup>2</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص217.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص321.

<sup>4</sup> بوتول، جاستون: تاريخ علم الاجتماع، ص75.

وكان من عادة أبناء المجتمع إطلاق الألقاب وتتبع العثرات، التي تكون وليدة الموقف أو نتاج خبرة أو عمل، ويمكن أن تعكس لنا الهوية الاجتماعية للفرد مثل (السيد، الأرملة، العاهرات)، أو الهوية الدينية مثل (الكاهن، الراهب، رئيس الدير)، أو الهوية الثقافية مثل (المعلم، الفأر قارض الكتب) أو الهوية المهنية مثل (مجرفة الفرن، الكابتن، النائحة) أو الهوية القومية مثل (تركي، سلافيات)، والهدف منها توضيح المكانة الاجتماعية لصاحبها، أو التتمر والضحك والسخرية 'فما إن يقع نظرهم عليك ويجدون فيك عيباً، حتى يلصقوا بك لقباً... وستجري ككلب علققت في ذنبه قدر'<sup>1</sup>.

والواضح أن المجتمع الكريتي "أبوي ذكوري" قائم على التعصب لجنس الرجال \* "كل ما يحيط بك يدل على سيطرة الأب"<sup>2</sup> يخضع له الزوجة والأطفال، ويعدّهم من ممتلكاته، يتحكم ويتسلط عليهم، مع سلب لحقوق المرأة وتهميش لدورها -وستتحدث الباحثة عن جزء خاص عن المرأة الكريتيّة- وكان ما يشغل هذا المجتمع قضايا الشرف والعار وظهر ذلك بقول زوريا: "في اليونان... ما إن تلمس امرأة حتى يخرج أخوها سكينه ليفرم لحمك كما تفرم النقانق"<sup>3</sup> والثأر الذي طالب به مافراندونى بشدة "إن دم ابن عمك يصرخ، امنحه الراحة!"<sup>4</sup>.

كما تصور الرواية شباب كريتي بقلوبهم النابضة المفعمة بالحوية، ودم الإغريق يجري في عروقهم، ويدفعهم الأمل والحب والرقص والغناء "الشبان والصبايا يرقصون تحت الأشجار ذات الأوراق

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص38.

\* النظام الأبوي Patriarchy: يشير إلى النظام الذي اشتق تاريخياً من القانون اليوناني والروماني، الذي كان رب الأسرة فيه سلطة قانونية واقتصادية مطلقة على أعضاء أسرته من الإناث والذكور.

التعصب الجنسي Sexism: يعرف إيديولوجياً السيادة الذكرية، وتفوق الذكر ومعتقداته التي تدعمها وتغذيها. إن التعصب الجنسي والنظام الأبوي يقوي أحدهما الآخر على نحو متبادل. اليرنر، غيره: نشأة النظام الأبوي، ت: أسامة إسبير، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2013، ص450-451.

<sup>2</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص76.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص110.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص311.

الجاثية... سيرقصون أيضا ألوف السنين"<sup>1</sup>، منهم البسيط سليم النية الذي أثار المسرح دهشته فقال: "كان المسرح عبارة عن مقهى كبير، مستدير، وكأنه حظيرة، ممتلئ بالناس"<sup>2</sup> وخطط للهرب منه فرعا، ومنهم "ميمتو" الأبله الذي جمع بين الغباء والدهاء، يتعاطف معه الناس ويسخرون منه "فلكل قرية عبيطها، وإذا لم يكن فيها أحد، فإنهم يصنعون واحدا لتمضية الوقت"<sup>3</sup>.

والمعروف أن المظهر الخارجي للإنسان، يعطي الانطباع الأولي عن شخصيته، "لنظهر بمظهر رجال الأعمال الجديين: أنا الرئيس وأنت المشرف على العمال"<sup>4</sup>، ويمكن أن يُخدع الإنسان بالمظاهر الكاذبة والزائفة، لكنها مهمة من أجل المكانة الاجتماعية والهيبة، "لنخرج الياقات الاصطناعية وربطات العنق! لنخرج الأفتعة الجلدية! لا يهم ألا يكون للإنسان رأس، يكفي أن تكون عنده قبعة. أيها الرئيس، إن العالم يستحق أن نبصق عليه"<sup>5</sup>.

أما شخصية "باسيل" الغارق في كتبه؛ فقد كان شديد الملاحظة للروائح الاجتماعية التي بدت جديدة عليه، فرائحة العرق والقيء والكولونيا والشفاه الشاحبة والوجوه المصفرة التي وصفها: "كان الجو عبقا بالعفونة البشرية"<sup>6</sup>، وهو شديد الحماس للعلاقة بالعمل والعمال "المعرفة المادة الإنسانية التي سقطت بين يدي ولمحبتها، وللإحساس بالفرح الذي طالما تمنيته، فرح العمل مع بشر أحياء لا مع كلمات"<sup>7</sup>، وقد نادى بالمساواة مع العمال ومشاركتهم الطعام والشراب كالإخوة والاندماج معهم في المجتمع إلا أنّ زوريا عارضه من أجل مصلحة العمل؛ "فزوريا" الذي يمقت الشكليات والأسس

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 309.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 124.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 126.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 157.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 290.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 7.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص 70.

والقواعد التي وضعها المجتمع، والقيود التي تفرضها العلاقات الاجتماعية على صعيد الأسرة والأولاد، وعلى صعيد الأفراد؛ فهو يرى الفساد في الأعيان والسادة، فيقول واصفاً أخاه "إنه رجل خبيء النفس، عاقل، متدين، مراب، مرأى، رجل كما يجب، من أعمدة المجتمع"<sup>1</sup>.

وكان "زوريا" يملك حدساً قوياً؛ يجعله يميز الرجل الخبيث من الطيب؛ فعندما ينظر إلى وجوه الناس يستطيع أن يحكم عليهم، ويعرف كيف يكسبهم إلى صفه ويظهر ذلك في هذا النص: "من الشكل الذي رأيتك جالسا به في زاوية المقهى، مطمئنا، متحفظا.... لست أدري قلت في نفسي إنك تحب الحساء"<sup>2</sup>، وبسبب الضغوط الاجتماعية هاجر "كاراياتيس" الكريتي الأصل إلى أفريقيا، بلاد الذهب والحرية، وأصر على أنه لن يضع قدمه ثانية في اليونان وسيكتب على شاهد قبره "هنا يرقد يوناني يكره اليونانيين"<sup>3</sup>.

وهجرها إلى غير عودة المتيم "بافلي"، أسلم روحه للبحر منتحرا -مع أنّ الانتحار مشكلة نفسية- لكن "اعتبر الانتحار ظاهرة اجتماعية، دالة على طبيعة الأخلاق السائدة في مجتمع معين، فسلطة المجتمع على الفرد تلعب دوراً أساسياً في عملية الانتحار"<sup>4</sup> أراد الخلاص من دوامة الحياة "فألقي بنفسه بشجاعة في البحر ليطفئ ألمه"<sup>5</sup>، لقي ما لقيه بسبب الحب، فأنقذ نفسه ونأى بها عن كريت واليونان والعالم أجمع.

وقد أثار موت الشاب "بافلي" -ابن أحد أعيان البلدة- أسى وأسف الكريتيين جميعاً، وهنا نلاحظ المفارقة الغريبة بين موكب جنازة "بافلي" المهيب وحزن الأهالي عليه وتفطر قلوبهم ألماً على فراقه

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 90.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 346.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 178.

<sup>4</sup> كمال، طارق: أساسيات في علم الاجتماع الديني، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2018، ص 149.

<sup>5</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 209.

"كانت النساء يعولن ويخدشن وجوههن ويشددن شعورهن"<sup>1</sup> وموكب السيدة "هورتانس" البائس، كان يتبعه السكارى والمغنون والراقصون حتى أنهم لم يحضروا لها الكاهن لأنها كاثوليكية، كانوا "ينظرون إليها، وهي تموت، بفرح وحشي، وكأنها لم تكن، هي أيضا، مخلوقا بشريا"<sup>2</sup>.

هذا التباين الذي وضعنا فيه "كازانتزاكي" مريب، كيف أن النفس الإنسانية لا تلقى نفس الاحترام والتقدير حال الموت، ما المقياس الذي استخدمه الكريتيون في ضبط مشاعرهم؟ إن "بافلي" شاب و"هورتانس" عجوز؟ أم أن "بافلي" كريتي الأصل؟ و"هورتانس" فرنسية غريبة؟ لكن مصير الفتاة الكريتيّة الشابة ابنة أحد أثرياء كريت التي وجدت مُنتنة هي وعشيقها تحت التينة لم تثر بهم الحسرة والحرقة مع أنها شابة كريتيّة.

هذه الازدواجية نجدها أيضا عندما أقام الكريتيون احتفالات العيد "كان الرقص الفصحي يبلغ ذروته"<sup>3</sup> والغناء والطعام ومظاهر السعادة تملو وجوه الرجال والنساء والأطفال "كانت الريح تحمل إلينا ألحان القيثارة الكريتيّة، والقرية تضج كخلية نحل في الربيع"<sup>4</sup> وبين غمضة عين وانتباهتها انقلبوا جميعا، العيون الفرحة أصبحت تقدح شرراً، والوجوه المبهجة تشتت غضباً، والشفاة الضاحكة تعطشت للدماء، لقد أجمعوا على قتل الأرملة تحولوا إلى سفاحين، قضاة ينفذون القصاص على ضحية بريئة، الدائرة التي كانت من دقائق متلاصقة الأيدي للرقص أصبحت تحيط بالأرملة وتحاصرهما، وضافت الدائرة...!!

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص208.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص331.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص308.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص295.

## 1.2 مكانة المرأة

ارتبطت مكانة المرأة في المجتمع بعلاقتها مع الرجل، هذه العلاقة القائمة على حقوق وواجبات، تترجم على أرض الواقع من خلال قوانين المجتمع وسلوكيات أفرادها، وتتطور هذه العلاقة، وتترسخ في وعي الإنسان وتصبح جزءاً أصيلاً من معتقداته وإيمانه.

تختلف طبيعة هذه العلاقة حسب الزمان والمكان، فقد تفاوتت مكانة المرأة الاجتماعية في اللاوعي الجمعي\* الذي تراكم عبر العصور، ومع أن لكل عصر ما يميزه ويفرده به، إلا أن همجية الرجل وسطوته على المرأة في المجتمع الأبوي كانت الأبرز، والشائع تحت ذريعة عدم الأهلية والضعف وقضايا الشرف وقيود اجتماعية أخرى جعلتها تحت تبعات الوصاية الذكورية.

هذه الهيمنة التي امتازت بالثبات والقوة جعلت المرأة مقصية\* ومعزولة ومهمشة، وحُدِّد دورها في إطار الأسرة ومحيطها، وأعظم إنجاز لها تستحق عليه البقاء هو الإنتاج لتأمين بقاء النوع البشري، وهي بعيدة كل البعد عن القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ولا يحق لها المشاركة فيها، "المرأة ضحية آثار التنظيمات القديمة والخرافات البدائية التي لا تستند إلى أي منطق أو أي تفكير سليم"<sup>1</sup>.

وضع المرأة البائس لم يكن بعيداً عن اليونان، صاحبة التاريخ العريق وبلد الحضارة والثقافة والفلسفة والفنون والأدب، "فمن الحقائق المعترف بها أن المجتمع اليوناني القديم كان مجتمعاً "رجولياً" في كل شيء، وكانت المرأة فيه تعيش على الهامش، فهي من الوجهة الاقتصادية تعتمد على الرجل

---

\* لا شعور جمعي **Collective Unconscious**: شكل من أشكال اللاشعور وضع تصوره يونج وأعدّه متميزاً عن اللاشعور الشخصي. والجزء الجمعي من اللاشعور لا يتضمن المحتوى الخاص من أنا الفرد، لكنه يمثل الميراث الروحي منه وتطور الإنسانية ويعاد ميلاده داخل بناء مخ كل فرد. طه، فرج عبد القادر وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي، ط1، دار النهضة العربية، 1989، ص383.

\* **الإقصاء الاجتماعي Social Exclusion**: المحصلة النهائية لأشكال متعددة من الحرمان التي تحول بين الأفراد والجماعات وبين المشاركة الكاملة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية في المجتمعات التي يعيشون فيها. غدنز، أنتوني: علم الاجتماع، ص738.  
<sup>1</sup> بوتول، جاستون: تاريخ علم الاجتماع، ص81.

اعتمادا تاما، ولم يسمح لها بممارسة أي عمل مستقل، ومن الناحية الثقافية كانت محرومة من فرص التعليم<sup>1</sup>.

وهذا ما يثير الغرابة، فكل ما توصل له اليونان لم يشمل المرأة، ولم يكن لها دور فيه غير أنها أنجبت الذكور، وهيات لهم سبل الراحة كي يقيموا الحضارة، فقد كان ينظر إلى الزوجة على أنها ذات "وظيفة في استيلاء الأطفال، لا تعلق كثيرا عن وظيفة الخدم في البيوت، ولم يكن من الأوضاع المألوفة أن تكون الزوجة موضع حب أو عاطفة"<sup>2</sup>؛ فكانت أداة مستهلكة لتحقيق أهدافهم، مستغلين ضعفها وجهلها بحقوقها.

حتى محاولة الدين انتشار المرأة من سجن وعبودية الرجل، وتحرير المسكوت عنه من حقوق ورد كرامتها لها، في أقل الصور باعت بالفشل "فالخلفية الثقافية والبيئة الاجتماعية التي ظهرت فيها المسيحية هي التي طغت، وسيطرت، وأتت الأفكار الجديدة التي أتت بها الديانة الوليدة، وهكذا توالت هذه الأفكار - رغم أنها دينية- لتعاود الكراهية الاجتماعية المتأصلة للمرأة"<sup>3</sup> هذه الكراهية واجهتها أيضا من القساوسة ورجال الدين، فقد زعموا أنها "خلقت المرأة من قرون الشيطان"<sup>4</sup>، وهي أصل الخطيئة ومصدر الغواية وبوابة الشيطان، شباكه وحبائله، توقع الرجال في الجحيم، وعدوها "شراً لا بد منه، وإغواء طبيعياً، وكارثة مرغوباً فيها، وخطراً منزلياً وفتنة مهلكة، وشراً عليه طلاء... فحواء هي التي خسرت بها الجنس البشري جنات عدن"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> جمهورية أفلاطون. دراسة وترجمة. فؤاد زكريا، د.ط، دار الوفاء لعنوا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص105.

<sup>2</sup> الخولي، البهي: المرأة بين البيت والمجتمع، ط3، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1965، ص14.

<sup>3</sup> إمام، إمام عبد الفتاح: الفيلسوف المسيحي والمرأة، ط1، القاهرة، مكتبة مديولي، 1996، ص46.

<sup>4</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص169.

<sup>5</sup> إمام، إمام عبد الفتاح: الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص144.

والمستهجن هنا كيف استطاعوا الجمع بين طبيعة المرأة الضعيفة جسماً وعقلياً وقدرتها الرهيبة في إغواء الرجال، ومحاولتهم تصوير الرجل بأنه مثال النزاهة والعفة والنقاء والقدسية، ولولا المرأة ما سُحب للجحيم، وقالوا فيها "إنها المرأة أيضا التي سرقت تفاح الفردوس، وخبأته في صدرها، وهي الآن تتبختر به متباهية، إنها الطاعون! ولو أكلت من تلك التفاحات، أيها الشقي، لهلكت. وإذا لم تأكل، فإنك هالك أيضا"<sup>1</sup>.

وقد تقبلت النساء هذا الوضع وأصبحت هذه القناعات متجذرة في الغالبية النسائية، فأمنَّ بها، وأيقنَّ أنهن مسيرات لا مخيرات، "تَبَّي المرأة لسلوكية، ونظرة إلى الوجود تتمشى مع القهر الذي فرض عليها، وتبرره جاعلةً منه جزءاً من طبيعة المرأة. وبذلك فهي تقاوم تحررها، وترسخ البنى التسلطية المختلفة التي فرضت عليها"<sup>2</sup> ويبدو أنهن تعرضن لعملية غسل دماغ فلا تفسير لهذا الخنوع والرضوخ والتدجين الذي كان يمارس بحقهن برضى وقبول، فهو حكم تقبله "النساء طواعية، ويشتركن فيه بإرادتهن بغير شكوى أو تدمير وإن كان هناك عدد كبير من النساء لا يقبلن به"<sup>3</sup>.

وبالمجمل كانت المرأة اليونانية وليدة قدر اجتماعي معقد وصعب، عاشت حياتها في الظل ونُظر إليها نظرة دونية، تتحمل خطيئة إخراج آدم من الجنة، ويناط لها أدوار محددة ومعينة في الحياة، يحاصرها من الداخل والخارج شبكة محكمة من القوانين التي يحكمها الدين والعرف والعادات والتقاليد.

ولأن المرأة نصف المجتمع، والمجتمع يرتسم بها، سنجلّي صورتها في الرواية:

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 169.

<sup>2</sup> حجازي، مصطفى: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1976، ص 39.

<sup>3</sup> مل، جون ستيرورات: استعباد النساء، ت: إمام عبد الفتاح، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998، ص 51.

## 1.2.1 النساء في كريت:

كما أسلفنا فالمجتمع الكريتي مجتمع ذكوري، "الرجال في المقدمة، وفي الخلف النساء"<sup>1</sup>، فأن تكون ذكرا كريتيا فهذا يعطيك امتيازات اجتماعية واسعة، ولتجر أذيال الخيبة كل أنثى كريتية من صغرها إلى آخر يوم في عمرها، فهي تنبى منذ نعومة أظافرها على الصمت والطاعة والعفة، لا تتفاعل مع المجتمع الخارجي إلا نادرا ومن خلال وصي، لا خيار لها في الحب والزواج، تنتقل من ملكية الأب إلى ملكية الزوج؛ "فحتى بنات الطبقات الراقية انحصرت أعمالهن في وظيفة واحدة أن يكن زوجات وفيات مدبرات، وليس لهن أدنى اهتمام بتلك المجالات التي تعتبر في نظر الرجال هامة"<sup>2</sup>، وعلاقة الزواج هذه قائمة على التفاوت والتفاضل بين الزوجين، ونظرة نفعية هدفها الإنجاب وامتلاك العائلة: "فالعناية بالأطفال والزوجة إنما هي عناية بهم من حيث إنهم ممتلكات الرجل ومصالحه، وتتشكل سعادتهم الفردية من كل جانب طبقاً لأهوائه"<sup>3</sup>.

وللزوج حرية التصرف بهم، بما يراه يناسب فكره وهواه، دون أن تحاوره أو تناقشه في قراراته، "فإن واجبها أن تخشاه، وأن تهابه، وأن تحترمه، وأن تسره، وأن تسعده هو وحده، كما أن عليها أن تتحلى بالصمت الذي وصفه اليونانيون من قبل تاج المرأة وزينتها"<sup>4</sup>، وهذا ما كان جليا في الرواية عندما أراد العم "أنايوسي" أن يصف كم هو محظوظ وسعيد في زواجه، قال: "وقعت في حب امرأة طيبة ومطبعة، لم تكن لتقدم لي إلا الذكور. لم أرها في حياتي ترفع عينيها لتتنظر في وجهي"<sup>5</sup>، ونلاحظ هنا أيضا تفضيل الذكور على الإناث، فالذكر يحمل اسم العائلة ويقوم بالاهتمام بأملك

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 149.

<sup>2</sup> إمام، إمام عبد الفتاح: أفلاطون والمرأة، ط2، مكتبة مديولي، القاهرة، 1996، ص 35.

<sup>3</sup> مل، جون سنيوارت: استعباد النساء، ص 82.

<sup>4</sup> إمام، إمام عبد الفتاح: الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص 82.

<sup>5</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 209.

الأسرة ويحميها، فتنقل جيلا بعد جيل ويتوارثها أبناء العائلة الواحدة، وعلى عاتقه وحده تقوم الحضارة وتزدهر الدولة، ولا مكان للإناث هنا "كأن الأقدار قد أرادت أن تدحض حجة القائلين أن ثمة ارتباطا بين مستوى الحضارة في بلد ما ومركز المرأة فيه"<sup>1</sup>؛ فحياة الزوجة مكرسة للزوج والبيت والكثير من الأولاد، منهكة من الأعمال المنزلية الكثيرة، مغموعة عاطفيا ونفسيا، "فلو أن المرأة تدبرت عقد الزواج لوجدت أنه صورة قانونية لشكل من أشكال امتلاك الرقيق"<sup>2</sup>.

وقد جاء في الرواية على لسان "باسيل" الذي كان يرى "أن قضية تحرير المرأة قضية رئيسية لتقدم الإنسانية، وهي تقف على قدم المساواة مع قضية الطبقات المظلومة"<sup>3</sup>. منتقدا واقع المرأة الكريتيية: "كانت امرأته تقف أمامه، منتظرة الأوامر، ككلب مطيع"<sup>4</sup>، وفي موضع آخر من الرواية رصد "باسيل" كيف تنكش المرأة حول نفسها وتخفي أدق مشاعرها، وتحبس دموعها، حينما وجه لها زوجها امتهاننا واحتقارا ضمنيا في كلامه: "في تلك اللحظة أطلقت العجوز خلفنا، دمدمة مكبوتة مثل كلب شرس تقيدته سلسلته لكنها لم تتفوه بحرف"<sup>5</sup>.

ومن شدة عُجْهِية الرجل الكريتي وتحيزه لأبناء جنسه خاف من غضب العذراء المقدسة، وأن تنزل عقابها عليه فقال: "كانت تستطيع أن تجعلني أعمى أو أبله، أو أحذب، أو كانت تستطيع -ليحفظني الله!- أن تجعلني بنتا"<sup>6</sup>، وكأن العذراء القديسة لم تكن بنتنا أيضا!!

إذاً كان شغل المرأة الكريتيية الشامل منزلها وأطفالها؛ فهي لم تلق الحب والعناية عند الزوج الذي لم ينظر إليها كرفيقة درب، وإنما مدبرة منزل ومربية أطفال، والملاحظ أنها لم تحظ بأي نوع من العناية

<sup>1</sup> علي، سعيد إسماعيل: التربية في الحضارة اليونانية، د.ط، عالم الكتب، القاهرة، 1995، ص54.

<sup>2</sup> إمام، إمام، عبد الفتاح: الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص80.

<sup>3</sup> بوتول، جاستون: تاريخ علم الاجتماع، ص80.

<sup>4</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص82.

<sup>5</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص219.

<sup>6</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص79.

والتأهيل وتطوير الذات، فلا تعليم، ولا حرية عمل أو تنقل أو اختيار، وربما كان هذا من تبعات الحرب والاستعمار وآثارهما، ومن آثارها أيضاً خوف الفتيات الصغيرات الدفين من الغرباء لما رسخ في أذهانهن من تعرض النساء للاغتصاب وأخذهن وبيعهن في بلاد بعيدة<sup>1</sup>، فتشكل لديهن رد فعل لا شعوري "ملتصقات ببعضهن ببعض، وكأنهن يردن تشكيل سد لا يمكن تخطيه حركات أكيدة، كان لا بد منها في القرون الماضية، تعود اليوم للظهور دون سبب، حسب إيقاع الضرورة التي اختفت"<sup>2</sup>.

والرواية وصفت لنا الواقع الكرمني للمرأة ولم يكن هناك إلا محاولة وحيدة يتيمة قام بها باسيل للوقوف في وجه المجتمع؛ فقد عانى من صراع القيم الثقافية، فكل ما ورد في كتبه فشل في تطبيقه على أرض الواقع، وقد أفتعه زوربا بعدم جدوى ذلك؛ لأن هذا يثير المعارك فقط، ربما في مكان وزمان آخرين يصلح هذا وقال له: "الدجاجة تريد أن تصبح ديكاً، ولن يبقى في المنزل إلا مناقير تتشابك.. دع الناس مطمئنين، أيها الرئيس، لا تفتح أعينهم إذا فتحت أعينهم، ماذا سيرون؟ يؤسهم! دعهم مستمرين في أحلامهم..."<sup>3</sup>، وعلى ما يبدو فإن "باسيل" أراد أن يهب المرأة حقوقها، ويسلب الرجل أملاكه دون أن يهيء المرأة والمجتمع لتقبل ذلك، وهذا ما حدث في واقعنا عندما أعطيت المرأة حقوقها دفعة واحدة ومسؤوليات لم تكن مؤهلة لها لا علمياً ولا عملياً، ففشلت واتهمت بأنها لا تستطيع العيش إلا في كنف الرجل.

كما وتلاحظ الباحثة أن حياة المرأة اليونانية ومعاناتها تتوافق مع حياة النساء العربيات في المجتمع الذكوري وسلطة الدين والمعتقدات مع اختلاف في طبيعة الحياة.

<sup>1</sup> ينظر: كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص45.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص46.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص82.

كانت المرأة الكريتيّة شديدة القرب من الله، وعدت العبادة والقداسة وأداء الصلاة والصوم وإيقاد الشموع والتقرب بالقرابين ركناً مهماً في حياتها، وزيارة الكنيسة والاستماع للأناشيد وحفظها والمشاركة في الأعياد والمناسبات الدينية من أهم أولوياتها، "ظهرت الأرملة على عتبة الكنيسة، وقد عصبت رأسها بمنديل أسود، ورسمت إشارة الصليب"<sup>1</sup>، كانت تذهب هناك تشكو همومها وتبث حزنها إلى السيدة العذراء متخذة منها القدوة والقوة وكي تجدد الأمل في الحياة.

وكان من اهتمامات المرأة الكريتيّة أيضاً جمالها وإبراز حسننها، ولكن بالحدود الاجتماعية المسموحة، والإمكانات المادية الضيقة؛ فلا يسمح لها المغالاة بالأمور الدنيوية الزائلة اجتماعياً ودينياً، "لا بد أن تكون هناك سيطرة على رأسها، وهو ما يمثله الحجاب الذي يعني أن هذه الرأس لا بد أن يضبط، وخوفاً على مجتمع الذكور من فتنها"<sup>2</sup>.

فالمرأة الهيفاء الممشوقة تجذب الأنظار أولاً، "لقد كانت في ذلك الوقت صبية شابة تقفز كالسمكة، كانوا يدعونها الحسنة ذات الحاجبين الطويلين، وكانت تستحق لقبها هذا، الخبيثة!"<sup>3</sup>، وليس صعباً على قارئ الرواية أن يستخرج القواعد الجمالية الاجتماعية في كريت، فتلك صاحبة جسد مثير وصلب، والأخرى لها ردفان متمايلان، ونساء مكتنزات وذات بشرة فاتحة يمثلن طبقة ووضعاً اجتماعياً أعلى من النحيفات السمراوات اللواتي يعملن في الحقول والمزارع، وقد تنوعت أزياء النساء وملابسها حسب أوضاعهن وأعمارهن، فكانت الملابس الملونة والمزركشة والقاتمة، وارتدين التنانير الواسعة والقمصان الضيقة ومشدات للخصور، وفساتين طويلة وقصيرة، وقبعات وشرايط وأساور وحلقات ودبابيس للشعر، كن يتفنن في تصفيف شعرهن الطويل، بجداول جذابة ولافتة، أو بتركه منسدلاً

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 310.

<sup>2</sup> إمام، إمام عبد الفتاح: الفيلسوف المسيحي والمرأة، ص 119.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 219.

كأشعة الشمس الذهبية، ولأن جمال المرأة وأنوثتها وجاذبيتها يكمن في جمال شعرها، اهتمت الكريتية به وبصحته واستخدمت لذلك زيت الغار وعطر المسك، فكان تاجا على رأسها "كأنها خجلت من أنها تركت سر المرأة العميق يظهر: شعرها"<sup>1</sup>.

ولجمال وجوههن استخدمن مستحضرات طبيعية، فمسحن شفاههن بورق الجوز، وصنعن أجمل العطور من زهر البرتقال والليمون والقرنفل، وعطرن أجسامهن بروائح من الجنة، للمحافظة على الشباب والجمال، كان هذا من أجل الاهتمام بهن والتميز ولفت النظر لهن وللمحافظة على هويتهم الأنثوية وما تبقى لهن منها.

وسنتناول بالدراسة أبرز الشخصيات النسائية في الرواية:

#### - الأرملة

اسمها سورمولينا، ذكر اسمها مرة واحدة في الرواية: وقد ألصق بها لقب "الأرملة"، شابة جميلة ومثيرة، تملك كل مقومات الإغراء، تختصر بأنوثتها وجاذبيتها جمال كل نساء كريت، غامضة، منعزلة، يلفها الصمت والألوان الباهتة السوداء "مرت امرأة وهي تجري، وقد رفعت ثوبها الأسود حتى ركبتيها، وأسدت شعرها على كتفيها. كانت ممثلة، متميلة، وثيابها ملتصقة بجدها.. تكشف عن جسد مثير وصلب"<sup>2</sup>، رفضت الزواج من ابن أحد أعيان كريت "بافلي" الذي أحبها كثيرا وكانت سبب موته، وكان سبب موتها، رافضة كل عروض الزواج، وتتبعها أعين الرجال، تنترص بها وتتهش جسدها، مؤججة الرغبة فيهم، فقالوا عنها: "عليك اللعنة، يا زارعة الشقاق! إن النار التي تشعلينها لا تطفئونها..."<sup>3</sup>، وكان امتلاك جسدها حلما يراودهم جميعا، حتى لو كان طيفا لحظيا

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 159.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 124.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 125.

متهيأً، وانعكاساً لصورتها في مخيلتهم، بغية إنجاب أطفال يتمتعون بالجمال؛ "إنها كما يقولون عشيقة جميع سكان القرية: فأنت تطفئ النور وتتصور أنها ليست امرأتك تلك التي تحتضنها بين ذراعيك، بل الأرملة. ولهذا؛ فإن قريتنا، كما ترى، تضع أطفالاً في غاية الجمال"<sup>1</sup>، لقد دفع عنادها الرجال إلى الجنون والإصرار على الفوز بها، إرضاءً لأننا العليا الجارفة لديهم وإثباتاً للغطرسة الذكرية.

ثمت تساؤلات عدة فرضت نفسها عن رفض الأرملة للزواج، لماذا؟ هل كان الحب والوفاء لزوجها هو السبب؟ أم التوقيت؟ أم لم تجد الشخص المناسب؟ هل حاولت الأرملة التمرد على الصورة التقليدية للمرأة؟ التمرد على المجتمع؟ الواضح أنها بحثت عن الحرية، الحرية من رباط الزوجية والوصاية الذكرية عليها.

هذا ما أقلق مجتمع كريت "صحوة نسائية"، كان المجتمع على وعي من مخاطر خروج المرأة عن القانون العام وتحدي السلطة، يجب أن تخضع كل النساء للهيمنة وإلا فقدت السيطرة عليهن، فهذه الأرملة كانت تجري في القرية، ووقفت أمام المقهى دون أن تخشى أحداً، ونظرت في وجوه الرجال "وأدارت المرأة رأسها لحظة وألقت نظرة هاربة تقدح بالشرر على المقهى"<sup>2</sup>، وهذا كله من المحظورات الاجتماعية على المرأة الكريتية.

إن ما كان يدور في ذهن الأرملة وما كانت تفكر به شابه الغموض، بدت جسداً أكثر منها روحاً، لم يسمع لها صوت، كان تفاعلها محدوداً، وحضورها محصوراً كباقي نساء رواية "كازانتزاكي" الذي لم يعط الأرملة مساحة لتعبر عن نفسها، كمجتمعها، وبسبب هذا الغموض كثرت الأسئلة حولها،

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص125.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص124.

لقد رفضت الأرملة الزواج؛ لأنها أرادت الحرية، إذن لماذا أقامت علاقة مع "باسيل"؟ عن ماذا كانت تبحث؟ وماذا وجدت في "باسيل" الحب أم المال أم الشاب الوسيم المثقف؟ هي لم تبحث عن كل هذا ولم تصل إليه، هي مارست الحرية في هذه العلاقة، بداية من اختيارها "لباسيل" تلاشت سلطة الأب أو الوصي عليها، أرادت علاقة خارج نطاق الزواج، علاقة لرغبة جسدية تفجر فيها مكبوتات نفسها مع شخص يماثلها ولا يستعلي عليها، أرادت أن تتحلل من قيود المجتمع وتندفع وراء غريزتها الأنثوية، يبدو أن الأرملة تكره الاتحادات الشرعية مثل "زوريا".

أجمعت كريت قاطبة بعد أن شكلت سلطة القضاء وأصدرت الحكم ذبح الأرملة، كان هذا حلا لمشكلة كبيرة تهدد مملكتهم وتمس بشرف رجولتهم المزعومة، كانت دماء الأرملة تسيل لتغسل العار المدعى، وتكفر عن ذنوبها وخطاياها -لخطيئة محاولة تنفس الحرية!- "رمى رأس الضحية على عتبة الكنيسة، ثم رسم إشارة الصليب"<sup>1</sup>.

لم يشفق رجال كريت على الأرملة مع كل توسلها وطلبها الرحمة، "إنني لست امرأة حتى تمتلكني الشفقة! إنني رجل!"<sup>2</sup>، ولم يؤنبهم ضميرهم، لكن نساء كريت، لماذا شجعن ووافقن على هذا التصرف؟ هل المرأة عدوة المرأة؟ الواضح أن نساء كريت كرهن الأرملة وأردن قتلها لأنها كانت عشيقه كل رجال القرية.

لقد اختزلت النظرة للأرملة في جسدها وشكلها الخارجي؛ فلم يعرف منها إلا الجمال الظاهري، وكان هذا نقمة عليها، فكان سبب شقائها وموتها والحزن عليها "كم من سنوات اقتضت الأرض حتى تنجح في صنع جسد كذاك! وعاد إلى الندب متمتما: كم من سنوات!"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص314.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص312.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص315.

## - السيدة هوراتانس:

المرأة الوحيدة الحاصلة على رتبة "سيدة" في كل أجزاء الرواية: هذه المرتبة الدالة على المكانة العالية والمركز المرموق والظاهر أن عقدة الخواجا "الأجنبي" وتفضيله وتميزه عن الوطني موجودة في كل الثقافات-، وهذا غريب على مجتمع كريت، هي سيدة فرنسية الأصل، كانت في شبابها كثيرة السفر والترحال، إلى أن دفعها قدرها إلى الاستقرار في كريت، "وكانت تتكلم اليونانية كيفما اتفق، وتَلَحُّنُ في كلمات، وتختلط المقاطع، ومع ذلك كنا نفهمها تماما"<sup>1</sup>، وقد بلغت من العمر أوسعها "كانت سيدة عمرها أربعة عشر، وعشرون، وثلاثون، وأربعون، وستون عاما"<sup>2</sup>، ولقبت بالعديد من الألقاب منها "الجنية العجوز".

ملكتم فندقاً في كريت، تعيش على ذكريات شبابها، فقد كانت فنانة مشهورة، فائقة الجمال، تملك جسداً جذاباً ومثيراً، تنقلت بين مدن العالم "رقصت على سجادات شرقيه في الإسكندرية، وبيروت وإزمير، والقسطنطينية، ثم في كريت على سطوح السفن المطلية"<sup>3</sup>.

وتعرفت إلى أمراء وباشوات وقادة جيوش مقلدين بشارات ذهبية وأحذية لامعة ولحى معطرة، واعتادت على العظمة والسمو، "زارت قاعة كبيرة عامرة بالثريات، والمقاعد المخملية، والرجال والنساء، والظهور العارية، والعمود، والأزهار"<sup>4</sup>، عاشت شبابها ومغامراتها الغرامية بكل حريه "وتعهرت مع قباطنة، وبحارة، وجنود، وفلاحين، وكهنة..."<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 53.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 201.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 201.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 53.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 102.

كانت العجوز المضيفة اللطيفة، تروي حكايتها بحرقة وألم وحسرة على شبابها الذي فر منها "كسفينة عجوز، هي الوحيدة من أسطول كامل لاتزال على قيد الحياة، تروي معارك بحرية قديمة"<sup>1</sup>.

وقد ذكرت أيام ثورة "كريت" عندما حاصرت الدول العظمى "إنجلترا، وفرنسا، وروسيا، وإيطاليا" بأسطولهم البحري "كريت" وكيف كانت تقضي الوقت معهم في نقاشات عن الثورة والمدن الكبيرة وأثواب الحرير وزجاجات الشمبانيا والاحتفالات والتعلق في لحاهم المجعدة وممارسة تأثيرها السحري كي لا يقصفوا كريت "كم من المرات كانت المدافع مستعدة للإطلاق، لكنني كنت أمسك بلحية الأدميرال ولا أتركه يفعل بم! بم!"<sup>2</sup>، وكانت ترى نفسها مقاتلة حربية استطاعت إنقاذ الكريتيين من الموت، وقد أطلق عليها زوربا لقب "بابولينا" -وهي بطلّة شاركت في حرب الاستقلال- نعم هي من تحكمت بأربع مدمرات ومنعتها من القصف فقد كانت هي أيضا دولة كبيرة، وعند انتهاء الحرب أقيم لها احتفالٌ كبيرٌ ومهيّبٌ، وأطلقت المدافع على شرفها وانتقلت للعيش في كريت، أهل كريت الذين تنكروا لها ولمعروفها، فهم لا يتذكرون سوى أنها امرأة سيئة السمعة لا أخلاقية، "كانت السيدة هورتانس غاضبة من نكران البشر للجميل"<sup>3</sup>.

على هذه الجزيرة عاشت السيدة العجوز مع ما تبقى لها من ذكريات الشباب، كان لها واقعها الخاص كماضيها أيضا، فهي سيّدة مستقلة ماديا واجتماعيا، فلا قيود تفرض عليها، كما أنها لم تندمج مع سكان كريت، كانت مختلفة عنهم بملابسها والشرائط على عنقها، والمساحيق التي تضعها، "طلت وجنتيها بمسحوق كثيف، ودهنت شفثيها بطبقة قرمزية سميكة"<sup>4</sup>، وملكّت ببغاء جميلا اسمه "كانافارو" كان اسم أصغر القادة الذين تعرفت إليهم، "ولأن اسمه هو الوحيد الذي استطاع الببغاء

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوربا، ص 63.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 55.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 55.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 162.

أن يلفظه، أما أسماء الآخرين فكانت معقدة، صعبة ولهذا تبخرت<sup>1</sup>، وقد حمل هذا الاسم رمزاً لكل رجلٍ دخل حياتها، "فهي كائن بلا اسم وبلا هوية إلا من خلال الرجل وعبره، وهي لم تخلق إلا من أجله"<sup>2</sup>؛ إنها تنبش ذاكرتها وتبحث في ماضيها، عن متع الشباب وعن المدن والحفلات والشمبانيا، عن الحضور الأنثوي الساحر والجسد المستهلك النابض بالحياة، ترفض الاستسلام، فتاريخها بالإغراء لا يعرف الهزيمة؛ "هي الباريسية الأنيقة، ملكة الإغراء التي لا تقاوم، والتي جعلت الدول الأربع الكبرى تثب على ركبتها، والتي حيتها أربعة أساطيل كبرى"<sup>3</sup>.

الواضح أن حزن السيدة تجلى من خلال استرجاع الأحداث والحنين إليها، فقد شعرت بالأمان والراحة في الماضي والتوجس والرغبة من الحاضر والمستقبل.

ولا تفتأ المرأة مهما خسرت من العمر والمؤهلات تتمرد على واقعها وتثبت أنوثتها حتى إن بلغت سن اليأس، فهي غير راضية عن جسدها وما آل إليه، وهذا يجعلها متقلبة المزاج سريعة الانفعال والبكاء تعاني آلام المفاصل، "لا تنتج اضطرابات المرأة في هذه المرحلة الجديدة من أسباب عضوية، بقدر ما تنتج عن وعيها بحلول هذه الفترة العصبية من حياتها"<sup>4</sup>؛ كل هذه الأعراض تجعلها في قلق دائم على مستقبل جسدها الذي بدأ يفقد هويته ورمزيته، ولم يعد ذلك الجسد الذي ألفته. "إن الجسد واقعة اجتماعية، ومن ثم فهو واقعة دالة، فهو يدل باعتباره موضوعاً، ويدل باعتباره حجماً إنسانياً، ويدل باعتباره شكلاً أنه علامة، وكل العلامات لا يدرك إلا من خلال استعمالاته"<sup>5</sup>، فتحاول العجوز المسكينة أن تحتال على ذلك بمساحيق التجميل وبالشرائط "كان يحيط

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 293.

<sup>2</sup> الغدامي، عبد الله، ثقافة الوهم، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998، ص 7.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 329.

<sup>4</sup> بوفوار، سيمون دي، الجنس الآخر، ت: ندى حداد، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص 203.

<sup>5</sup> بنكراد، سعيد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقها، ط3، دار الحوار، سوريا، 2012، ص 2015.

بعنقها المجعد، في ذلك المساء، شريط عرضه أصبعان، لونه أصفر، وقد ضمخت إبطيها بماء زهر البرتقال<sup>1</sup>، ولكن هيهات، لن يصلح العطار ما أفسده الدهر، إن علامات تقدم السن تؤثر على نظرة المرأة لنفسها وأنوثتها ونظرة الآخر لها.

وكان التحول الذي طرأ على حياتها عندما نزل "باسيل" و"زوربا" في فندقها كبيرا، باسيل تعجب من وجود هذه المرأة الباريسية هنا في كريت وبدت له سيدة القصر: "إن السيدة هوراتانس هذه تبدو لي وكأنها ملكة الجزيرة"<sup>2</sup>.

أما زوربا فكانت نظرتة أعمق وبصيرته أنفذ، فقد رأى فيها سفينة حربية عظيمة خاضت معارك عديدة ونزلت في آخر مرفأ لها لتستقر هنا، تروي جل صولاتها وجولاتها في بحار العالم، وبدت له تمثالا تاريخيا عظيما وأسطورة مقدسة، وشرابا معتقا وعملا فنيا نحتته أيدي السنين وصقلته التجارب الحسية، فأصبحت مقصد كل نشوان وقبلة كل مقيم؛ قال عنها: "هي أشبه برفيقة قديمة، بسفينة حربية قديمة حاربت في بحار بعيدة، كانت تنتصر مرة وتهزم مرة"<sup>3</sup>.

أما السيدة "هوراتانس" فرأت في شخص "زوربا" عشق حياتها وضحكة صباها ورقصة شبابها وأمجاد ماضيها، أسقطت عليه عُشاقها من الباشوات والبكوات والأميرالات وألبسته الشارات الذهبية والقلنسوة والأحذية اللامعة، وأبحرت معه إلى مدن العالم، هذه العجوز التي لم تشبع من الحياة بعد ولم تستسلم لها، أرادت أن تستعيد ثقنها بجسدها وأنوثتها وقدرتها على إيقاع الرجال في شباكها وليس أي رجل؛ إنه "زوربا" "القبطان ذو المئة ندب"<sup>4</sup>، لقد شكلا سويا ثنائيا متشابها في العمر والخبرات والقدرات،

<sup>1</sup> كازانتراكي، نيكوس: زوربا، ص 151.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 42.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 42.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 42.

فكلاهما عاش علاقات ومغامرات متحررة، وكان لذيها خبرات واسعة في إشباع الرغبات وإسعاد الآخر، "ويتخذ زوريا ألف وجه: أترک، وغربيون، وآرمن، وعرب، ويونانيون، فتعانق السيدة هوراتانس، بمعانقتها له، كل ذلك الموكب المقدس اللامتناهي"<sup>1</sup>؛ فتعانق السيدة الذكريات علّ السنين تعود، فتمر السنون ولا تنسى الذكريات.

تطورت العلاقة بين زوريا والسيدة، وتعلقها الشديد به جعلها تفكر بالزواج منه، صحيح هو لا يشبه صورة الرجل الذي رسمته في خيالها، ولا يتطابق مع ما تمنته من رجل ذي منصب ومكانة ووسامة، لكنها قالت في نفسها: "إنه ليس باشا غنيا، يلبس طربوشا ذا طرّة ذهبية إنه ليس ابنا جميلا لأحد البكوات، لكنه أفضل من لا شيء ليتبارك الله! سيكون زوجي، زوجي عن حق"<sup>2</sup>.

لقد وجدت فيه سمة فريدة لم تجدها في أحد من عشاقها السابقة، هي تعلم أنها كانت تملك هالة تجذب أي رجل، فيتوددون إليها، وما إن يتمكنوا منها تسرح عقولهم في أموالهم ورتبهم ومراكزهم والحرب والثورة وتتلاشى هي، كانت جسدا يستهلك ويلفظ، ولكن زوريا مختلف، "كنت أنسى كل شيء، كل شيء، وكانت هي العاهرة، تفهم ذلك جيدا... ليس في العالم ما يسعد المرأة أكثر من ذلك"<sup>3</sup>؛ قد سحر لبها، كانت تشعر بالتفرد والعظمة والاحترام وهي بين يديه هذه المشاعر التي لم تعشها إلا معه؛ "إذا اكتشف المرء متعة التفرد فإنه يتألق بالحيوية وينضج بجمال روحاني وتتخصب طاقاته الإبداعية والجسدية ويتحقق حوار الروح والعقل والجسد ويتحرك الشغف عبر الحنان والرعاية والمسرات وعندما يندفع المرء باتجاه المحبوب الذي ينصب عليه الشوق ويسعى للاندماج المكتمل"<sup>4</sup>، وهذا ما سعت إليه السيدة، الاندماج والزواج، "المرفاً الأخير الذي كانت تتمناه

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص202.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص276.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص345.

<sup>4</sup> زوسكيند، باتريك: عن الحب والموت، ت: نبيل الحضار، ط1، دار مدى، دمشق، 2017، ص16.

بحرارة منذ زمن طويل: الزواج"<sup>1</sup>، و حلم الزواج توهج في وجدانها وجعل حفل الزفاف يشغل تفكيرها كفتاة عشرينية مقبلة على الارتباط مع أول حب، أرادت الأكاليل والزهور والشموع وثوب زفاف كبيراً وحلوى، وأرادت حياة نقية بعد سنين العهر والعلاقات، وأرادت طي دفاتر أيامها السابقة وأن "تتمدد على فراش شريف، ولا شيء أكثر من ذلك!"<sup>2</sup>.

ولكن ما الذي دفع بالسيدة "هوراتانس" للتفكير بالزواج بعد هذا العمر؟ وهذه العلاقات المتعددة؟ هل كان قرارها رداً على نظرة مجتمع كريت الدونية لها ونبذها؟ "إن كل امرأة وحيدة أو مهجورة يحسبها الناس، أنها فقدت "معناها" وينظر إليها على أنها غير متحققة وعديمة الجدوى، من هنا منشأ رفض الشيخوخة"<sup>3</sup>، المعلوم من الرواية أن السيدة مستقلة مادياً واجتماعياً وعندها كامل الحرية، فلماذا تريد أن تسجن في زنزانة الزواج؟ هناك عدة عوامل دفعتها إلى اتخاذ هذه الخطوة، منها شعورها القاتل بالوحدة بعد هذه السنين الطويلة "إنها الآن، بعد سنين كثيرة من العمل القاسي، وحيدة، لا تملك شيئاً"<sup>4</sup>؛ فلم الأمومة الذي راودها في شبابها تبخر "كانت تفكر طوال حياتها وهي تنهد: أن أتزوج، أتزوج، وأن يكون لي طفل"<sup>5</sup>، فأرادت رجلاً تشعر معه بالأمان والاستقرار والتوازن العاطفي والنفسي، فهي لا تقبل الهزيمة والعجز، وهي ما زالت ملكة الإغراء والإغواء، صاحبة الجسد المتوقع، المكتمل الأثوثة.

والظاهر أنّ أعمق احتياجات السيدة "هوراتانس" في هذا السن الاحتواء؛ لأنها مبعدة اجتماعياً، والأمان لأنها بعيدة عن وطنها، وقد وجدت كل ذلك وأكثر في شخص "زوريا"، الذي توجهته على

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 202.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 204.

<sup>3</sup> داکو، بيير: المرأة؟ ص 379.

<sup>4</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 203.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 276.

عرش قلبها لتحيا معه المتعة والنشوة بشرف؛ "إنها لم تعد تطمح إلا في أن تصبح زاغا جادا ومستقيما، امرأة شريفة"<sup>1</sup>، ولكن حلمها لم يكتمل ولم تعش هذه المشاعر، وكان الموت أقرب إليها إذ كان المرض شديداً فلم يمهله كثيراً "إنها مريضة تسعل بقوة تهزُ فندقها كله!"<sup>2</sup>، كان زوربا بجانبها يساندها ويخفف عنها: "لا تهتمي، يا بوبولينتي، يا مركبي الهرم المعذب! لا تهتمي، فسأعزيك! لقد تخلت عنك الدول الأربع الكبرى، وتخلي عنك الإله الطيب، أما أنا!، زوربا، فلن أتخلي عنك!"<sup>3</sup>.

ازدادت حالة السيدة سوءاً، وأخذت تبحر في أحلامها وتعيد شريط حياتها أمام أعينها، كانت تحلق بأجنحتها وتنتقل بين المدن الكبرى والسفن الضخمة والحفلات والأنوار والعطور والغناء والرقص، كانت قابعةً على سريرها في وسط الغرفة التي تكاد تخلو إلا منه، فلم يبق لها إلا هو والملاك الحارس الذي رافقها في حياتها "البيغاء" كان خامداً يراقب سكناتها وحركاتها على غير عادته، يبدو أنه تحسس رائحة الموت، وكانت سيدته ممددة على سريرها، مملكتها، وأرض المعركة، كان السرير جنتها الرحبة، له حدود ويخضع لشروط وفقاً للأصول المعمول بها، من يدخله يتجرد من كل شيء في حضرة جمالها، يخرج الحيوان الذي بداخله وينقض على فريسته، في مملكتها تضرب الكؤوس وتتعالى الضحكات وتنتاير الملابس الحريرية وتعبق الأنفاس، كان السرير أرض النزال شهد صولات وجولات، يدخله الشجعان كدخلهم ساحات القتال، لقد مر عليه جيش من العشاق لهم لحيّ سواد، وكستنائية، ورمادية، وشقراء، وكان هو حلم الحياة، فكم حلمت أن تنام عليه بشرف، وأن تعامل معاملة المرأة الشريفة الطاهرة، فإذاً هو سرير واحد وغطاء واحد وهي وحيدة، بعد كل تلك السنين، كل من مر على هذا السرير وهذا الجسد ترك تعويذة وشاهداً في قلبها.

<sup>1</sup> كازانتراكي، نيكوس: زوربا، ص 269.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 324.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 280.

أخذت تصارع سكرات الموت، وتشتد عليها، وقلب "زوريا" يعتصر ألما "كان يشد على شفثيه كي يمسك دموعه"<sup>1</sup>، المسكينة أرادت أن تكون امرأة جديدة فباغتتها الموت.

عند وفاتها كثر الكريتيون عن أنيابهم وبدأت عمليات النهب والسلب والعدوان، وتكالبوا على ممتلكات السيدة، (ملاعق، سكر، قهوة، حلوى، مناديل، جوارب،...)، دون أن يقيموا حرمة لجثمانها الراقد في المكان، قدرها الازدراء والاستخفاف بها حية وميتة في كريت، كل هذا لأنها وحيدة تفتقر للسند والورث؛ فهي "لم يكن لها لا أطفال ولا أهل، إذن، فمن الذي سيأكل الدجاج والأرانب؟ من سيشرّب خمرها؟ من سيرث مكباتها كلها، وأمشاطها، وسكاكرها؟"<sup>2</sup>، وهذا أحد الأسباب التي جعلت السيدة تفكر بالزواج.

كانت تتم عمليات السلب والنهب بكل عدوانية، ولكن لماذا يكن الكريتيون كل هذا العدا للسيّدة؟ كان هذا العدا وليد عدة عوامل، منها ما يخص السيدة شخصيا، فقد كانت الحرية والاستقلال اللذان تمتعت بهما مصدر غير النساء وحقدهن عليها، ومنها عوامل اجتماعية تخص القهر والفقر المتفشى في المجتمع وسياسة المال السائب يعلم السرقة، وأنا أسرق الآن لأن الكل يسرقون فلا قانون يردع ولا مجتمع يضبط، حتى كلمات العزاء التي قيلت في حقها كانت مبطنّة "ليرحمها الله! وليغفر لها كل ما فعلته! وليصبح كل عشاقها، أيها الرفاق، ملائكة ليحملوا روحها"<sup>3</sup>، فكأنهم يحاسبونها على ماضيها وهم يسرقون مالها، وبعد عمليات التخريب هذه أقاموا احتفالا وأكلوا دجاجتها وشربوا خمرها دون خجل، وعند دفنها سار في موكبها (أربعة راقصين سكارى، وعازف قيثارة، وعشرة من الرجال، شعورهم مشعثة) كانت تستحق جنازة مهيبّة، أن تطلق الأساطيل المدافع على شرفها وأن تنقل على

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص326.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص328.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص333.

زورق أبيض فيه اثنا عشر جذافاً، هذا ما يليق بها "وهي الباريسية الأنيقة، ملكة الإغراء التي لا تقاوم، والتي جعلت الدول الأربع الكبرى تثب على ركبتيها، والتي حيتها أربعة أساطيل كبرى"<sup>1</sup>.

من الواضح أنّ "كازانتزاكي" وضعنا أمام نموذجين مختلفين لامرأتين عاشتا حياة مختلفة، وواجههما المصير نفسه، السيدة التي حلمت بالزواج وارتضت أن يكون شريفا فراشها، والأرملة التي حلمت بالزواج منها وتمنعت أن يشاركها أحد فراشها، وكلتاهما كانت منبوذة، فقد صب عليهما المجتمع جام غضبه، السيدة بسبب تحررها والأرملة بسبب تزمتهما وكانت نظرتهم للمستقبل مختلفة، السيدة العجوز تبحث عن الأمان والاستقرار، والأرملة الشابة تبحث عن الانفتاح والانطلاق.

أما الجسد فقد كان لعنة عليهما زمانا ومكانا، عقدة السيدة "هوراتانس" مع الزمان وتخوفها أن يجتاح جسدها ويكتسحه، ويصبح جسدها بالياً غير قادرٍ على فرض نفسه، وعقدة الأرملة مع المكان والبيئة والفكر الكريتي ونظرته لجسدها ومحاولة السيطرة عليه.

لقد كانتا عالمة على المجتمع وعبئاً ثقيلاً عليه، فقد ارتسم الفرخ والاحتفال والرقص والغناء يوم وفاتهما.

## 1.2.2 البغايا في الرواية:

البغاء ظاهرة اجتماعية صحبت البشرية في كل مراحل وجودها قديما وحديثا، وعُدَّ البغاء من أقدم المهن في التاريخ، ووجهت له القوانين والشرائع التي تنظمه، وهو يقوم على علاقة ثقافية مرفوضة اجتماعيا ودينيا بين الرجل والمرأة بهدف المنفعة والمتعة "البغاء علاقة جنسية غير مشروعة تقوم بين الرجل والمرأة بقصد الحصول على فائدة مادية أيا كان نوعها، وذلك من قبل المرأة"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 329.

<sup>2</sup> عبد الله، نجية إسحق: سيكولوجية البغاء، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984، ص 24.

هذه العلاقة القائمة على اعتبار الجسد سلعة خاصة للعرض والطلب، تفتقد مشاعر الحب والود، وتبخس الكرامة الإنسانية مقابل المادة، فالبغي أو المومس أو العاهرة\* هي مرادفات للمرأة التي ازدرت جسدها، واستخدمته وسيلة للريح والعيش. ولكن هل الإنسان حر بجسده؟ ما الذي جعل المرأة تستبيح جسدها وتجعله سلعة للمقايضة والمعاينة والاستهلاك؟ ولماذا وقفت في وجه القيم والأعراف والفتنة السليمة؟ لماذا ارتضت أن تكون في الدرك الأسفل من المجتمع؟

لقد واجهت المرأة ضغوطا اقتصادية واجتماعية ونفسية، كالفقر، والبطالة، والحرب، والتفكك الأسري، وما ينجم عن ذلك من عوز للحب والحنان؛ أودت بها في هوة البغاء. "لا شك في أن السبب الرئيسي في انتشار الدعارة يعود إلى الفاقة والشقاء والحرمان"<sup>1</sup>، وإضافة إلى ذلك كان القلب الذي حجت به البغي وأقصيت عن بقية أفراد المجتمع عاملا مساعدا "البغايا المشتغلات بهذه الحرفة محرم عليهن السكن في المناطق أو الأحياء التي تقيم بها نساء شريفات، والغرض من هذا العزل واضح بالطبع، التفريق بين العاهرة وغير العاهرة"<sup>2</sup>.

هذا النبذ والاحتقار والدونية الذي اكتوت به العاهرة بسبب عملها، لم توجه أسننته نحو الرجل، الذي تتمتع بالحرية الجنسية التي وهبت له: "لدينا محظيات لتحقيق متعنا الشخصية وخليلات لتلبية حاجتنا اليومية، وزوجات ينجبن لنا أطفالا شرعيين ويعتنين بالمنزل"<sup>3</sup>.

---

\* - البغاء prostitution: هو الاتصال الجنسي غير المشروع.

- الدعارة: prostitution feminine: بغاء الأناث.

- العاهرة prostitution: هي الأنثى التي تمارس الدعارة.

- المومس: Fille Soumise: هي البغي المرخص لها بالدعارة. يُنظر: بكر، عبد الوهاب: مجتمع القاهرة السري، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص11-12.

<sup>1</sup> بوفوار، سيمون دي: الجنس الآخر، ص194.

<sup>2</sup> بكر، عبد الوهاب: مجتمع القاهرة السري، ص16.

<sup>3</sup> تا ناهيل ري: قصة الجنس عبر التاريخ، ت: إيهاب عبد المجيد، ط1، دار بيروت، القاهرة، 2008، ص93.

ومنهم من يرى أن وجود الغواني في حياته ضرورة لاستقرارها وحماية للنساء الشريقات من الانحراف؛ "إذ إن البغي، على حد قولهم، تعد فداء للمرأة الشريفة؛ لأنها تصرف عنها محاولات الغواية والإغراء"<sup>1</sup>، وقد أباح لنفسه أن يتمتع بما يشاء من النساء دون أن يهمله عار ما فعله: "إن وجود طائفة من "الفتيات التائهات" يسمح للمجتمع بمعاملة "المرأة الشريفة" بالاحترام والتقدير اللائقين بها، وتشكل المومس بالنسبة للرجل مبررا لقباحاته، فهو يحملها نتائج تصرفاته الشخصية، ثم ينبذها من المجتمع"<sup>2</sup>، والواضح أن المجتمع جاد بجزء من نسائه رغبة في صون الباقي منهن، وربط وجود الخليعات بوجود العفيفات، بل وحمل المرأة وزر أفعال الرجل الدنيئة ثم أقصاها، "ما كان لهذه الظاهرة أن توجد على ظهر الأرض، لولا وجود النظام الأبوي الذي منح الذكور الحرية الجنسية وألبس الفتيات والنساء حزام العفة الحديدي جسديا ونفسيا وفكريا، فقد كان لابد من خلق فئة من النساء المومسات ليمارس معهن الرجال الجنس، وإلا كيف كان يمكن لهؤلاء الرجال أن يمارسوا الحرية الممنوعة لهم خارج الزواج"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الساعاتي، سامية حسن: الجريمة والمجتمع، ط1، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1982، ص201.

<sup>2</sup> بوفوار، سيمون دي: الجنس الآخر، ص193.

<sup>3</sup> عبدة، سميرة: المرأة العربية بين التخلف والتحرر، ط1، دار الأفق الجديدة، بيروت، 1980، ص106.

وقد اتخذ البغاء أشكالاً عدة تبعاً لطبيعة المجتمع الذي نشأ به، ونوع الخدمات التي يقدمها\*، وأول أشكال البغاء كان البغاء الديني في المعابد والأديرة؛ بهدف إرضاء الآلهة والتقرب منها؛ فكان عملاً مقدساً تقوم بها المرأة بهدف إمدادها بالقوة الإلهية للإنتاج: كان البغاء عند نشأته مقدساً، ثمرة العقائد الأولى في القوى المنتجة للنسل، حيث ضرورة تقديس المرأة عن طريق رجل غريب يمثل قوة الإله الخارقة، حتى يهبها الإخصاب ثم تطور البغاء وأصبح القوة المقدسة في المكان، واقتصر الأمر على إزالة البكارة داخل المعبد برباط ديني، وتطور الحال حتى أصبح البغاء مطلوباً لذاته، واشتهر عبر التاريخ في بلاد بابل واليونان وروما وكل الحضارات<sup>1</sup>.

ولم يكن المجتمع الأثيني بعيداً عن هذا الواقع؛ "فقد عرفت الشعوب البدائية البغاء المقدس... ثم استحال البغاء المقدس إلى بغاء قانوني، حين وجدت طبقة الكهنوت فيه وسيلة للإغتناء\* ففي الجزر اليونانية مثلاً: كانت المومسات يستلمن للغرباء، أما الأموال المحصلة فكانت تخصص للعبادة أي للكهان"<sup>2</sup>؛ فطبيعة المجتمع اليوناني التقليدي، وما يشيع فيه من أعراف وعادات تخدم

---

\* يستطيع الباحث في تاريخ البغاء أن يميز أشكال معينة للبغاء منها:

- البغاء المقدس: كانت المرأة تمارس فيه عبادة قديمة، بأن تقدم جسدها لرجل واحد أو أكثر، ثم تتزوج بعد ذلك، أو أن تهب نفسها لخدمة أحد أمكنة العبادة حيث تصبح عاهرة مقدسة.

- البغاء الطقسي: كان فض البكارة يحاط بالسر وال خوف من الغيبات، فكان الآباء يقدمون بناتهم للغرباء والعابرين لأن أحداً لم يكن يخطب الفتيات العذارى.

- البغاء التعويضي: سادت الفكرة القائلة باستحالة وجود مشاعر الرغبة الجنسية وأحاسيس الرقة والألفة بين الزوجين، فكان البغاء تعويض عن جوانب القصور في الزواج.

- البغاء البديلي: يمارسه الرجال المتزوجون البعيون عن زوجاتهم، والذين تقوم لديهم البغايا مقام البديل عن الزوجات بغرض الإشباع الجنسي.

إنّ البغاء بأشكاله كافة يؤدي وظائف عديدة تبعاً لنوع المجتمع الذي ينشأ فيه، وأنه يعتمد في بقائه على الخدمات التي يقدمها وهو بذلك دائم التنوع والتجدد. يُنظر: الساعاتي، سامية حسن: الحرية والمجتمع، ص 185-191.

<sup>1</sup> يُنظر: عبد الله، نجية إسحق: سيكولوجية البغاء، ص 44-46.

\* "يدفع الرجال الذين يزورون المعبد ثمن اتصالهم الجنسي بالبغايا المقدسة، ويرأس كل مجموعة من البغايا رجل يتولى تحديد أجر كل واحد منهن ويدير شؤونهن وإذا حملت البغية وولدت أنثى أصبحت بغياً كأماها ومنعت من الزواج، وإذا كان المولود ذكراً أصبح خادماً في المعبد". توفيق، أشرف: العالم السري للنساء، ط1، مكتبة رجب، القاهرة، 1997، ص 15.

<sup>2</sup> بوفوار، سيمون دي: الجنس الآخر، ص 41.

مصالح الذكور وتميزها عن الإناث، فبعد أن أقصت المرأة ووضعها في البيت أعطت كل الحرية للرجل في إشباع مشاعره و أحاسيسه والبحث عمّا ينقصه في أحضان البغايا\* في علاقة تخلو من قيود الارتباط والمسؤولية، "أباحث الحضارة الإغريقية السعي نحو اللذة وقد شجع ذلك خارج النطاق الزوجي، أما الزوجة فقد عدت وسيلة لإنجاب أطفال شرعيين"<sup>1</sup>، ونفور الأثيني من الزوجة، وبعده عن الحياة الأسرية، وبحثه عن سعادته خارج نطاقها، واحتكامه لتشريع المجتمع الأبوي، والكثير من الضغوط على المرأة؛ جعلت من تريد التحرر والانعتاق عن هذا الوضع، تتبع الشيء الوحيد الذي تملكه: "عندما يفلت الجسد، ويعبر عن طاقاته ورغباته بحرية، يفلت الإنسان من التسلط والقهر. ولذلك فالمرأة حين تتمرد، فإنها تفعل ذلك أساسا من خلال إعطاء نفسها حرية التصرف بجسدها في المقام الأول"<sup>2</sup>، نعم كان جسدها هو سلاحها الوحيد -للأسف- لانتماضتها في وجه المجتمع.

في الرواية يعرض لنا "كازانتزاكي" نماذج للغواني اللواتي تعرف عليهن زوريا في حله وترحاله، كانت علاقاته متعددة وكان ما يجذبه من المرأة الجسد الفاتن والمثير، فقد شغل لبه بالمتعة واللذة، وأغفل العقل والكيان والجوهر "تجرد المرأة من كل سمة إنسانية كالذكاء والموهبة والثقافة والقدرات الإبداعية والحنان والدفء الإنساني والجمال الطبيعي، وتعاملت معها باعتبارها مانحة متعة"<sup>3</sup>.

واستهل الحديث عن (لولا) الفتاة اليونانية التي تعرف عليها "زوريا" خلال رحلته إلى "كاندي" في مكان عملها (الملهى الليلي)، كانت "فتاة لطيفة، شديدة السمرة، على وجهها طبقة كثيفة من الأصباغ"<sup>4</sup>، لقد عملت (لولا) في هذه المهنة التي لا تحتاج إلى متطلبات خاصة فهي متاحة ومريحة،

---

\* أطلق على العاهرات اللواتي يقدمن خدماتهن للطبقات العليا في اليونان القديمة "الهيباراي" فيهدنن نفوسهم ويمسحن عنهم أحزانهم ويخففن متاعبهم. يُنظر: الساعاتي، سامية حسن: الجريمة والمجتمع، ص174.

<sup>1</sup> كمال، علي، الجنس والنفس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994، ص334.

<sup>2</sup> حجازي، مصطفى: التخلف الاجتماعي، ص330-331.

<sup>3</sup> زوسكيد، باتريك: عن الحب والموت، ص15.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص189.

تحقق استقلالاً مادياً لها، فهي تملك "غرفة صغيرة طريفة، وأرائك، ومغسلة، وصابونا، وزجاجات صغيرة وكبيرة، وأتواباً زاهية"<sup>1</sup>، متحررة من قيود الزواج والتقاليد الاجتماعية مستخفة بنظرة المجتمع لها، تبدأ أي علاقة مع رجل في وجود المال وتنتهي عند انتهائه؛ "إن أول ما أفعله هو أن أنفق وأتظاهر بالظرف، وأرمي بالمال يمينا وشمالا، إن النساء يغرمن بمثل هذه الحركات، إنهن يغرمن بها، العاهرات"<sup>2</sup>، في علاقة تفتقر للإنسانية والكرامة، هي في نظره "مجرد جسد يشتهي، مجرد وعاء جنسي، لا يهم أن تتمتع بأي ذكاء، أو عقل، أو حس، أو قدرة على العطاء الاجتماعي، كما يوضع عليها اللوم في أنها تصرف الرجل عن مهامه النبيلة، وقضاياه السياسية إنها مجسدة الشيطان، وسبب الآثام"<sup>3</sup>، هو في نظرها رجل يدفع وينفق ولا شيء أكثر: "يمكنك أن تكون أهدب، يمكنك أن تكون حطاما قديما، قبيحا كقملة، إلا أنهن يتناسين كل شيء... إلا اليد التي تجعل المال ينساب وكأنها سلة مثقوبة"<sup>4</sup>، تهب جسدها دون روح في علاقة شهوة لا حب فيها؛ "إن حب الآخر في جوهره يقوم على التفهم والاتصال والحنو والرعاية والاهتمام"<sup>5</sup>، إن طبيعة عمل "لولا" وانتقالها من رجل لآخر؛ تحتم عليها الفصل بين جسدها وروحها؛ إذ تنتهي هذه العلاقة عندما ينال الرجل مطلبه وتظفر البغي بالمال.

وقد تناولت الرواية نموذجا آخر من النساء تعرف عليهن "زوريا" في روسيا، وقد فتن بجمالهن وحسنهن: "إن السلافية ليست كاليونانيات النحيفات الطماعات اللواتي يبعنك الحب بالنقطة... السلافية، أيها الرئيس، فتعطيك أكثر مما تستحق في النوم، والحب، والأكل... إنها ليست كتلك

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 191.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 190.

<sup>3</sup> حجازي، مصطفى: التلطف الاجتماعي، ص 339.

<sup>4</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 190.

<sup>5</sup> زوسكيد، باتريك: عن الحب والموت، ص 13.

اليونانيات اللواتي يساومنك طويلاً<sup>1</sup>، مقارناً بين طبيعة المجتمع السلافي المتحررة واليوناني المتحفظة.

وهنا يحدثنا عن "سوفنكا"، وهي "فتاة مرحة طولها متران وعيناها زرقاوان كالبحر، ولها ردف كالفرس"<sup>2</sup>، رآها في سوق "نوفورسيسك" في أحد أيام الشتاء البارد\*: "مراجعة مخيفة، وبرد قارس، والناس يبيعون كل ما لديهم، حتى أيقوناتهم، ليشتروا خبزاً"<sup>3</sup> والبغاء هنا كان بديل الجوع؛ فتعسر الوضع الإقتصادي الذي تعيشه "سوفنكا" وجدتها قدفتها إلى ذلك، "كانت عجوزاً ضئيلة جالسة قرب المدفأة المطفأة، ترجف"<sup>4</sup>، لقد دفع الفقر وسوء الحال "سوفنكا" إلى بيع قرطها إلا أن "زوربا" تكفل بها مقابل المتعة، "إن البغاء على مدى العصور، كان نتيجة ملازمة للعسر الاقتصادي، يزدهر في المناطق التي يسودها الفقر، حيث يربى الوالدان بناتهما ويشجعانهن على كسب رزقهن عن طريق الاتجار بأجسادهن"<sup>5</sup>، ولم تمنع الفتاة ولا جدتها هذه العلاقة، "وركعنا أمام العجوز وقبلنا يدها، ووضعت يديها البارزتين العظام فوق رأسينا وهي تتمم بكلام ما، لقد منحتنا على الأرجح بركتها"<sup>6</sup>، وكانت نهاية العلاقة بعد ثلاثة شهور عندما قرر زوربا أن يسافر.

أما السلافية الثانية فهي "نوسا"، التقى بها في قرية من قرى "كوبان"، وكان ذلك في الصيف والخير وفير "كل شيء هناك كثير، غزير في روسيا، أيها الرئيس: اختر وخذ! ليس فقط البطيخ الأحمر والأصفر، لكن السمك والزبدة والنساء، أيضاً"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص110.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص107.

\* كثيراً ما تترك البيئة المادية آثارها على تطور التنظيم الإنساني الاجتماعي ويتضح ذلك، بأجلى صورة، في الأوضاع التي تتميز بقسوة البيئة حيث يضطر الناس إلى تنظيم أساليب المعيشة لتناسب مع الظروف الجوية". غدنز، أنتوني: علم الاجتماع، ص106.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص109.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص108.

<sup>5</sup> الساعاتي، سامية حسن: الجريمة والمجتمع، ص194.

<sup>6</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص109.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص110.

كانت "نوسا" شديدة الجمال: "مرتدية أجمل ثيابها وصدورها مشرع في الهواء كأنه جؤجؤ السفينة. والجمال والشباب يطغيان منها"<sup>1</sup>، وقد تمت العلاقة بمعرفة الأهل والأقارب واحتفالهم. "كان يقف والدا نوسا وكان كل منهما يرتدي نوعا من القماش الأخضر وحزاما أحمر مزركشا، وفتحا أذرعهما"<sup>2</sup>.

هذا الشكل من البغاء يسمى البغاء الضيافي\* الذي نتج عن البغاء الطقسي، و"تولد عقيدة تقديم الفتاة بكارتها للرجل الغريب"<sup>3</sup>؛ فقد كان الأب يقدم بناته للوافدين عليه من الأجانب، فيمن يتوسم بهم القوة والصحة، كنوع من الضيافة والكرم ولإنجاب سلالة قوية ومحسنة: "تظرت إلي بانتباه كما ينظر الإنسان إلى حصان يريد أن يبتاعه وقالت لي:.... لك أسنان متينة، وشاربان كبيران، وظهر عريض، وذراعان قويتان، إنك تعجبني"<sup>4</sup>، هذه العلاقة هدفها التنازل تميل للغرائز الحيوانية "العلاقة بين الرجل والمرأة عنده أشبه ما تكون بعلاقة الحيوانات التي يريد مربى الماشية تحسين نسلها، ويجمع بينهما تبعا لهذه الغاية وحدها"<sup>5</sup> واستمرت هذه العلاقة ستة أشهر، وانتهت بهرب "نوسا" مع غريب جديد أعجبها "لقد هربت مع عسكري جميل كان قد وصل إلى القرية منذ بضعة أيام لقد انتهى الأمر!"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص112.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص111.

\* كان الآباء في مناطق مختلفة " فينقيا ومستعمراتها" يقدمون بناتهم لإرضاء الأجانب الوافدين على البلاد، وفعل ذلك الآباء في قبرص وغيرها من الشعوب، وامتد هذا البغاء الذي سمي بالبغاء الضيافي إلى أوروبا واستمر في القرون الوسطى، حيث كانت الحكومات تخصص بعض البغايا لضيوفها السياسيين. توفيق، أشرف: العالم السري للنساء، ص15.

<sup>3</sup> مرسي، علاء زكي: جرائم الإعتداء على العرض، ط1، المركز القومي للإصدارات القانونية، عابدين، 2013، ص15.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص111.

<sup>5</sup> جمهورية أفلاطون: دراسة وترجمة: فؤاد زكريا، ص106.

<sup>6</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص114.

هكذا كانت حياة البغايا، بين رفض المجتمع، وحاجته لهن، أثرن وتأثرن به، بدين للوهلة الأولى متحررات من هيمنة الرجل؛ إلا أنهن ضحية ضغوط اجتماعية ونفسية لم تتطرق لها الرواية؛ فهي لم تأبه لنظرة المجتمع الدونية الموجهه لهن، ولم تكثر لمأساة إنجاب أطفال غير شرعيين من علاقات عابرة.

المجتمع اليوناني تعامل مع المرأة بسلطة ذكورية، فحاصرها بقضايا العار والشرف والعادات والتقاليد، وكبلها بحدود الدين الذي اتهمها بأنها أصل الخطيئة وأداة الشيطان، وقصور العقل والإرادة والتمييز وحصر وجودها للمتعة والإنجاب.

"كازانتزاي" طرح قضية المرأة وعكس الواقع الذي جاءت منه؛ بيد أن طرحه كان ذكوريا خالصا متماشيا مع طبيعة اليونان، متوائما مع عقلية المجتمع وحال المرأة؛ فلم يتمرد عليه أو يحاول تغييره فكان حضورها في الرواية كحضورها في الواقع.

### 1.3 رجال الدين:

طبقة اجتماعية ظهرت نتيجة التعمق بالدين، وعلى أساس التدين والإيمان الجارف شيدت عرشها وقيدت نفسها بقواعد وقوانين صارمة ألزمت بها أتباعها، "العقيدة حدث اجتماعي؛ لأنها تعبر عن معتقدات دينية تخص جماعة ما، في زمن ما"<sup>1</sup>. وكلما كان الولاء والتقاني أجل وأعظم، أنعم على صاحبه بالقداسة ووهبه مكانة في المؤسسة الدينية التي أخذت على عاتقها ضبط السلوك الاجتماعي وتنظيمه مستخدمة أسلوب الترهيب والترغيب.

<sup>1</sup> شلحت، يوسف باسيل: علم الاجتماع الديني، ط1، منشورات مكتبة الأمانة، حلب، 1946، ص40.

والحديث يدور في الرواية حول رجال الدين المسيحيين، الذين اتسموا بالعفة والطهر والتقوى، وقد حملوا ألقاباً متنوعة كل حسب مكانته؛ فمنهم القساوسة والآباء والرهبان\* الذين اختاروا الزهد بالدنيا تلبيةً لنداء المسيح والسيدة العذراء، والعيش في الأديرة، وتعذيب الجسد من أجل الروح: "الرهبنة هي الزهد في متع الحياة الدنيا، والبعد عن نعيمها، واعتزال حياة المادة، وقطع الصلة بين المترهب وبين مشاغل الحياة وعوائق الصفاء، كل هذا للرغبة في تطهير النفس والسمو بها إلى الدرجات العالية"<sup>1</sup>.

تبوأ رجال الدين منزلة مرموقة في المجتمع، وكان لهم مكانتهم وقديسيتهم بين عامة الناس، فهم ملجأ التائهين والضانكين، يرتسم على محياهم نور الإيمان فلا خطيئة تدنسهم ولا معصية تشغلهم عن عبادة الله، "هذه هي الحياة هنا: صليب وصوم. لكن صبراً، يا إخوتي، صبراً، فها هو البعث قادم"<sup>2</sup>، وكانت البركة التي يمنحونها في طقوس ومراسم الزواج والميلاد والأعياد والوفاة وافتتاح المشاريع من أسس الاندماج الاجتماعي، "وغمسوا مرشاة الماء المقدس في الإناء النحاسي ورشوا الأشياء والناس، والوتد، والحبل، والبكرات، وزوريا، وأنا، ثم الفلاحين، والعمال، والبحر"<sup>3</sup>، أخذوا على عاتقهم نشر الدين والدفاع عنه والتضحية من أجل السمو بالنفس الإنسانية وهدايتها، وكان الدير منارة للعلم والتعلم والتأمل والتعبد، "بدا لي الدير، الهادئ، المبتسم، المنعزل عن العالم... كملجأ أحسن اختياره للتأمل البشري... كل ما يلزم كي ترتفع النفس دون أن تفقد عذوبتها الإنسانية إن

---

\* "المعنى الأساسي لكلمة راهب هو الإنسان الذي يحيا فريداً في عزلة عن العالم ويعتبر أنه يريد أن يحيا في السماء وهو على الأرض وتقوم الرهبانية على ثلاثة عناصر: 1- اعتزال العالم للتعبد 2- نذر التبتل لله وهي حياة العزوبة مدى الحياة مع طهارة الروح والجسد 3- اختيار الفقر نتيجة الزهد من الحياة الدنيا، وبهذا يبلغ العابد تدريجياً إلى مقامات روحانية عالية". غريغوريوس، الأنبا: الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، دط، مكتبة المنتبج غريغوريوس، مصر، 2003م، ص(50-52).

<sup>1</sup> شلبي، أحمد: الرهبانية المسيحية، ط10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1993م، ص228.

<sup>2</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص256.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص360.

مثل هذا المكان لا يصنع لا أبطالاً ولا خنازير. إنه يصنع بشراً<sup>1</sup> وارتبطت قداسة المكان بقداسة الأشخاص في نفوس العامة "شقي من يمس الدير بسوء"<sup>2</sup>.

إذن اتسمت حياة رجال الدين بالالتزام بالقواعد الصارمة التي تشمل اعتزال الحياة العامة والنساء\* ومتع الطعام والشراب "كان لي عم راهب، وكان لا يأكل أيام الأسبوع إلا الماء والملح. وفي أيام الآحاد والأعياد كان يضيف قليلاً من النخالة"<sup>3</sup> واللباس والنوم والزهد والنقشف بها وإهمال الجسد وتعذيبه "تقوم الرهبانية المسيحية على ثلاثة مبادئ: 1-الفقه 2- الفقر 3- الطاعة"<sup>4</sup>.

لكن الرواية تكشف الوجه الآخر لحياة الرهبان، فالعزلة والوحدة والزهد والطاعة انعكست بطريقة مغايرة ومناقضة للأصل، "وقد عرفت المسيحية جيوشاً من الرهبان من الذكور والإناث، اعتزلوا العالم وسكنوا الأديرة وعدوا أنفسهم بذلك أقرب إلى الله من جميع عبادته، وقد عرفت الأديرة ألواناً من الفساد والانحراف"<sup>5</sup>.

تعددت أشكال الانحراف والفساد في مجتمع الأديرة، بداية في حقيقة الإيمان؛ إذ لم يكن الإيمان والخوف من الله هو الباعث الحقيقي لانتماء\* الرهبان للدير، "كيف أصبحت راهباً؟ ففقهه الراهب: لعلك تعتقد أن ذلك بسبب القداسة؟ كم أنت مخطئ! بسبب الفقر...، عليك أن تدخل كي لا تفتس

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 245.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 245.

\* "عدم الزواج من الأمور الواجبة على الرهبان، فالراهب والراهبة يأمران بعدم الزواج باعتبار أنه مناف لباب التقرب إلى الله". عجيبة، أحمد علي: الرهبانية المسيحية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م، ص 89.

<sup>3</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 235.

<sup>4</sup> عجيبة، أحمد علي: الرهبانية المسيحية، ص 88.

<sup>5</sup> شلبي، أحمد: الرهبانية المسيحية، ص 228.

\* "يقصد بالانتماء، سواء مجمل المواقف التي تميز الانضمام إلى جماعة أو مؤسسة ذات طابع ديني، أو مجمل آليات الانضمام والانخراط والمشاركة الشكلية في حياة هيئة تتمتع بتنظيم معين ولها صبغة دينية دائماً. أكوايفا، سابينو: علم الاجتماع الديني، ت: عز الدين عناية، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2011، ص 104.

من الجوع"<sup>1</sup> وهذا كان جلياً في وجوههم التي خبا منها نور الإيمان وشعور الراحة، "أحاطنا الرهبان، وبدأ الحديث. عيون خبيثة، وشفاه لا ترتوي، ولحى، وشوارب، وآباط تفوح منها رائحة الخراف"<sup>2</sup> وفي تعاملهم مع بعضهم فقد اختفت الرحمة والمحبة التي نادى بها المسيح، فكانت معاملتهم للراهب زكريا دونية "بينما كان رئيس الدير ماراً من أمامي رفسني برجله وكأنني كلب، واندفع الآباء يضحكون وبقيت أنا صامتاً"<sup>3</sup>. وألصق به التهم الباطلة، "إن فيه الشياطين السبعة، لا تصغ إليه! إن روحه ملوثة وهو يرى الدنس في كل مكان"<sup>4</sup>. فكانت الرهبنة القناع الذي يخفون خلفه حب الدنيا ومتاعها، فأصبحت أخبار العالم الذي أقصو أنفسهم بعيداً عنه تهمهم، ينقبون عنها بنهم شديد في عيون الناس وفي أوراق الجرائد "ألم تأتي بجريدة؟- جريدة؟ ما حاجتكم إليها هنا؟ فهتف راهبان أو ثلاثة باستنكار:- جريدة لنرى، أيها الأخ، ماذا يجري للعالم"<sup>5</sup>؛ محاولين الانفلات من القيود المنغلقة على الذات والانعتاق من العبودية والانفتاح على العالم؛ "لقد نفاهم العالم، لكنهم، هم، لم ينفوا العالم. كانت أعينهم مليئة بمدن كبيرة، ودكاكين، ونساء، وصحف...."<sup>6</sup>، منكبين على جمع الأموال لجيوبهم الخاصة بشتى الطرق؛ "لقد وصل رئيس الدير، وتحدثنا قليلاً، لكنه أصم أذنيه، فهو لا يريد أن يتخلى عن الغابة من أجل قطعة خبر، كما قال: إن المحتال يطلب أكثر من ذلك"<sup>7</sup>، من الفلاحين والفقراء "في الخلف كان الأب دوميتيوس الضخم، يلم الصدقات في صينية، ويرش ماء الورد على جباه الفلاحين الغليظة"<sup>8</sup>، دون تنزه أو تعفف بحجج واهية "سنذهب للقيام بجولة

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 243.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 246.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 246.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 256.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 246.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 246.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص 254.

<sup>8</sup> المصدر السابق، ص 359.

في قرى كريت، حتى يسجد المؤمنون أمام نعمتها ويأتوا بعطاياهم. إننا بحاجة للمال، لكثير من المال كي نرمم الدير المقدس"<sup>1</sup>.

وكان لهذه الأموال التي اتخمت جيوب رجال الدين دورٌ كبيرٌ في الفساد والانحراف الذي عمَّ وطمَّ في الأديرة، كما كان العزل والانعزال المستحکم "الرهبان، هنا، يقيدون حتى البراغيث"<sup>2</sup>، وعدم قدرتهم على الزواج\* أثراً سلبياً، فسيطرت عليهم الشهوات ومارسوا الشذوذ؛ "أما عن شذوذ القسس ورجال الدين وارتكابهم اللواط فقد استفحل أمره وهذا الشذوذ قديم"<sup>3</sup>، وانتشرت بين أروقة الأديرة المثلية الجنسية: "برغم ذلك - كانت الكنيسة تعرف جيداً - كان هناك مثليون داخل صفوفها نفسها ومع انتشار الأديرة بدأ القانون الكنيسي يعاني اضطراباً عصبياً عارضاً"<sup>4</sup>، "يا للخبث! إن الذناب لا تأكل بعضها بعضاً، أما الرهبان، فبلى!"<sup>5</sup> ومع تفشي الفساد أصبح البابوات والقساوسة يباشرون هذه الأفعال الشاذة تحت ذريعة الغلمانية\* "وهي نوع من التعليم العالي، نظرياً ما كان يحدث هو أن الصبي عندما كان ينهي تعليمه التقليدي يعهد به إلى رجل أكبر، ليأخذه تحت جناحه ويكون مسؤولاً عن تطوير الصبي أخلاقياً وثقافياً يعامله بطيبة وتفهم ويفيض عليه بالحب الصافي"<sup>6</sup>، فكان لكل أب تلميذ يتعهده بالتربية والتعليم؛ "ظهر راهب شاب عند العتبة وأضاءت الشمس شعره الذهبي ووجهه المستدير المزغب، وغمز الراهب ذو لسان الأفعى بعينه الأب المضيف. وابتسم

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 359.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 383.

\* "كانوا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قريتهم والاجتماع بهن، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهم في الطريق والتحدث إليهن ولو كنَّ أمهات أو أزواجاً أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية". عجيبية، أحمد علي: الرهبانية المسيحية، ص 58.

<sup>3</sup> غزال، مصطفى فوزي: فضائح الكنائس، (ط1، دار القبلة للثقافة، جدة، 1991م)، ص 103.

<sup>4</sup> تا ناهيل ري: قصة الجنس عبر التاريخ، ص 147. "وقد عملت الأديرة على محاربة هذه الظاهرة من خلال تحريم نوم اثنين من الرهبان في سرير واحد، وأن تترك مصابيح المضاجع مشتعلة طوال الليل، كما جردت من شرف منصبه من يمارس ذلك".

<sup>5</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 250.

\* "تستخدم مفردة الغلمانية Pederasty لوصف الانجذاب الجنسي لشخص بالغ نحو طفل غير ناضج، أما المثلية Homosexuality تكون بين شخصين بالغين من نفس المرحلة العمرية". تا ناهيل ري: قصة الجنس عبر التاريخ، ص 79.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 79.

كلاهما ابتسامة خبيثة، وقالوا: - أيها الأب ديميتيوس، هو ذا تلميذك، غابرييل<sup>1</sup>، ولكنه كان يطلب أكثر من ذلك "التفت ديميتيوس، ونظر إلى الراهب الصغير وقال له شيئاً ما. وهزّ الراهب الصغير برأسه، وكأنه يرفض"<sup>2</sup>، وانتهت محاولات الأب المتكررة وإصرار الراهب على الرفض بسماع صوت طلقة مسدس: "كان ثمة جسد ممدد، مغطى بثوب راهب... فتمتعت وأنا أرتعد: الراهب الصغير! راهب الأب دوميتيوس الصغير الأشقر!"<sup>3</sup>؛ وانتهت حياته بدم بارد؛ فلم يتورع الأب دوميتيوس اللوطي من قتل التلميذ الصغير ولم توجه له أي تهمة ولم ينل أي عقاب "بخصوص طلقة المسدس؟ لا تهتم بالأمر، أيها الرئيس. إن زكريا على حق: سادوم وعاموره\*! لقد قتل ديميتيوس الراهب الصغير الجميل. هذا هو الأمر!"<sup>4</sup>؛ وهذا ما وصل إليه الدير انهيار أخلاقي، أشكال من الفسق والفجور يمارسها رجال الدين مستترين خلف الزي الكهنوتي وأسوار الأديرة، مستغلين الدين كغطاء لخداع العامة.

حرر "كازا نتزاكي" سهام النقد الموجع للمؤسسة الدينية، وهو الذي عايش رهبانها "بهدف تحقيق الاتحاد مع الله، دخل كازا نتزاكيس إلى أحد الأديرة وأقام فيه لفترة وجيزة استمرت ستة أشهر"<sup>5</sup>، والظاهر أنه وعى الاهتراء الاجتماعي الحاصل داخل المؤسسة، وشهد سقوط القيم والمبادئ الرهبانية الحقّة. فهو يرى أن التفوق على الذات والتمركز حول شبح الشخصية المؤلمة بما تصدره من قوانين صارمة تستدعي البؤس والشقاء للجسد؛ "إن عقلاً عاجزاً، مثل الجسد العاجز، يثير في الشفقة

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص248.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص250.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص265.

\* "هذا المكان أصابه الدمار بمشيئة الله كما ورد في التوراة والقرآن اقتصاصاً من أهلها لممارستهم اللوطية الواسعة. ويعتقد أن موقع هذه البلدة تاريخياً هو في الجزء الجنوبي من البحر الميت". كمال، علي، الجنس والنفس، 1990، ص238.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص268.

<sup>5</sup> كازانتزاكيس، نيكوس: الحرية أو الموت، ط1، ت: رحاب عكاوي، دار الحرف العربي، بيروت، 2007م، ص9.

والاشمئزاز معاً<sup>1</sup>، ويوضح عجزهم عن كبح جماح رغباتهم، فهوهم غالب قاهر لمبادئهم، "أحرى بهم أن يشنقوا أنفسهم! إن الشيطان يسكنهم جميعاً. أحدهم يريد امرأة، والآخر سمكاً والآخر مالاً، والآخر صحفاً... لماذا لا ينزلون إلى العالم، ليشبعوا من كل ذلك ويظهروا عقولهم"<sup>2</sup>، وما الفائدة من كل هذا التقيد والتكشف والتحامل على النفس وهي لا تتبع من قلب مؤمن، "يا للخسارة أن يكون مثل هذا الكشف، ومثل هذا النبيل، دون روح من الآن فصاعداً"<sup>3</sup>، هم رجال دين ظاهرياً ضؤل إيمانهم الحقيقي، من شدة اليأس وقلة الحيلة وتردي الحال في الأديرة، والرواية تضعنا أمام تساؤلات عدة، كيف تبدل رجال الدين من أصحاب قضية تائرين في وجه الظلم، ينادون بالعدل وينشرون الفضيلة إلى شواذ ومشعوذين ومرترقة؟ كيف نسوا مبادئهم النبيلة ورسالتهم السامية واستبدلوا قيمهم وأخلاقهم؟ وأي صدمة سيتعرض لها عامة الناس عندما ينهار التمثال المتخيل وينزل الستار عن الشخصية المؤلهة!

"لو كنت، أنا رسام أيقونات، لرسمت العذراء دون عيين، دون أدنين، دون أنف، لأنني أشفق عليها"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص242.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص249.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص266.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص257.

## الفصل الثاني

### البعد النفسي

الرواية نصّ إنسانيّ نابضٌ بالحياة، زاخرٌ بالأحداث والمواقف المفعمة بالعواطف والمشاعر الدفينة، التي تؤثر في العلاقات الشخصية والأنشطة الفكرية للفرد، وتُلاحظ من خلال الظواهر والانفعالات لديه، وتحليل سلوكه والدوافع التي أثرت به، وذلك بتفكيك مضمون النص وتحليل العلاقات فيه معتمداً على ما يقدمه علم النفس للإحاطة بالبنية الإنسانية المعقدة ونواميس الحياة والتعرف إلى ماهية الإنسان وكيونته، "توصل علماء النفس التحليلي إلى الكشف عن الدوافع العميقة للسلوك في أغوار النفس وهدفهم البعيد هو الوصول إلى حل للمشكلة الكبرى، مشكلة الحياة... ولما كانت مشكلتهم الكبرى فهم الحياة والإنسان فقد وجدوا في تلك الحقائق ضالتهم"<sup>1</sup>.

وقد أكد "فرويد" رائد علم النفس، على مكانة الأدب ودوره في توضيح آرائه وتأكيد نظرياته النفسية، وأن له الفضل في إزاحة الستار عن عوالم العقل الباطن<sup>2</sup>. وتعد الرواية حاضنة لامتزاج فني نفسي يستوعب الملامح الإنسانية المتنوعة والتغيرات في المشاعر والدوافع والميول والأفكار.

إذ "يستطيع المرء أن يتلمس النفسية في كل شيء، في كل أثر تخرجه يد الإنسان"<sup>3</sup>، ولدراسة الشخصيات واكتشافها وربطها بآراء علماء النفس، ونخوض معهم في دهاليز النفس الإنسانية حتى نصل إلى الحقيقة "عمدوا إلى الشخصية الإنسانية بالذات يريدون استلهاها والغوص إليها والنفاذ إلى أعماقها والصدور عنها صدوراً مباشراً"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> إسماعيل، عز الدين: التفسير النفسي للأدب، ط4، دار العودة، بيروت، 1981، ص210.

<sup>2</sup> يُنظر: المختاري، زين الدين: المدخل إلى نظرية النقد النفسي، د. ط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص9-11.

<sup>3</sup> الديدي، عبد الفتاح: الخيال الحركي في الأدب النقدي، ط1، دار المعرفة، القاهرة، 1965، ص37.

<sup>4</sup> المصدر السابق: ص33.

إنّ انفتاح النص الروائي نفسياً أكسبه واقعية ملموسة قريبة من كُليّتنا، ارتقت به في سلم الأدب، وأضاء آفاقاً جديدة في عالم الإنسان الغامض.

تدور أحداث الرواية بين شخصيتين متفاوتتين ثقافياً واجتماعياً وفكرياً، جمعتهما روابط وأواصر قوية، وهذا مما يثير الدهشة، كيف استقامت هذه العلاقة وعلى ماذا بنيت؟

لتوضيح ذلك فإنّ الأمر "يتطلب غوصاً عميقاً في أغوار التحركات الباطنية ويستلزم كثيراً من التأمل والسفر الداخلي والتجربة وملاحظة الانفعالات والدراسة النفسية الواعية"<sup>1</sup>.

زوريا هو الشخصية الرئيسية في الرواية التي وسمت باسمه، في منتصف العقد السادس من عمره واسمه ألكسس زوريا، وهو "طويل القامة جداً، نحيل، جاحظ العينين"<sup>2</sup>، مارس في حياته "كل المهنة: بالرجل، واليد، والرأس، كل شيء ولا ينقصني إلا أن أختار"<sup>3</sup>، لقب بألقاب كثيرة ومتنوعة حسب شكله وظروف عمله، منها السندباد؛ حيث صال وجال وأمضى حياته مسافراً متنقلاً بين البلاد، يستنشق عبق الحرية، ويُعظم روح المغامرة، مكتسباً خبرة إنسانية عميقة وفلسفة وفكراً خاصاً به من وحي تجربته. فكانت الحياة مدرسته الأولى والأخيرة "إنّ هذا الرجل لم يذهب إلى المدرسة، ولم يتبلبل عقله. لقد رأى من جميع الألوان، وانفتحت نفسه، واتسع قلبه، دون أن يفقد شجاعته البدائية"<sup>4</sup>.

شخصية زوريا في الرواية قوية ومهيمنة، ذات وزن وكثافة في النص، انعكست من خلال علاقتها مع الآخر وردود أفعالها والحوارات المباشرة التي كشفت عن آرائه ونظرياته النابعة من نفسيته والمؤثرة

<sup>1</sup> عاصي، ميشال: الفن والأدب، ط3، مؤسسة نوفل للطباعة، بيروت، 1980، ص165.

<sup>2</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص15.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص17.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص84.

في شخصيته، فهو " الإنسان البدائي الذي يبلغ الجوهر عن طريق تحطيم قشرة الحياة؛ المنطق والأخلاق والصدق"<sup>1</sup>، ولكن تظل أهم قضية محورية أثرت على حياته وفي قراراته ومسيرته هي:

## 2.1 الحرية:

هاجس الإنسان وغايته المنشودة والهدف الذي يبتغي تحقيقه، والدليل على إنسانيته، عيي أن تحصره كلمات "فالحرية غير قابلة للتحديد ولا للتسمية، فهي لا تقبل أن توصف"<sup>2</sup>، هي إحساس أنك تطلق بروحك عاليًا، وشعور لا يحتاج أدلة ولا براهين، هي قرار داخلي نابع من ذاتك "لا تأتي الحرية من الخارج، ولا تحتاج إلى شيء لإنباتها، بل يكفي أن أقرر أنني حر كي أكون حرًا"<sup>3</sup>، وفي محاولة للمفكر البريطاني "آيزايا برلين" في حصر جوهر الحرية يقول: "إنها تكمن على الدوام في القدرة على اختيار ما ترغب في اختياره، لأنك ترغب في الاختيار على هذا النحو، دون إكراه، ودون تهريب، ودون أن يبتلعك نظام واسع النطاق، وفي الحق في المقاومة، والخروج على السائد والمألوف، والدفاع عن معتقداتك لمجرد أنها معتقداتك أنت. هذه هي الحرية الحقيقية، وبدونها لا توجد حرية من أي نوع، ولا حتى وهم خيالي يحلم بها"<sup>4</sup>.

زوربا في حياته سعى لأن يخلع كل القيود ويتحرر منها ويعيش معنى الحرية بكل كيانه وإنسانيته، وكان شديد الاستياء من المجتمع الذي استكان للذل والخضوع "إن مشكلة الحرية ليست مسألة باطنية محضة تخص الذات وحدها، بل هي مسألة اجتماعية واقعية تخص الحياة العينية للإنسان باعتبارها دراما حية تنشأ بين الفرد والعالم المحيط به"<sup>5</sup>، وقد ربط كل معاني الإنسانية في الحرية،

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص194.

<sup>2</sup> سارتر، جان بول: الوجود والعدم، ت: عبد الرحمن بدوي، ط1، منشورات دار الآداب، بيروت، 1966، ص700.

<sup>3</sup> بدوي، عبد الرحمن: دراسات في الفلسفة الوجودية، د ط، منشورات دار الثقافة، بيروت، 1973، ص101.

<sup>4</sup> برلين، آيزايا: الحرية، ت: معين الإمام، د ط، دار الكتاب، مسقط، 2015، ص6.

<sup>5</sup> إبراهيم، زكريا: مشكلة الحرية، ط3، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1971، ص82.

وحين سئل: "إنسان؟ ماذا تعني؟ قال: ما الغرابة؟ أعني حراً"<sup>1</sup>، وقد أثارت الفتاة "لولا" التي تعرف عليها في "كانت" غضبه عندما قالت له "لا أريد أن أكون حرة"<sup>2</sup>، وجعلته يتساءل\* "أنا أعتقد أن الذي يريد أن يكون حراً هو وحده مخلوق إنساني. المرأة لا تريد أن تكون حرة. إذن، فهل المرأة مخلوق إنساني؟"<sup>3</sup>، الغريب أن هذا الأمر لم يثر انتباهه ولا عجبه عندما حدثته به السيدة "هورتانس" التي عبرت عن سعادتها، وهي سجينه القصور "لم يكن سليمان باشا ليتركني أخرج للتنزه يوم الجمعة. كان يخشى أن يراني السلطان وهو ذاهب إلى الجامع، فيسحره جمالي، ويأمر بخطفي. وكان عندما يخرج صباحاً من عندي، يضع ثلاثة عبيد على بابي كي لا يقترب أي ذكر"<sup>4</sup>، وزوربا يعتقد أن الحرية أهم أولوية للإنسان "الإنسان الذي يتخلى عن حريته إنما يتخلى في الوقت نفسه عن إنسانيته"<sup>5</sup>، ولكن ثمنها باهظ جداً ولن يحصل عليها إلا من يستحقها فهي نتيجة تضحية كبيرة وجزاؤها سعادة غامرة، كما حدث حين تحررت كريت، عبر زوربا عن ذلك بقوله: "هل رأيت شعباً يصبح مجنوناً بأجمعه لأنه استعاد حريته؟"<sup>6</sup>، ولكنه وضعنا أمام تساؤل صعب حول ثمن الحرية، لماذا يجب أن يكون الطريق إليها ملطخاً بالدم؟ إذ "لا بد من الجرائم والندالات الكثيرة، حتى تحل الحرية في هذا العالم؟"<sup>7</sup>، لماذا على الإنسان أن يقدم التنازلات ويعاني من الآلام والصعاب ليحصل على الحرية؟ "لو رحمت أعدادك كل ما ارتكبه من قذارات واغتيالات، لوقف شعر رأسك"<sup>8</sup>، هل

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص22.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص193.

\* "إن فكرة الحرية التي تعبر عن عليية العقل، كون الكائن العاقل الذي يستخدمها لا يعتبر ذاته حرة، هذه الفكرة تتوقف من حيث إن هذا الكائن كائن عاقل". كانط، إمانويل: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ت: محمد الشنيطي، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1970، ص165.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص194.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص167.

<sup>5</sup> إبراهيم، زكريا: مشكلة الحرية، ص248.

<sup>6</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص34.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص33.

<sup>8</sup> المصدر السابق، ص33.

ممارسة حق الحرية يحتاج ويستحق كل هذا؟ نعم، إنَّ أي حرية يكتسبها الإنسان لا تأتي من تلقاء نفسها، بل على الإنسان أن يسعى لاكتسابها، والسعادة التي سيجريها في النهاية سنتسببها المشاق التي واجهها، "فمهما كان أمر العوائق الكثيرة التي لا بد للحرية من أن تصطدم بها في طريقها إلى تحقيق ذاتها فإن من المؤكد أن هذه العوائق أحب إلى نفسها من أي سعادة تفرض عليها"<sup>1</sup>، إذًا فالحرية لا تقدم على طبق من ذهب، وتحتاج إلى الصبر والتضحيات، فعندما أراد زوربا تعلم العزف على آلة "السانتوري" قيد نفسه سنة كاملة عند "رتسب أفندي"، وهو أستاذ ماهر في عزف السانتوري وألقيت بنفسه على قدميه"<sup>2</sup>، لأنه لا يملك المال قيد نفسه له، حتى يحقق حلمه ويعتق من عبوديته لمعلمه، "ففي الحياة الإنسانية التحرر لا يمكن أن يكون مغنماً نظراً به مرة واحدة وإلى الأبد، بل هو واجب يومي يحتم علينا أن نعبئ كل قوانا في سبيل العمل على الظفر به حيناً بعد آخر"<sup>3</sup>، فالإنسان مُكبل في مراحل عمره بألويات وحاجات حياتية، فيجهد إلى غريبتها وتقليصها ليصل للحرية المنشودة.

وهكذا عاش زوربا نسرًا محلّفًا في سماء الرواية، التي تدور أحداثها في فلك الحرية ومبنية عليها، وسأشير إلى هذه الشواهد في ثنايا الرسالة.

"باسيل" الشخصية النامية في الرواية، الملقب بـ "المعلم أو الرئيس"، وهو الراوي الذي يسرد لنا الأحداث، شاب وسيم ومتقف وثري في العقد الثالث من عمره، مصاب بهوس القراءة والكتابة وأسيرٌ بهما، قضى حياته يقلب دفات الكتب، ويملاً الأوراق البيضاء بالكلمات حتى كادت أن تخنقه، بين أشعار الأديب الإيطالي دانتي وقصائد الشاعر الفرنسي مالارميّه وتعاليم بودا وأفكاره. ومن هنا تبدأ

<sup>1</sup> إبراهيم، زكريا: مشكلة الحرية، ص 90.

<sup>2</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوربا، ص 19.

<sup>3</sup> إبراهيم، زكريا: مشكلة الحرية، ص 90.

العقدة فباسيل الذي نعتة صديقه بالفأر قارض الورق، -والحق أن ثقافة "باسيل" وقرأاته الكثيرة جلية وواضحة في أسلوبه في سرد أحداث الرواية، والكشف بدقة عن حركات النفس الداخلية وتطور الفكر الإنساني "فالفهم الأمثل للسلوك الإنساني هو ذلك الذي يقوم على فحص ما يشعر الناس به وما يعتقدونه، وليس بمعرفة ما يجري فعلاً في البيئة المحيطة بهم"<sup>1</sup> ممسكا بمتناثرات شخصية "زوربا" ويصورها لنا تصويرات ناطقاً نابضاً بالحياة- الذي يدس رأسه في جحور الكتب، ويستقي منها خبراته وثقافته دون تفاعل مع الحياة الواقعية. قرر أن يخوض تجربةً تغير مسار حياته، أن ينقذ نفسه من الذوبان والاضمحلال في الكتب، متسائلاً بدهشة: "كيف تركت نفسي أتيه، منذ زمن طويل، أنا الذي كان يحب الحياة كثيراً، بين تلك الأكداس من الكتب والأوراق المسودة"<sup>2</sup>. أراد أن يجالس بشراً ووجوهاً وألواناً وروائح نابضة، أن يضخ دماء جديدة في عروقه وأن يوسع مداركه وينوعها، رغبةً في أن يحقق ذاته عملياً وأن يدرك معنى الحياة.

ولفهم معنى الحياة عليه أن يحل ثلاثة قيود حددها عالم النفس الألماني ادلر الفريد في كتابه معنى الحياة، القيد الأول: أن على كل إنسان أن يجد عملاً يعناش منه، والقيد الثاني: أن يرتبط مع المجتمع بعلاقات تعاونية اجتماعية وبذلك سيحسن جودة العمل وسيشعر بالأمان والرفاهية، أما القيد الثالث: فهو أن يجد له شريك حياة لاستمرار الجنس البشري، وأي خلل في هذه النقاط يؤثر فيها كلها وتجاوزها يساعد في فهم الحياة البشرية<sup>3</sup>. فلو استطاع باسيل الإمساك بهذه القيود الثلاثة لتحولت حياته من الرتابة والبؤس والملل إلى حياة مفعمة خلاقية متجددة،-هذه النظرية تنطبق أيضاً على العم أنانيوستي الذي يشعر بخيبة أمل كبيرة من الحياة ويزهد بها، فهو السيد صاحب المال المسيطر

<sup>1</sup> جوردن، إميلي وآخرون: اتجاهات علم النفس المعاصر، ت: عبد الله عريق، ط1، منشورات جامعة قاربنوس، بنغازي، 1993، ص371.

<sup>2</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوربا، ص13.

<sup>3</sup> ينظر: ادلر، الفريد: معنى الحياة، ت: عادل نجيب، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2005، ص290-297.

ذو العلاقات الاجتماعية المحدودة بسبب ضعف سمعه، كما أنه كان يحتقر زوجته ويقدم المجتمع الأبوي، فلم يفهم معنى الحياة ولم يرغب بها، فقال: "لو كان علي أن أبدأ من جديد، لوضعت صخرة في عنقي مثل بافلي وألقيت بنفسي في البحر، إن الحياة قاسية"<sup>1</sup> - وبالعودة إلى شخصية باسيل فعلاقاته الاجتماعية ضيقة جداً، وخبراته العملية ضئيلة. لذلك قرر أن ينتقل للحياة في كريت ويخوض التجربة، باسيل المتذبذب بين الشرق والغرب في كريت الممزقة بين الشرق والغرب للعمل في منجم اللينيت كحجة، وإنما الهدف الذي يصبو إليه من هذه المغامرة أن يحتك بالناس وأن يتحرر من الكتب وأن ينخرط في تيار الضجيج الإنساني.

"أن أهرب من بوذا، وأتخلص في الكلمات من همومي الميتافيزيقية، وأحرر روعي من قلق غير مجد، ثم أقوم، بدءاً من الآن، احتكاكاً عميقاً ومباشراً مع البشر"<sup>2</sup>، ولكن هل يستطيع "باسيل" أن يتحرر مما علق به؟ وهو الذي استقى علمه وفكره من هذه الكتب، وأخص "بوذا" الذي يشاركه خلوته حتى مع نفسه، هو أمام امتحان صعب، عليه التحرر من القضية الجوهرية التي أثرت في حياته، وهي:

## 2.2 البوذية:

أسست على يد "سدهاتا" الهندي المولود عام 560 قبل الميلاد، وهو من عائلة مترفة، قرر في شبابه الانصراف إلى الزهد والتأمل، باحثاً عن سر الكون والحياة، حمل لقب "بوذا" وتعني العارف المستنير، دلالة على قيمته العظيمة وأثره العميق في نفوس أتباعه. وأهم مبادئه التي جعلت له شعبية بين الناس إلغاء الطبقات الاجتماعية وتساوي الناس جميعاً دون تعصب لعرق أو دين، كما أنه أنكر

<sup>1</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص 210.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 75.

وجود إله وآمن بالطبيعة والعناصر المكونة لها وعجز الإنسان أمامها، وصغر من رغبات الجسد وحقرها، واعتقد بتناسخ الأرواح، واحترم الحياة إنسانية كانت أو حيوانية، وغيرها من المبادئ والأفكار التي توصل إليها عن طريق تجربته الشخصية.<sup>1</sup>

انتشرت أفكار "بوذا" وفلسفته على نطاق واسع في العالم، وأصبحت محط اهتمام القراء والمتقنين، ومنهم كما أسلفت "باسيل" الذي نهل وارتوى من الفكر البوذي "منذ سنين، في أعماق نفسي، كانت ثمة رغبة كبيرة ترتعش: بوذا"<sup>2</sup>، وسنرى أثر سيطرة "بوذا" على شخصية باسيل في أحداث الرواية، وما غيرته الحياة في كريت ومرافقة زوربا له، وكيف أزلت عن عاتقه العوالم البوذية واحداً تلو الآخر، وجعلته يكتشف: "إننا لم نأكل، ولم نشرب، ولم نحب بما فيه الكفاية، إننا لم نحيا بعد"<sup>3</sup>، وقد استطاع التحرر من بوذا "بمعونة الابتهالات الفائقة القدرة، بمعونة الكلمة، غزوت جسده، وروحه، وفكره وبدون شفقة، كتبت الكلمات الأخيرة، وأطلقت الصيحة الأخيرة، وخطت اسمي بقلم أحمر كبير، لقد انتهى الأمر"<sup>4</sup>، ونلاحظ كيف تعامل باسيل مع مخطوط "بوذا" في بداية الرحلة بعطف وحنان، وقال: "لففته بعناية، كطفل في قماطة، وحملته"<sup>5</sup>، وكيف تغير حاله عندما وصل إلى السلام الروحي فربط المخطوط بخيط غليظ، بحزم وشدة كالذين "يقيدون أمواتهم الأعزاء كي لا يستطيعوا الخروج من قبورهم والتحول إلى أشباح"<sup>6</sup>.

وللتعرف أكثر إلى شخصية "زوربا" و"باسيل"، آثرت أن أذكر بعض من نقاط التباين والاختلاف بينهما كي تتضح الصورة، بدايةً فارق العمر بينهما ثلاثون عامًا، وهذه السنون تركت علامة على

<sup>1</sup> يُنظر: شلبي، أحمد: مقارنة الأديان-أديان الهند الكبرى، ط 5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1979، ص137-175.

<sup>2</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص14.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص173.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص304.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص14.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص304.

جسد زوريا وفكره وسلوكه، فيقول: "للتفكير بشكل عادل وشريف، لا بد للإنسان أن يكون هادئاً، مسناً، لا أسنان له"<sup>1</sup>، صاحب شخصية اجتماعية مع نزعة نرجسية تظهر في إيمانه بنفسه واعتزازه بها "لا أوّمن بشيء، ولا بأي شخص آخر، بل زوريا وحده"<sup>2</sup>، مع انفتاح على ملذات الحياة، بينما "باسيل" شخصية منطوية، وصاحب رؤية فكرية لكنها محصورة في قوالب مفروضة عليه.

وبمقارنة "صورة الجسم والشكل والمظهر الخارجي والقدرة العقلية، كل هذه محددات شخصية لها أثرها الفعال في تقييم الفرد لذاته"<sup>3</sup> زوريا يرى نفسه كاملاً، وهو يقر "إنني جاهل كالعالم أناوستي، لكنني لست أبله مثله"<sup>4</sup>، أما الجسم والشكل فقد أبدع "باسيل" في وصفه، فقال في وصف يدي زوريا: "نظرت إلى يديه اللتين تعرفان كيف تمسكان بالمعول والسانتوري، يدان جاسنتان مشققتان، مشوهتان وعصبيتان"<sup>5</sup>، وعندما قارنهما بيديه قال: "أحسست أنا بالخجل من يدي الرقيقتين، ومن وجهي الشاحب وحياتي التي لم تلطخ بالدم والوحل"<sup>6</sup>، أما من ناحية القدرات العقلية فزوريا يشك بقدرات "باسيل" قائلاً: "أنا أحس، أن عقلك ليس صلباً جداً، بل هو أشبه بالمعجنات حقاً"<sup>7</sup>، هذا العقل الذي يجيد الجمع والطرح ويوازن الأمور بالريح أو الخسارة "إنك تقول: هذا عادل، وهذا غير عادل... أنت محق أو أنت مخطئ"<sup>8</sup> فأنت لا تستطيع أن تعقل الأمور أو تبسطها "لا تستطيع أن تفعل شيئاً دون لماذا؟ من أجل لا شيء، لمجرد اللذة"<sup>9</sup>، وبسبب قلة خبرته وتجاربه وصفه زوريا:

---

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 31.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 73.

<sup>3</sup> فهمي، مصطفى: علم النفس الاجتماعي، ط 3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979، ص 64.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 83.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 20.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 32.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص 73.

<sup>8</sup> المصدر السابق، ص 283.

<sup>9</sup> المصدر السابق، ص 16.

"عقل بريء، وجسد لم يعرف الشمس"<sup>1</sup>، بينما "باسيل" وجد في زوريا ما كان يبحث عنه "قلب حي، وفم واسع نهم، روح خام كبيرة"<sup>2</sup>.

زوريا العجوز المحب للحياة والطعام والنساء والسفر، يتعايش مع المرأة ورجال الدين والعمال والمستثمرين، وفي عقله خليط من الثقافات وأسماء البلاد والأماكن التي زارها، هذا المزيج نحت في ذاكرته ثقافات وحكايات وتراث الشعوب، ومع كل هذا بقي محافظاً على هويته وثقافته اليونانية. وهذا عكس حال "باسيل" المتأثر بالثقافات العالمية، فهو يوناني متحفظ يشبه المستشرقين، فقد جاء إلى أرض كريت بحجة مشروع استثماري ولكن في الحقيقة كان له مآرب أخرى "إنّ الفحم ليس إلا نريعة، كي لا يتدخل الناس في شؤوننا، كي يظنوا أننا عاقلون"<sup>3</sup>.

عرض "زوريا" آراءه في الرواية من خلال الحوار بشكل مباشر وصريح، وغالبًا ما كان في الليل، على ساحل البحر، فعندما يقول "باسيل": "حدثني، زوريا، حدثني"<sup>4</sup>، وهذه العادة اكتسبها "باسيل" عن جده الذي كان يستضيف أي غريب يأتي إلى القرية، ويقول له: حدثني، عن البلاد التي مررت بها. فهو لم يغادر قريته أبداً - تبدأ جلسات السمر وطقوس الحديث، مع الطعام والشراب، يفغر زوريا فاه، كاشفاً عن الأماكن والأزمنة البعيدة والقريبة، يصرح بحقائق مستولدة أو مؤلفة من خياله ومن رصيد حكمته، يستنطق الحقيقة ويحكي تجربة النهار وقصة الأمس وحلم المستقبل، وتتنوع المواضيع، حب وحرب، وامرأة و وطن، وموت وحياة، ومناجم، وكان يدعم آراءه بقصص قديمة وأغانٍ ورقصات، "وعند المساء، يحدثني وهو جالس أمامي، سندباد بحري رائع، يتحدث ويتسع العالم كلما تحدث، وأحياناً، عندما لا تسد الكلمات حاجته، ينتصب قافراً ويرقص. وعندما لا يكفيه الرقص نفسه،

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص32.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص20.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص92.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص69.

يضع السانتوري على ركبتيه ويبدأ بالعزف"<sup>1</sup>، وحين يحتد النقاش بينهما كان "زوريا" يحيل الرهان إلى كتب "باسيل" وما قرأ فيها ساخرًا منه، ولعل "زوريا" كان يشعر ببعقدة النقص أمام علم وثقافة "باسيل" وكان يريد تعويض ذلك عن طريق مهاجمته وادعاء أن كل ما تعلمه سطحي وغير واقعي، مشكلاً ضغطاً عليه، "فيقول له "باسيل": "إلى الشيطان، بكتبي!"<sup>2</sup>، وقد أثر ذلك في تغيير حياة "باسيل" حتى قرر "أن آخذ إسفنجة وأمحو كل ما تعلمته، كل ما رأيته وسمعته، ثم أدخل إلى مدرسة زوريا وأبدأ بالأبجدية الكبيرة، الحقيقة! كم ستكون الطريق التي سأسلكها مختلفة! سأدرب حواسي الخمس، جلدي كله، كي يتمتع ويفهم"<sup>3</sup>.

وقد عالجت الرواية عدة مواضيع وقضايا نفسية منها:

### 2.3 قضية الطعام:

الحفاظ على الحياة غريزة مسيطرة على الإنسان، والجسم وحاجاته العضوية والفسولوجية<sup>4</sup> أهم أولوياته، وأبلغها أهمية في حفظ النوع والبقاء واستمرار الجنس البشري، الطعام.

إذ تهدف هذه العملية إلى امداد الجسم بما يحتاجه من فيتامينات ومعادن تصل إلى الدم والخلايا وتشعره بالسعادة واللذة، وتساعده للقيام بمهام الحياة الأخرى، وهذا ما يفهمه ويطبقه زوريا جيداً، فهو يوازن بين حاجات الجسد ورغبات النفس ولا يحرّمها.

تبدأ قضية الطعام في الرواية عندما تعجب "زوريا" من رفض "باسيل" تناول الطعام قائلاً: "لست جائعاً!... لكنك لم تأكل شيئاً منذ الصباح يجب أن تهتم بالجسد أيضاً، أشفق عليه"<sup>5</sup>، زوريا كان

<sup>1</sup> | كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص 117.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 161.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 98.

<sup>4</sup> فهمي، مصطفى: علم النفس الاجتماعي، ط3، 1979، ص 181. "تشمل الحاجات الفسيولوجية احتياجات البقاء على قيد الحياة، مثل: الجوع، والعطش، والجنس، والراحة، والنوم وما أشبه، وهي عامة لجميع البشر، تمتاز بأنها فطرية وضرورية لبقاء الإنسان وحفظ النوع."

<sup>5</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص 47.

يعظم الطعام الذي يقود إلى بقية لذات الجسد، ويقول ناصحاً "لباسيل": "أطعمه فهو حمارنا الصغير، فإن لم تطعمه، تركك في منتصف الطريق"<sup>1</sup>.

بالمقابل "باسيل" كان يزدري ملاذ الجسد، ويرى "أن الجسد هذا سيتمدد وهو فاقد الوعي والشعور"<sup>2</sup> وأن سمو الروح ورفيها باقيان وأن اتباع الرغبات والشهوات يجلب الحزن والهم والأوهام.

لذلك كان يخجل من تناول الطعام، محاولاً ضبط أهوائه والتغلب على شرور نفسه، ليصل إلى درجة القدسية والرضا "فكل من يقود جماع نفسه تبعاً لنظام الطعام المتواضع، دائماً يفكر وهو ظاهر.... هذه هي تعاليم بوذا"<sup>3</sup>، وكانت هذه أول إشارة تكشف أبعاد شخصية "باسيل" وطريقة تفكيره، ومع تعاطف "زوريا" واهتمامه بحال "باسيل" بهدف أن يصبح أكثر قوة، تغير "باسيل" وفهم "أن الأكل أيضاً عملية روحية، وأن اللحم، والخبز، والخمر، هي المواد الأولية التي تصنع منها الروح"<sup>4</sup>.

يبدأ التفكير بالطعام عند الإحساس بالجوع، هذا الإحساس يسيطر على كل انفعالاتنا ويثيرها، ويدفعنا إلى إخماده بتناول الطعام لتعود السكينة إلى النفس "إذا كنت جائعاً شاعراً بألم الجوع، ومتى أكلت وشبعت حل السرور محل الألم وتنقل إلى اللذة"<sup>5</sup>، هذه اللذة التي وصفها "باسيل" بعد تمام الطعام قائلاً: "لقد أتم الطعام معجزته! لقد هدأ الجسد الجائع! إذن فقد هدأت أيضاً النفس"<sup>6</sup>، عندما يسيطر الجوع على تفكير الإنسان، يشتته ويبعثه، ويجد نفسه يتجه بكل حواسه نحو الطعام، حتى الكلام

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص 48.

<sup>2</sup> شبلي، رؤوف: الأديان القديمة في الشرق، ط2، دار الشروق، بيروت، 1983، ص 157.

<sup>3</sup> السابق: ص 183.

<sup>4</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص 89.

<sup>5</sup> حداد، نقولا: علم أدب النفس، د ط، المكتبة العصرية، بغداد، 1928، ص 56.

<sup>6</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص 237.

يصبح عنه "وجهنا الحديث إلى الطعام ولم نشأ أن نبدل الموضوع"<sup>1</sup> ومعه ينسى كل همومه وما يشغله "فعدما تمتلئ بطوننا، سننسى كل ذلك، هذا ما أريده بالضبط! فتلك هي قيمة الطعام"<sup>2</sup>.

وهذا يقودنا إلى عملية تحضير الطعام، حفلة المطبخ اليومية، وفيها نلاحظ حركة الشخصيات الجسدية وسرعتها وأسلوبها في التعامل مع بعضهم، ونتعرف إلى المكان والمطبخ والأطباق والأواني وطريقة إعداد الطعام "أخذ قبضة من الأغصان من الزاوية، وخرج، ووضع حزمة الأغصان بحذق بين الحجرين وأشعل النار. ووضع قدر الفخار، وصب ماء فيها، مع البصل والبندورة والأرز وبدأ الطبخ"<sup>3</sup>.

هذا دور "زوربا" في إعداد الطعام أما "باسيل" يضع أدوات المائدة على الطاولة المستديرة الواطئة، ويقطع قطعاً سميكة من خبز القمح، ويصب الخمر"<sup>4</sup>، هذا التعاون أعطى حيوية ونشاطاً لشخصيات الرواية وكشف عن أبعاد نفسية وفكرية ووضح رؤى ومعتقدات وحرك السرد ودفع إلى تطور الأحداث سواء أثناء الإعداد أو التناول.

"زوربا" تعامل مع الجسد على أنه آلة ولكي تعمل تحتاج للوقود، وما الطعام إلا "عملية الإمداد بالوقود التي تبقى ذبالة الفرد مشتتة"<sup>5</sup> وما أن تبدأ عملية الاحتراق وتنتج الطاقة، حتى تتحول إلى عمل وأحاديث ورقص وغناء ونساء.

---

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص 218.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 235.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 90.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 90.

<sup>5</sup> فوستر، أ. م: أركان القصة، ص 61.

"ما إن يلقي، بالفحم إلى الآلة، حتى ينتعش كل مصنع جسده الخامد المتعب، ويندفع، ويبدأ بالعمل، وتشتعل عيناه، وتطفح ذاكرته، وتثبت له أجنحة في قدميه، ويرقص"<sup>1</sup>، لقد كان تصارع الطعام الخفي في أمعاء "زوريا" يثير في نفسه تساؤلات وتأملات، ما بين إبداعات ومخلفات "قل لي ماذا تفعل بما تأكله فأقول لك من أنت، هناك من يحولون هذا إلى شحم وقذرات، وآخرون إلى عمل وإلى مزاج طيب، وغيرهم إلى آله"<sup>2</sup>.

ولكن ما الذي أراد أن يعرفه دون خجل من مخرجات الناس؟ على ما يبدو فإن "زوريا" كان يقيم الناس ويميزهم من مدخلاتهم ومخرجاتهم. فهو يعتقد أن الطعام الدسم يجب أن يتحول إلى متعة ونشوة تملأ القلب بالسعادة "ألا تشفق على الحمل، أنت؟ ستتركه يضيع هكذا؟ هيا تعال! ليصبح رقصاً وأغاني"<sup>3</sup>، هكذا خاطب "باسيل" كي يشعل قوته وشبابه، وكرر عليه "إن الأوردة تطفح بالقوة، والقلب بالطيبة، والحمل يتحول إلى أسد"<sup>4</sup>.

وقد تنوعت الموائد التي عرضت في الرواية، والمعروف أن الجلوس على مائدة واحدة يشعر الأفراد بالقربى والود والتواصل، والموائد المتنوعة في الرواية عرفتنا على طبقات المجتمع:

أول مائدة تعرفنا عليها هي مائدة العشق والتواصل الجسدي، مائدة السيدة "هورتانس"، حيث يجتمع عندها عناصر الإثارة "الطعام والأنثى"، وقد عرفت السيدة كيف تجذب "زوريا" لها، فكل لقاء غرامي مهدت له بطعام فاخر أعدته بكل حب، لتضمن وصاله وتشبع حاجاتها الجنسية "في كل أحد، تدبج لنا دجاجة، ونجلس من جديد، لنشرب ونأكل، ثم يمد "زوريا" يديه الطويلتين إلى صدر السيدة

<sup>1</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص 89.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 89.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 297.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 365.

الطبية المضيف، ويمتلكه"<sup>1</sup>، وقد أشير في الرواية إلى الطعام المخصص للقوة والقدرة الجنسية، ف "زوريا" لا يأكل "الا كل ما هو مقو: كافيار أسود، وشرائح لحم، وسمك، وليمون معصور، وقطايف. وقمنا بالحب مرة أخرى"<sup>2</sup>.

أما مائدة العم "أنانيوستي" فكشفت عن مكانته الإجتماعية، ومن خلالها تعرفنا على البيوت الكريتيية، ودور المرأة في تحضير الطعام وترتيب المائدة وأدوات الطعام، وتعرفنا على نوع من الأكلات الشعبية هناك وهي "أعضاء الخنزير" ومن المعروف أن الطعام جزء من حضارات الشعوب وثقافتها، وقد لا تروق للبعض ولا تأتي على ذوقهم "كباسيل" إذ قال: "أحسست بالقرف من تذوق هذه المقبلات"<sup>3</sup>، أما مائدة العيد التي تحوي اللحم، والبيض، والكعك والتي تختصر الاحتفالات بالعيد وفرحته، وتنعكس على نفسية الشخصيات بالأكل الكثير والشرب واللذة، يقابلها مائدة الحزن والإحباط والأسى، حيث تنعدم الرغبة بشكل مؤقت عن مباحج الحياة ويعزفون عن الطعام بسبب الألم "كان زوريا يعمل، دون توقف، دون تنهد، دون طعام، ودون شراب، كان يذوب"<sup>4</sup>. ومائدة رجال الدين التي تتميز بالطعام الخفيف البعيد عن الدسم، فهم معنيون للوصول إلى الإلهام الروحي والصفاء النفسي والطعام الثقيل على الجسد يتقل على الروح، وبذلك يسيطرون على شهواتهم "قدم زوريا خمراً ومقبلات الصوم: سراطين مشوية، وسبيدجاً مقلياً، وفولاً مغمساً، وزيتوناً"<sup>5</sup>، أما مائدة العمال فكانت الأبسط والأخف، تتناسب ووضع العامل الاجتماعي وطبيعة عمله وهي "خبزاً، وزيتوناً، وبصلاً، وبطاطا مسلوقة، وكوز خمر صغيراً"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص72.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص192.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص80.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص317.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص292.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص144.

وقد تنوعت المثبرات الخارجية التي تثير الشهية، فمن رائحة الطعام وكميته ومن نوعه ومن يجالسك فيه تكمن المتعة، "الطعام الغزير المعنى به، والموقد المشتعل، والجسد المزين المتبرج، وعطر أزهار البرتقال.... كيف تتبدل كل هذه المتع الجسدية البالغة الإنسانية، وبأية بساطة وسرعة، إلى فرحة للروح العارمة"<sup>1</sup>. وقد وظفت الحواس في نقل صورة الطعام بشكل حسي، يكاد القارئ يشعر بطعمه، فاستخدم حاسة البصر حين وصف "المائدة مغطاة بسماط أبيض، والدخان يتصاعد من الدجاجة"<sup>2</sup>، أما الرائحة فتستقر في داخلنا وتختيلها وننتشي بها، فالروائح المشتهاة تسيل اللعاب "إن له رائحة، يا صديقي... حتى أن فمك ليمتلئ باللعب"<sup>3</sup>، أما الطعم فقد نوع في وصفه وتفنن، فشراب البطيخ الأحمر والأصفر حلو المذاق، والشواء الذي يذوب في الفم وصفه قائلاً: "يا له من خروف، إن اللعاب يتصاعد إلى فمي، عندما أفكر به! يذوب في الفم ذوباناً، كالحلوى"<sup>4</sup>.

إذن اشتركت الحواس في رسم صورة الطعام بالتناوب بين البصر والرائحة التي تنتشر الإحساس بالجوع وصولاً إلى تناول الطعام والتمتع به.

والطعام يثير الذكريات ويرتبط بها، فالرائحة المنتشرة والطعم اللذيذ له صلة بزمان ومكان وشخصيات وأسرار كامنة، توقظ فينا أحاسيس ومشاعر قديمة "إنني لم آكل في حياتي من مثل هذا اللحم اللذيذ إلا مرة واحدة. أذكر ذلك كان في الأيام... لقد رويتها لك، أنها قصة قديمة"<sup>5</sup>.

وكان وسيلة لتكريم الأعمام والتعبير عن الود والمحبة عن طريق تقديمه كهدايا "أرسل لنا كرتين من الجبن، وسلّة رمان، وجرّة من زبيب"<sup>6</sup>. وقدم أيضاً أجرّة عمل "لقد قالت إنها ستقدم لي طعاماً إذا

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 151.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 151.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 160.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 364.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 363.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 50.

أعلنت لها عن نعتها"<sup>1</sup>. كما كشف الطعام عن قاعدة أخلاقية دينية عند الشخصيات، فالسيد الذي رفض أن يفاضل بين أنواع الطعام يحبه أو لا يحبه، "لأن هناك أناساً جائعين، وصمت خجلاً... إن قلبي لم يبلغ قط مثل هذا النبل والتعاطف"<sup>2</sup>، ولمكانته الكبيرة وقدسيتها في نفوسهم أقسم به "زوريا قائلاً: "أقسم لك بالخبز الذي آكله"<sup>3</sup>. وعظماً الصائمون والتزموا به "إنني أصوم. وسأكل زيتوناً وخبزاً وسأشرب ماء بارداً"<sup>4</sup> وكان فرحتهم بالعيد التي يعبرون عنها "يصف الموائد، ويحسوا حتى أعماق بطونهم، بسر التجسد. إن البطن هو الأساس المتين... لا يمكن إلا بالخبز والخمر واللحم خلق الله"<sup>5</sup>. ويذكر لنا "زوريا" تعلقه الشديد بالطعام، فقد سيطر عليه في شبابه حب الكرز، وكان كلما أكل منه، تظل لديه شهوة للمزيد، ويسيل لعابه ويتألم، وقرر أن يوقف هذا التعلق فهو لا يسمح لشيء أن يسيطر عليه وعلى تفكيره، وللخلاص من هذه الشهوة والتحرر منها حشا بطنه بكمية كبيرة من الكرز حتى تقياً، وتخلص من الرغبة المسيطرة عليه "ومنذ ذلك الحين انتهت قصة الكرز. بل إنني لم أعد أستطيع حتى أن أتصوره"<sup>6</sup>، وهكذا تحرر من الكرز، والخمر والتبغ "إنني لا أزال أدخن، وأشرب لكن عندما أريد أن أكف، أكف إن الرغبة لم تعد مسيطرة علي"<sup>7</sup>. وهذا شكل من أشكال الحرية عند "زوريا"، وقد جذبت هذه الفكرة "باسيل" وقرر أن "سأفعل بالكتب ما فعلته أنت بالكرز. سأكل الكثير من الورق إلى أن أصاب بالقرف، وعندئذ سأتقياً وأكون قد تحررت"<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص128.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص218.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص287.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص242.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص150.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص249.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص249.

<sup>8</sup> المصدر السابق، ص376.

## 2.4 قضية المرأة:

مكانة المرأة ودورها اجتماعياً تعرضنا له صفحة "14"، وهنا ستتحدث الباحثة عن دور المرأة وأثرها في شخصيات الرواية.

والاستهلال مع الشخصية الرئيسية زوريا، فقد هيمنت المرأة على مساحة واسعة من حياته، وشغلته انحناءات الجسد وألهبت لبه، 'فجمال الجسد مرتبط بكل ما يثير جنسياً وليس كل ما يثير جمياً، ولكن الجميل هو ما يثير'<sup>1</sup>، والبوادر في مرحلة المراهقة عندما جمع المال طلباً للزواج 'كنت لا أزال غلاماً بعد، طائشاً أشعر بالحرارة في دمي، وأريد الزواج، أنا الملعون المسكين'<sup>2</sup>، واستمر تدفق سريان نبع علاقاته الحرة في شبابه، ولتعددها قرر أن يؤرشف لهن ويحصيهن، فقد كان 'معتاداً على أخذ خصلة شعر من كل امرأة تنام معي'<sup>3</sup> ويجمعها في وسادة، ومع تنوع علاقاته كانت الخصل 'سوداء، شقراء، كسنتائية، بل وأحياناً تشوبها شعرات بيض'<sup>4</sup>، لقد جمعها كما تجمع الصور، ولأن الأمر لن ينتهي أحرقها وترك الحساب.

التحرر في هذه العلاقات نصف الشريفة كما وصفها "باسيل" هي ما كانت تصبو إليه نفس "زوريا"، فيقول: "إنهن لا يسألنك شيئاً، ولا تسألهن شيئاً. الحرية، وأي حرية!"<sup>5</sup>، باحثاً عن التنوع اللامحدود في حقول العالم النسوي، يختار ويرتشف من رحيقها ثم يبحث عن زهرة غيرها " إن المرأة لنبع بارد: تنحني فوقها، ترى وجهها، وتشرب، وتشرب... ثم يأتي غيرك... إنها نبع وأنا عابر سبيل"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> نويل، جان بلامان: التحليل النفسي والأدب، ط2، ت: عبد الوهاب ترو، منشورات عويدات، بيروت، 1999م، ص47.

<sup>2</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص19.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص106.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص106.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص107.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص109.

حال "زوريا" هذا يضعنا أمام تساؤلات عدة، هل كان "زوريا" زير نساء وأي عاطفة جمعته بهن؟ وعن ماذا كان يبحث؟ عن الأم أم الوطن أم المرأة النموذج؟ وماذا تولد عن هذه المسيرة الحافلة؟

"زوريا" قدس الجسد الأنثوي بشكل عام، لا يهमे كثيراً إن كان جميلاً أو صغيراً أو كبيراً "فالدجاجات العجوز تصنع المرق الطيب"<sup>1</sup>، إن ما بحث عنه هو المتعة واللذة في علاقة منفتحة بلا شروط، مع أي أنثى يستطيع الحصول عليها، وقد وصف "كير كجور" الفيلسوف الدنماركي صاحب هذه الشخصية أنه شخص حسي "يعيش لما هو ممتع، إنه يريد الاستمتاع والتنوع في الحياة، ويسعى لتجنب الملل بوصفه أسوأ شر يمكن أن يصيبه، أنه يحيا ليجد الإشباع المباشر لرغباته، ويتجنب أي التزام طويل المدى"<sup>2</sup>، إذن هذه المتعة بالنسبة له إشباع لرغباته وتأكيد لذاته الحرة واكتمال لصورته النرجسية "لقد كان هناك دوماً، في كل مدينة أحط فيها قدمي، وعلى الرغم من أنني قد أصبحت الآن مسناً وقبيحاً كقرود لا أعطني بثيابي، امرأتان أو ثلاث ليجرين ورائي. إنهن يتبعن أثري كما ترى، أولئك الكلبات. ليباركهن الله"<sup>3</sup>.

زوريا الذي عشق السفر والرحلات، عشق أيضاً العلاقات العابرة، وتحرر من الزواج والالتزام والاستقرار "ففي البيت، المتاعب، والمرأة، والأطفال. ماذا سنأكل؟ ما الذي سنرتديه؟ ما الذي سنصير إليه؟ يا للجحيم"<sup>4</sup>، ومن واقع تجربته في الزواج يقول: "إن الاتحادات الشرعية ليس لها طعم، إنها طعام بدون بهار"<sup>5</sup>، "هو لا يستطيع الاستمتاع باللذة إلا في عنفوانها لا يهوى التقاط الشهوات إلا إذا أحرقت أنامله بتناولها، إنه لا يستقر على حال، وينشد التغيير المستمر في المكان

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص 51.

<sup>2</sup> بدوي، عبد الرحمن: دراسات في الفلسفة الوجودية، ص 60.

<sup>3</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص 188.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 20.

<sup>5</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص 106.

والزمان والأوضاع"<sup>1</sup>، وطلباً للتجديد وبعداً عن التكرار وثبات الحال كره الزواج، وأقر بأن "ليس للحم طعم إلا إذا كان مسروقاً"<sup>2</sup> وهنا نلاحظ أن الرغبة الجنسية لديه اختلطت بدوافع عدوانية، أو تملك وانتزاع ولم تعد رغبة خالصة.

أما العاطفة التي كان يوجهها للمرأة فهي الشفقة والحنان "إنني أشفق عليهن المسكينات، نعم، إنني أشفق عليهن!"<sup>3</sup> فهي مخلوق ضعيف، رقيق، وهو شديد الحساسية أمام دموعها، "إن دموع امرأة يمكن أن تغرقه"<sup>4</sup>، وهو يخص بالشفقة والحنان الأرملة، فما أن يدخل بلدة أو قرية، يبحث فيها عن بيت أرملة ويقضي الليل معها. فهو يتخيل مشاعر المرأة وحزنها الشديد على زوجها، "عندما يتعاطف الفرد مع وضع من الأوضاع، فإنه ينتج التأثير نفسه الذي يحدث إذا ما كان هذا الوضع موجوداً في الحقيقة"<sup>5</sup>، فيفقد توازنه ويقرر أن يعوضها عن المرحوم، ويتجسد لها بصورته "يأخذ شكل الوجه الموجود في رأس المرأة ويدخل إلى غرفتها"<sup>6</sup>، "فقوة التخيل تعمل هنا بطريقة يتم فيها استبدال شخص معين بآخر"<sup>7</sup>. "زوريا" لا يريد لها أن تنسى حبها وهذا لم يشعره بالغيرة منه، هو يريد أن يعوضها ما ينقصها من بعده.

فهو لا يحتمل أن تبكي امرأة من الوحدة أو تندب حظها، فيسلي عنها "ثمة امرأة تندب نفسها سأذهب لأعزيها"<sup>8</sup>، هو يشعر أن هذا هو واجبه الذي سيدخله الجنة، فهو مثل الإله زيوس لا يسمح

<sup>1</sup> بدوي، عبد الرحمن: دراسات في الفلسفة الوجودية، ص43.

<sup>2</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص106.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص153.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص269.

<sup>5</sup> أدلر، الفريد: الطبيعة البشرية، ت: عادل نجيب، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص200.

<sup>6</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص278.

<sup>7</sup> رايبك، ثيودور: سيكولوجيا العلاقات الجنسية، ت: تائر ديب، ط1، دار المدى للثقافة، دمشق، 2005، ص246.

<sup>8</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص278.

لامرأة أن تشتكي "لقد كان يرثي لهن ويفهم ألمهن جميعاً، ويضحى بنفسه من أجلهن"<sup>1</sup>، وزوريا سيتمثل به سيفتتح دكان زواج "وعندئذ ستنهال عليه جميع النساء المسكينات اللواتي لم يستطعن أن يوقعن في شباكهن زوجاً"<sup>2</sup> فهو لا يستطيع صبراً على ألمهن "عندي قلب، وإنني لأشفق عليهن"<sup>3</sup>، مما يلفت الانتباه ما طلبته أرملة "زوريا" من "باسيل" قائلة: "عندما تتاح لك فرصة المرور بقرينتنا، أن تتكلف مشقة المجيء لتمضية الليل في بيتها"<sup>4</sup>، السؤال هو هل ستثير الأرملة شفقة باسيل؟ وهل يستطيع أن يتمثل لها على صورة "زوريا"؟

لا ريب أن هذه المسيرة الحافلة والتجارب المتنوعة تمخضت عن آراء شخصية لزوريا حول قضية المرأة، بداية أن المرأة الحقيقية "تتمتع باللذة التي تمنحها للرجل أكثر من تمتعها باللذة التي تأخذها منه"<sup>5</sup>.

فهذا يشعرها بأنوثتها وتفردا وقيمتها ولا شيء يسعدها إلا أن تنسى شريكها العالم كله.

وهو يجزم أن المرأة لا تريد إلا أن تسمع الكلام المعسول من الشريك "فإذا لم تقل لها إنك تحبها وإنك لا تشتهيها، تأخذ بالبكاء"<sup>6</sup>، "فالرأي المطروح كبدية أن الذكر يحب بعينه، أما الأنثى فهي تحب بأذنيها"<sup>7</sup>. وهي تشعر بقيمتها بقدر ما تثيره في الرجال "عندما يرونها، عليهم أن يشتهوها. هذا ما تريده"<sup>8</sup> وأن هذا ما يشغلها وما تفكر به طوال حياتها ومهما تقدم بها العمر فهو جرح لا يلتئم أبداً، وقد دلل على حديثه بقصة جدته التي بلغت الثمانين وكانت تتجمل للشباب الذين يرقصون

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 278.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 279.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 279.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 391.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 346.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 64.

<sup>7</sup> كمال، علي: الجنس والنفس، ص 119.

<sup>8</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 64.

السيرينادا، وتتنظر لهم بعين الشهوة، وتظن أنها محط أنظارهم، كانت فكرة القبول والطلب تعزز كبريائها حتى لو في خيالها، ولكن كلمات "زوريا" الطائش لها ومواجهتها بالحقيقة التي تعرفها، فطرت قلبها "أما أنت، تفوح منك رائحة الجثث!"<sup>1</sup>، فكانت كلماته سبب موتها- نلاحظ هنا كيف قتلت الكلمات القاسية الجدة العجوز وكيف أحييت زوريا عندما صبغ شعره باللون الأسود "أقسم لك أن قواي قد ازدادت... والألم الذي كان في ظهري، أتذكر؟ لقد زال!"<sup>2</sup>- وقد شعر زوريا أن لعنة جدته تحاصره وأنه يتألم بقدر الألم الذي سببه لها "على مستوى اللاوعي، كل مصيبة تحل بالمرء تعاش كعقاب على ذنب اقترف، أو خطيئة ارتكبت. اللاوعي يضع الإنسان أمام مسؤولية باستمرار وهو يثقل كاهله بهذه المسؤولية دون رحمة"<sup>3</sup>.

بعد كل الذي ذكرناه، تبقى المرأة لغزاً عصياً على "زوريا" لا يستطيع حله "فهو إن رأى امرأة تمر، يتوقف مبهوراً ويسأل: ما هذا السر؟ ما المرأة، ولماذا تجعل عقلنا يدور؟"<sup>4</sup>.

أما "باسيل" فعلاقته بالمرأة يشوبها الغموض، فلا حضور لأم أو أخت أو صديقة مقربة، ولم يعترف بعلاقات أو مغامرات عاطفيه في حياته، سوى محاولة واحدة فاشلة مع فتاة هربت منه بسبب كلامه الفظ "ذعرت المرأة وهربت"<sup>5</sup>، ربما لأنه السارد وأراد إخفاء معلوماته الشخصية أو أن شخصيته الانطوائية المشغلة بالقراءة وطلب العلم جعلته لا يأبه بالنساء. والأرجح أن مخطوط "بودا" حاصر فكره، الذي ينادي بسمو الذات\* واستقلالها عن الجسد "فهذا الجسد مثل الزيد يذهب هباء... إنه

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 65.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 228.

<sup>3</sup> حجازي، مصطفى: التخلف الاجتماعي، ص 248.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 69.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 67.

\* الذات self: هي الشعور الواعي بكيونة الفرد، ويتكون مفهوم الذات من أفكار الذاتية المتسقة المحددة الأبعاد عن العناصر المختلفة لكيانيته الداخلية والخارجية. زهران، حامد: علم النفس الاجتماعي، ط 4، عالم الكتب، القاهرة، 1977، ص 208.

في حقيقته مثل الخيال"<sup>1</sup> وإن السعادة لا تكون إلا بالبعد عن الشهوات والملذات والتسامي عنها لتتألق في سماء الروح "لا تقترب أيها الإنسان من كل ما يجعلك تتلذذ أو لا تتلذذ، إذا نظرت إلى ما يجعلك تتلذذ فإنه يضيء عليك شقاوة تماماً مثلما إذا لم تنظر إليه"<sup>2</sup>.

لكن قضية المرأة شغلت بال"باسيل" كثيراً، بدليل سؤاله لزوريا: "كم مرة تزوجت يا زوريا؟"<sup>3</sup> وكان يلح عليه ليقص عليه مغامراته النسائية الشريفة والنصف شريفة، قائلاً: حدثني، وعندما يسكت، يفقد صبره ويقول له بلهفة: "ثم ماذا؟ ثم ماذا؟"<sup>4</sup>.

إن موضوع العلاقة كان مطروحاً في أعماق "باسيل" "كانت تعيش بالتأكيد في داخلي، تحت بلاطة صدري"<sup>5</sup> تسكن اللاشعور\*، مكبوتة تبحث عن متنفس، "إن الدافع الجنسي مثله مثل مارد جبار أعمى، يبحث مثل السجين عن مخرج، وشهوة الانتزاع والعاطفة اللاحقة، سوف تقوده إلى الباب"<sup>6</sup>. وقد تأجج ذلك عندما شاهد الأرملة "في داخلي، اشتبهت ذلك الجسد الفائق القوة"<sup>7</sup>، وتحركت مشاعره اتجاه الجسد الطافح بالأنوثة، لكنه رفض قائلاً: "إنني في غنى عن الإزعاجات"<sup>8</sup>.

---

<sup>1</sup> شلبي، رؤوف: الأديان القديمة في الشرق، ص158.

<sup>2</sup> المصدر السابق: ص187.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص105.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص109.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص109.

\* اللاشعور: **Unconscious** ذلك الجانب من النفس الذي يحوي المواد المكبوتة، وغيرها من المواد التي لا يمكن تذكرها بفعل عمل إرادي.

جوردن، امسلي وآخرون: اتجاهات علم النفس المعاصر، ص509.

<sup>6</sup> رايبك، ثيودور: سيكولوجيا العلاقات الجنسية، ص234.

<sup>7</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص131.

<sup>8</sup> المصدر السابق، ص131.

وفي الحقيقة كان الأمر مستحيلاً؛ لأن "باسيل" يفتقر لأي مقوم من مقومات بداية علاقة وأهمها الثقة بالنفس، ولأن احتكاكه "بالبشر لم يكن إلا مونولوجاً داخلياً. لقد انحدرت وانحدرت حتى إنه لو كان علي أن اختار بين الوقوع في حب امرأة أو قراءة كتاب جيد عن الحب، لاخترت الكتاب"<sup>1</sup>.

والحق أن "زوريا" أصر على "باسيل" كثيراً وحثه قائلاً: "دعك من الحسابات، وابتعد عن الأرقام واهدم الميزان اللعين"<sup>2</sup>، فهو يحيل كل شيء إلى قيمة سالبة أو موجبة، لقد آمن زوريا بقدرته على توجيه جسد "باسيل" من حالة الركود والسكون إلى حالة الانطلاق والتوازن، إلى تجارب حية ومعانٍ جديدة "فالإنسان يولد بدوافع للنمو، والإبداع، والحب. ولديه قوة لتوجيه حياته الخاصة. وإذا ما توفرت البيئة المناسبة فإن كل الناس لديهم القدرة على تحقيق هذا الوعد"<sup>3</sup>.

لاحظت الباحثة أن "زوريا" الذي ينادي بالحرية لم يحترم حرية "باسيل" في اختياره وحاول إقناعه بوجهات نظر غريبة عن طبيعته "باسيل" الذي رفض أن يكون محكوماً لتقولات "زوريا" التي تنافي قيمه، وأسلوبه في استلاب شخصيته وإرادته، وهو يعتقد أن "اغتصاب القوانين الكبرى، خطيئة مميتة يجب ألا نستعجل، ألا نفقد الصبر"<sup>4</sup>. إلا أن "زوريا" لم يهدأ وبدأت تنتشعب في عقله الآراء والحلول، فاقترح عليه وهو يعلم قلة خبرته وتجاربه مع النساء أن يغريها بالليرات الذهبية ويرسلها كهدية مع الكلمات المعبرة " إن هذه الأشياء قليلة، لكن معها كثير من الحب"<sup>5</sup>، لكن باسيل المتأثر بمخطط "بوذا" يعلم " أن شقاء الحياة وعناءها وضجرها تنبعث من رغبات النفس، وإن الإنسان يستطيع أن يكون سيد رغباته لا عبداً لها، وأن في مقدوره الإفلات من هذه الرغبات بقوة الثقافة الروحية"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 131.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 131.

<sup>3</sup> جوردن، اميلي وآخرون: اتجاهات علم النفس المعاصر، ص 370.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 157.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 131.

<sup>6</sup> شلبي، أحمد: مقارنة الأديان، أديان الهند الكبرى، ص 159.

لذلك كان يكافح ويرفض مجرد الفكرة. ومع هذا لم ييأس "زوريا" واستخدم معه أسلوب الرهبان، أقصد أسلوب الثواب والعقاب، فتارة يقول له: "ليس هناك جنة أخرى"<sup>1</sup> إلا بالقرب من الأرملة، وتارة يخيفه من عذاب النار إن لم يشفق عليها "إن هذه المرأة ستشهد يوم دينونة الله، وهذه التنهدة، وعلى الرغم من كل الأعمال الصالحة التي قمت بها، ستسرع بك إلى جهنم"<sup>2</sup>، وأخبره انه يذهب كل مساء ليرى إذا كان هناك شخص عندها، كي يطمئن أنها لن تنام وحيدة؛ لأنه يشعر بذنب كبير "إذا نامت امرأة وحدها، فهذه خطيئتنا، نحن الرجال"<sup>3</sup>، وفي النهاية عاب عليه زوريا شبابه الضائع وقوته المهدورة "إنك شاب قوي، تأكل جيداً، وتشرب جيداً، تنتشق هواء البحر المنعش، تكس قواك، وماذا تفعل بكل ذلك؟ إنك تنام وحدك"<sup>4</sup>، لقد تكوى زوريا في إقناعه، كان يريد إيصاله إلى الفردوس المفقود الضائع، ولكنه استسلم وقال: "إن لكل فردوسه الخاص: إن فردوسك، سيكون محشوا بالكتب ودمجانات الحبر الكبيرة... أما فردوسي أنا فهو هذا: غرفه صغيرة عبقة فيها أثواب زاهية، وصابون، وسرير عريض ذو نوابض وإلى جانبي امرأة"<sup>5</sup>.

ومن المؤكد وبعد كل هذه المحاولات الحثيثة، كانت الأرملة تشعل فكر "باسيل" ولكنه كان يطفى نار شهوته\* المتأججة بكتابة مخطوط "بودا" وكان يجزم أن روح مارا\* هي التي ترسم صورة الأرملة في خياله ويتصدى لها بشراسة "كنت أعلم أن هذا هو "مارا" روح الشر، يتستر في جسد امرأة

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص132.

<sup>2</sup> الرواية ص134.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص138.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص148.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص191.

\* "نار الشهوة كيف تطفأ: إن الحياة كلها من الولادة حتى الموت، لهيب وحريق، إنها نار الشهوة... من هم أولئك الخدم الذين يشعلون هذه النيران؟ الحواس الستة: إن العين ترى الأشياء الجميلة مزخرفة اللون، والأذن تسمع الأصوات الحلوة، والأنف يشم الروائح الطيبة واليد تشعر بنعومة الريش أو الحرير والشم أو الحلق يقول يقول أن هذا لذيذ حقاً والقلب يتأثر بالأشياء المرغوبة- هؤلاء هم العبيد الستة الذين يسعون لتنفيذ أوامر سيدهم فيجمعون الحطب". شلبي، أحمد: مقارنة الأديان، أديان الهند الكبرى، ص158.

\* "روح الشر Mara: مارا: أي الشيطان". نومسوك، عبد الله مصطفى: البوذية تاريخها وعقائدها، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1999، ص103.

قوية، قوية الردفين. وكنت أقاوم ورحت أكتب "بوذا"<sup>1</sup>، كان يناضل طوال النهار ويحارب الفكرة بالقلم والكلمة وفي الليل تتسلل الأرملة إلى قلبه، وعند الصباح تبدأ معركة جديدة. "كنت أناضل، نهائراً، بكل قواي، لكن عقلي يضع سلاحه، ليلاً، وتنتفتح الأبواب الداخلية وتدخل الأرملة"<sup>2</sup>. وكانت آخر وسيلة ضغط استخدمها "زوريا" لاقناعه دينية، ليلة الميلاد قائلاً: "إنني أصر على أن أعلمك أن الله سيسر أكثر لو ذهبت هذا المساء إلى الأرملة، مثل الملاك جبريل... في الطريق الذي يؤدي إلى مريم. ومريم هي الأرملة"<sup>3</sup>.

إن ما يقف بين باسيل والأرملة بعد أن بدأ يتحرر تدريجياً من "بوذا" هو الخوف والجبن، وانطوائيته وعلاقاته المحصورة في المجتمع جعلت سلوكه متردداً، فعندما شاهدها يوم العيد تمنى "لو أستطيع الهرب! قلت ذلك في نفسي"<sup>4</sup>، فهو شخص إنهمازي يريد الهرب من معركة الحياة، وما بين الواقع والرغبة قال: "وددت لو أحدثها، وأتمنى لها سنة طيبة، لكن حنجرتي كانت جافة"<sup>5</sup>، "الجبن هو خاصية يتميز بها الفرد الذي يشعر بأن كل المهام التي تواجهه بالغة الصعوبة، هذه الخاصية تظهر بوضوح من خلال الحركة البطيئة والتردد في خوض التجارب أو حتى محاولة الاقتراب منها"<sup>6</sup>، وكانت أول فرصة حقيقية للاتحاد بينهما، حيث مرت من أمامه وهي تلاعب حاجبيها "وتركت الباب مفتوحاً له"<sup>7</sup> ليركض وراءها ويأخذها من خصرها ويتصرف كالرجال ولكنه وقف يزن الأمر ويفكر كعادته وقال: "في حياة أخرى، في حياة أخرى سأصرف على نحو أفضل"<sup>8</sup>. هذا التردد

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص. 146.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص. 147.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص. 148-149.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص. 158.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص. 159.

<sup>6</sup> أدلر، الفريد: الطبيعة البشرية، ص. 233.

<sup>7</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص. 159.

<sup>8</sup> المصدر السابق، ص. 159.

والخوف ليحفظ ماء وجهه عند الفشل، فهو يخشى أن يفقد احترامه لنفسه ولمكانته، لذلك كان يعلق كل شيء على الظروف أو في مكان آخر أو الوقت غير مناسب، كل هذا خوفاً من الفشل، ولأن النجاح شيء طبيعي وهو لا يستطيع الظفر به.

وبعد محاولات عدة شعر بتحريك العاطفة في وجدانه "العاطفة مكتسبة يتوقف اكتسابها ونموها على تعداد التجارب الملائمة لها وكثرة الفرص المثيرة لها ومرور الزمن الكافي لغرسها في النفس ونموها وثباتها"<sup>1</sup> وشعر بحاجته لوجود أنثى في حياته "إنها الأم، الأخت، المرأة وأحسست فجأة، أنا الذي كان يظن أنه لا يحتاج إلى شيء، أنني محتاج إلى كل شيء"<sup>2</sup>، يحتاج الحب والحنان والانتماء، وبدأت كلمات "زوريا" تدور في رأسه "البحر، المرأة، الخمر، العمل الشاق! أن تلقى برأسك أولاً في العمل، والخمر، والحب، ولا تخاف الله ولا الشيطان هذا هو الشباب"<sup>3</sup>. ملأت هذه الكلمات عقل "باسيل" وقلبه، واستسلم لعلاقة جمعته والأرملة، وفجر عندها عواطفه ورغبات جسده التي منحته القوة وجعلته ينهي مخطوط "بوذا" ويتخلص منه للأبد، واكتشف أخيراً "أن الروح هي أيضاً جسد، وقد تكون أكثر حركة، وأكثر شفافية، وأكثر حرية، لكنها جسد"<sup>4</sup>.

## 2.5 قضية الأحلام:

شغلت حياة الإنسان علماء النفس تحليلاً ودراسة؛ رغبة في فهم مضمون هذه النفس، وشكلت فترة نوم الإنسان الطويلة نسبياً فارقاً مهماً في الدراسة، فكل ما يرى ويشعر به في نومه أثار حفيظتهم واهتمامهم 'فمنذ البدايات الأولى للإنسانية، كانت حياة الإنسان ذات قيمة عليا لا يعطوها في القيمة

<sup>1</sup> عبد القادر، حامد: دراسات في علم النفس الأدبي، د،ط، المطبعة النونجية، القاهرة، 1949، ص54.

<sup>2</sup> كازانتراكي، نيكوس: زوريا، ص151.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص299.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص302.

أمر آخر. ومع ذلك ظل عمر الإنسان -وهو ما يقضيه نائماً- عديم القيمة هزيل الوضع، وكان من البديهي أن ينتبه الإنسان إلى هذا التناقض، كيف كانت له كل هذه القيمة في صحوة ثم يصبح في نومه عديم القيمة"<sup>1</sup>.

وجاء الاهتمام بما يراه النائم في منامه من الحلم\*، وأخذ يتخبط في تحليله ويهول من أمره وربطه بالأساطير والسحر والشعوذة، أو أن الأحلام تأتي من عالم ما فوق الطبيعة "فالأحلام إنما هي رسائل كائنات إلهية فوق مستوى البشر. وتعبّر عن تلك الإرادات الخارقة للطبيعة. لذا كانوا يهتمون بما يرونه في أحلامهم ليعرفوا عنه مدلولات الغيب وما سطر لهم في لوح القدر"<sup>2</sup>.

لقد أيقن الإنسان أن للأحلام وظيفة ورسالة معينة وأنها لم توجد هباءً، فأجهد نفسه في تحليلها واستغلالها للتنبؤ بالمستقبل المجهول واكسبها قدسية خاصة، فقد "كان اليونانيون والمصريون القدماء يذهبون إلى المعابد على أمل أن يحدث لهم حلم مقدس -رؤية- تغير مجرى حياتهم المستقبلية"<sup>3</sup>.

لقد ساعد تحليل الأحلام علماء النفس على دراسة السلوك الإنساني اللاشعوري، وأثر الماضي والذكريات على شخصية الإنسان، "إن دراسة الأحلام هي التي مكنت علماء النفس من تقصي الجانب اللاشعوري من الأحداث النفسية الظاهرة في ساحة الوعي"<sup>4</sup>. وفي مقدمة هؤلاء العلماء "فرويد" الذي استخدم تفسير الأحلام في علاج مرضاه، وفق آليات التأويل العلمية والتي كشفت عن

<sup>1</sup> فائق، أحمد: التحليل النفسي بين العلم والفلسفة، د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1967، ص61.

\* حلم Reve: مجموعة من الصور، من الأفكار، غالباً ما تكون غير مترابطة، تبدو للعقل أثناء النوم كأنها حقيقة ملموسة. فرويد، سيجموند: علم النفس والنظريات الحديثة، د. ط، ت: فارس ظاهر، دار القلم، بيروت، 1976، ص168.

<sup>2</sup> فرويد، سيجموند: تفسير الأحلام، د.ط، ت: نظمي قوقا، دار الهلال، القاهرة، 1962، ص12.

<sup>3</sup> انلر، الفريد: معنى الحياة، ص134.

<sup>4</sup> بونغ، كارل: الإنسان ورموزه، ط1، ت: عبد الكريم ناصيف، دار التكوين للتأليف والنشر، دمشق، 2012، ص20.

المستوى الأعمق من مكنونات النفس البشرية ورصد مكبوتات اللاشعور ومحتوياته المحجوبة والمفعمة بالرغبات، والتي لا تجد متنفس في الواقع، فتتسرب على صورة حلم، إذن الحلم لا ينبع من فراغ، بل من رغبات وأمنيات لا تشبع إلا على مستوى الأحلام، كأن "تحل صورة راهنة محل فكرة كان وجودها لا يتعدى صيغة التمني"<sup>1</sup>. فمادة الأحلام وشعلتها الكبت\*، وهي الوسيلة للتعبير عن بواطن الروح.

وبناء على ما تقدم، كيف عرت الأحلام نفسية شخصيات الرواية؟ وهل عكست كمرآة حقائق أرادت الشخصية إخفاءها؟ أي رغبة مكبوته فضحت الأحلام، الجوع أم الجنس أم الحرية؟، "إن الأحلام تمدنا بمعلومات عن أسرار الحياة الداخلية، وتكشف لصاحب الحلم عن العوامل الخبيثة، الملونة لشخصيته"<sup>2</sup>.

جاءت الأحلام في الرواية على لسان السارد "باسيل"، فهي رؤياه الخاصة الناتجة عن مشاعره الخفية، "فالحلم ما هو إلا نتاج أسلوب الحياة الخاص بهذا الفرد والنتاج عن فهم هذا الفرد للظروف المحيطة به"<sup>3</sup>، وقد حدثنا عنها مباشرة في أثناء سرد الرواية. وقد ورد في الرواية حلمان؛ أولهما للسيدة هورتانس، وهو حلم يتعلق بماضيها وأيام شبابها، أعادها إلى قصور الأمراء والباشوات فقد "رفعها النوم وحملها إلى مدن الشرق الكبيرة، إلى الحدائق المسورة، ودور الحريم المظلمة، في منازل الباشوات العشاق"<sup>4</sup>، وأثار مشاعر وذكريات دفيئة في نفسها اشتاقت لها، وحرك في وجدانها عاطفة الحب، "فالغرض من الحلم يكمن في المشاعر التي أثارها هذا الحلم، والحلم -في حد ذاته-

<sup>1</sup> فرويد، سيجموند: الحلم وتأويله، ط4، ت: جوج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1982، ص23.

\* "الكبت عملية تستبعد من الشعور إما الغريزة أو الواقع". فائق، أحمد: التحليل النفسي بين العلم والفلسفة، ص37.

<sup>2</sup> يونغ، كارل: علم النفس التحليلي، ط2، ت: نهاد خياط، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1997، ص49.

<sup>3</sup> أدلر، ألفريد، معنى الحياة، ص148.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص168.

لم يكن إلا وسيلة (الأداة) التي تم بها إثارة هذه المشاعر<sup>1</sup> وجعلها "تبتسم في نومها، سعيدة"<sup>2</sup>. هذا الحلم لم تحدثنا السيدة عن تفاصيله، ولكن "باسيل" و"زوربا" استشفا ذلك من ملامحها وهي نائمة "يكفي أن تتأمل وجه شخص نائم، فإنك ترى على صفحات وجهه اختلاجات وتقلصات تدل على انفعالات لا تحصل إلا مع وجود أحلام بعضها يؤدي إلى الابتسام والفرح وبعضها يؤدي إلى الحزن والفرع"<sup>3</sup>. وقد صرح "زوربا" بذلك قائلاً: "إنها ليست وحيدة، إنها مع سليمان باشا، ألا تراها؟ إنها في السماء السابعة"<sup>4</sup>.

أما الحلم الثاني فقد رواه "زوربا" "لباسيل"، وقد فسره قبل أن يروي به بأنه "يعتقد أننا لن نتأخر عن القيام بسفرة"<sup>5</sup> ولقد رأى مركباً يستعد للرحيل وأراد السفر ومعه البيغاء، إلا أنه حدث مشادة بينه وبين القبطان حول قيمة البطاقة، وفعلاً تحقق تفسيره وعاش كل الأحداث التي أدت إلى فشل المصعد وسفره وموت السيدة "هورتانس"، وأثار دهشته وإعجابه، جسم الإنسان والآلية التي تتشكل فيها الأحلام معبراً عن ذلك بقوله "أعتقد أن في رؤوسنا سينما صوتية كتلك الأفلام الناطقة"<sup>6</sup>.

أما الأحلام عند "باسيل" فكانت متنوعة، تعكس رغبة مضمرة في نفسه أو حديث نفس أُلح على فكره، فعندما كان يقرأ حوار بوذا والراعي ويتخيل المروج والمراعي والأبقار، رأى في حلمه استكمالاً لما كان يفكر به فكان الحلم "استئناف على نحو ما لحياة اليقظة، وإذا تأملنا أحلامنا وجدنا أن هناك باستمرار صلة بينها وبين الأمور التي كانت تشغل تفكيرنا قبل النوم"<sup>7</sup>. والحلم الثاني كان

<sup>1</sup> أدلر، ألفريد: معنى الحياة، ص 139.

<sup>2</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوربا، ص 168.

<sup>3</sup> الأهواني، أحمد فؤاد: النوم والأرق، د.ط، دار المعارف المصرية، القاهرة، 1955، ص 93.

<sup>4</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوربا، ص 168.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 323.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 323.

<sup>7</sup> فرويد، سيجموند: تفسير الأحلام، ص 14.

بعد اللقاء الجسدي الذي جمعه والأرملة، ويبدو أنه بسبب التمرد والتحلل من تعاليم بوذا، فكان تمثال الماردة الزنجية يمثل قيود بوذا، وما دورانه حولها إلا ليصور التيه والصراع الذي كان يشعر به، ودخوله من الباب الأسود يمثل عملية الاتصال الجنسي التي تمت، فكان الحلم صورة لتجربته العاطفية التي عاشها ودخل عالمها.

وكان هذا الحلم سبب سعادة واستقرار نفسي عندما تذكره قائلاً: "وعد حلم الزنجية المارد إلى خاطري، وكان البحر يتمتم، فأغلقت عيني وخيل إلي أنني سعيد"<sup>1</sup>.

وهذا يتوافق مع رأي "يونغ" الذي يرى "أن الأحلام لها آثار طيبة وعفوية تصدر عن النفس، وتستحق منا أن نوليها الاهتمام اللازم ونأخذها مأخذ الجد، بما تحدثه فينا من آثار خاصة بها، حتى وإن لم نستطع إدراك هذه الآثار أو فهمها"<sup>2</sup>. ويمكن أن تكون هذه الآثار علامة أو إنذاراً لما سيحدث في المستقبل، "فمن خصائص الأحلام أيضاً أنها تجمع بين علامات النذر أو البشائر وبين النوايا الداخلية"<sup>3</sup> كإشارة بمرض عزيز على القلب، أو انفصال الروح عن الجسد في مكان ما، "فالانفصال المؤقت للروح عن الجسد أثناء النوم تفسر ظواهر الأحلام، أما الموت فهو انفصال دائم للروح إلى مثوى آخر"<sup>4</sup>. فعندما شاهد "باسيل" صديقه "يجري، شاحباً، لاهثاً. وكان يتبع رجلاً فارح الطول، بالغ النحافة، يسير بخطى واسعة كخطى مارد"<sup>5</sup>. شعر بأنه مريض وهذا الرجل يمثل الدنيا الفانية التي تمضي مسرعة في الإنسان إلى نهايته، وكانت الذراع التي انفصلت فجأة عن

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص302.

<sup>2</sup> يونغ. كارل: علم النفس التحليلي، ص28.

<sup>3</sup> حجازي، مصطفى: التخلف الاجتماعي، ص240.

<sup>4</sup> كمال، طارق: أساسيات في علم الاجتماع الديني، ص96.

<sup>5</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص373.

كتف صديقه لتمسك بيده، والتي كانت آخر ما لمس من صديقه يوم وداعه "كانت تلك آخر كلماتنا وتصافحنا دون أن نفوه بشيء، والتقت أصابعنا بحرارة، ثم افترقت فجأة"<sup>1</sup> علامة على وفاة صديقه. ومن شدة تأثر "باسيل" وخوفه من حركة اليد، أيقظه اللحم مرتعداً، "دعرت لهذا الاحتكاك البارد، وأطلقت صرخة، واستيقظت منفضاً"<sup>2</sup>، "بعض الأحلام تكون من القوة بحيث تؤدي إلى يقظة النائم، وهذه الأحلام التي توقظنا هي التي نتذكرها ويمكن سردها"<sup>3</sup>، ويمكن أن توقظنا لكننا لا نتذكرها ويكون أثرها مدوياً، كما برز "زوريا" في الحلم "لباسيل" عند الفجر ولم يتذكر ما قاله له "ولكن عند يقظتي، كان قلبي على وشك الانفجار ودون أن أدري السبب، امتلأت عيناى بالدموع"<sup>4</sup> وقد كانت هذه "إشارة إلى أن زوريا في مكان ما على الأرض، في هذه الأيام، يحتضر"<sup>5</sup>.

ومما أخذ على "باسيل" قدرته على إخفاء قلقه من الأحلام واحتوائها، عن طريق إرجاعها إلى قيم عقلية وحسابات قائلًا: "هذه الرسائل كلها تولد من قلقنا الخاص، وتبدو لنا في نومنا في زي الرمز اللامع ولكن إنما نحن الذين نخلقها"<sup>6</sup>.

## 2.6 قضية الموت

يقدم الإنسان دوره ويعيشه على مسرح الحياة، كما كتب له، وبعد أن ينتهي العرض يغادر بلا عودة، إلى الموت، إنه الخطب الجلل، المجلل بهالة من الأسى والاستسلام والغموض "الموت لا يعرف تجربته ولم يعيشه من قبل، فتظل تجربته مجهولة غامضة"<sup>7</sup>، فالوقوف أمام الموت والتسليم له طريق

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 13.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 374.

<sup>3</sup> الأهواني، أحمد فؤاد: النوم والأرق، ص 93.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 389.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 389.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 375.

<sup>7</sup> هلال، عبد الناصر، تراجميديا الموت، ط 1، مركز الحضارة الغربية، القاهرة، 2005، ص 15.

إجباري ومصير إنساني لا مفر منه، "إن الموت هو النتيجة الضرورية للحياة، وإن كل فرد يدين للطبيعة بدين وعليه أن يتوقع سداد الفاتورة... وباختصار إن الموت طبيعي، لا يمكن إنكاره ولا يمكن تفاديه"<sup>1</sup>، وصراع الإنسان من أجل البقاء وقهر الفناء وبحته الدؤوب عن الخلود هو جوهر المكنون الإنساني، "فإن كل واحد منا -في اللاشعور- مقتنع بخلوده الشخصي"<sup>2</sup>، فالحياة والموت نقيضان متلازمان، إذا حضر الأول وجب الثاني، وبما أننا أحياء إذن سنموت، ولا باعث حقيقي للموت سوى الحياة، ولا معنى حقيقي للحياة إلا بالموت، "فعلاقة الإنسان بالموت علاقة حياة، وإثبات أحدهما يعني في الوقت نفسه إثبات للآخر وهذه العلاقة الجدلية تمنح الإنسان فرصة إدراك النقيض"<sup>3</sup>، ويلاحظ تناقض الميلاد والموت، واشتراكهما في الغيبية والظلمة والوحشة، فالإنسان يأتي من مجهول عند الولادة -"ألم أخرج من بالوعة؟ -ماذا تعني؟ -من بطن امرأة وارتعدت! إن شكسبير وحده يستطيع في مثل هذه الدقائق الخلاقة أن يجد تعبيراً واقعياً إلى هذا الحد. ليصف سر الولادة الغامض المقرف"<sup>4</sup>، ثم ينتقل إلى مجهول عند الموت، إلى حفرة مظلمة "ندفنها تحت التراب، قبل أن تبدأ بالانتان"<sup>5</sup>.

وما حياة الإنسان إلا عمره المحصور بين مجهولين "فالميلاد والموت، يتصفان بالغرابة؛ لأنهما تجارب وليسا تجارب، فنحن نعرف عنهما ما يقال لنا، فقد ولدنا جميعاً ولا نذكر شيئاً عن ذلك، والموت آت كما جاء الميلاد ولكن -بنفس الطريقة- لا نعلم عنه شيئاً"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> فرويد، سيجموند: أفكار لأزمة الحرب والموت، ت: سمير كرم، ط2، دار الطليعة للنشر، بيروت، 1981، ص27.

<sup>2</sup> المصدر السابق: ص27.

<sup>3</sup> هلال، عبد الناصر: تراجمي الموت، ص15.

<sup>4</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص129.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص337.

<sup>6</sup> فوستر، أ.م: أركان القصة، ص60.

وكل ما نعرفه عن الولادة والموت جاء من الملاحظة والتجارب والأساطير والأديان، وبقي الأمر مبهماً يشوبه الغموض.

أما الأحاسيس والمشاعر التي تحيط بالموت فهي متخبطة بين الاضطراب والهيجان والحرقنة والحسرة، فالحياة شمعة وستتطفئ، والناس ما بين مؤمن مسلم بالموت ويحاول تجاهله ونسيانه ليعيش وبين من شكّل لديه خوفاً نفسياً وقلقاً من الموت، "إن مفهوم الموت مرتبط لدى الكثيرين بانفعالات عنيفة ومشاعر جياشة واتجاهات سلبية، تتجمع معاً مكونة بإيجاز قلق الموت أو الخوف منه"<sup>1</sup>، هذا القلق والخوف من الموت سيف مسلط على رقاب الناس يحرمهم لذة عيشهم ويفقدهم سعادتهم ورجبتهم في الحياة، "الخوف من الموت تعبير عن تمسك الإنسان بالحياة وجزعه من المستقبل الذي ينتظرنا جميعاً في خاتمة المطاف"<sup>2</sup>.

قضية الموت شغلت الإنسان، وخلقت لديه جملة من الأسئلة، ما الموت؟ ولماذا يخشاه الإنسان؟ وما الأثر الذي تركه على حياته وشخصه؟ وما نهاية الموت، هل يموت الموت؟، "إن الموت هو الحقيقة الوحيدة التي لا يرقى إليها الشك، إلا إنه في الوقت نفسه السر الوحيد الذي هيهات للعقل البشري أن يتمكن يوماً من إماطة اللثام عنه"<sup>3</sup>.

جاء الموت في الرواية على أغلب شخصياتها، مبتدئاً بالشاب "باقلي"، ثم الأرملة، ثم السيدة هورتانس، ثم الراهب زكريا، فصديق باسل المغترب عن الوطن "كارايانيس"، وانتهت الرواية بموت عميدها "زوريا". لقد حرك الموت أحداث الرواية، كما حرك المشاعر الباطنية الدفينة لدى الشخصيات، هذا الخوف شعور طبيعي للإنسان السوي؛ لأنه انتقل إلى المجهول "إن الموت خبرة جديدة غير

<sup>1</sup> عبد الخالق، أحمد، قلق الموت، د ط، عالم المعرفة، الكويت، ص1987، ص16.

<sup>2</sup> إبراهيم، زكريا، مشكلة الحياة، د ط، مكتبة مصر، القاهرة، 1971، ص163.

<sup>3</sup> إبراهيم، زكريا: مشكلة الإنسان، د ط، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1959، ص115.

مسبوقة، من أجل ذلك يخاف كل إنسان تقريباً من الموت<sup>1</sup>. ولكن المبالغة في هذا الشعور يجعله يتنامى ويتطور إلى مرض نفسي، صاحبه يرفض الموت رفضاً قاطعاً "لا أريد أن أموت، لا أريد أن أموت"<sup>2</sup>، كما جاء على لسان السيدة "هورتانس"، عندما وجدها باسيل ترتجف من الخوف "من الموت، لقد استروحت في الجورائحة الموت وسيطر الرعب عليها"<sup>3</sup>.

لقد كانت العجوز تحاول الاختفاء والتهرب من الموت كي لا يراها، فلا تقترب من مكان ظهر فيه الموت، كي لا يتذكرها "كارون" -رسول الموت في الأساطير- فيأخذ روحها فهي "كسائر العجائز، تجهد نفسها في الاختفاء بين عشب الأرض والتلون بلونه الأخضر... كي لا يستطيع كارون تمييزها"<sup>4</sup>، ولقد كان يصعب على بعضهم التلفظ بكلمة الموت تشاؤماً وخوفاً من اقترابه، "إذا تركت أقول 'تركت' كي لا أخيفك وأخيف نفسي باستعمال الكلمة المضبوطة- إذا تركت الأرض"<sup>5</sup>.

علاقة الإنسان بالموت غريبة، فكما يوجد أشخاص تخاف الموت، هناك من يقبل عليه، وهذا ما حدث مع "بافلي" الذي أقدم على الانتحار، "فالعيش بالطبع ليس سهلاً. فأنت تستمر على أداء الحركة التي يأمر بها الوجود لأسباب عديدة، أولها العادة. والموت طوعاً يتضمن أنك قد أدركت، حتى غريزياً، عدم وجود أي سبب عميق للعيش"<sup>6</sup>، بسبب الضغوط النفسية الكبيرة عليه، فهو شاب غني من عائلة ذات مكانة في كريت، ورفضته أرملة -مكانة اجتماعية أقل- "لا تريده إنها تدعوه الساذج"<sup>7</sup>، كان يشعر بالعار أمام مجتمعه "أي خلل يعرضه إلى سخريّة واحتقار مجتمعه أو تبديل

<sup>1</sup> عبد الخالق، أحمد، قلق الموت، ص17.

<sup>2</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص327.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص206.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص206.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص183.

<sup>6</sup> كامو، ألبير: أسطورة سيزيف، ت: أنيس زكي، منشورات دار مكتبة الحياة -بيروت، 1983، ص14.

<sup>7</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص128.

نظراتهم إليه قد تلجئه إلى الانتحار"<sup>1</sup> فعزل نفسه عن الناس، لكن نظرة الخزي والنقص من عائلته كانت تلاحقه "أهذا ابني؟ هذا الطرح؟: بحق الشيطان من يشبهه؟"<sup>2</sup>، كل هذه الضغوط والاكْتئاب\* جعلته يهدد بالانتحار "إذا لم تصبح زوجتي، فسأنتحر"<sup>3</sup>، ما تعرض له "بافلي" يشابه ما تعرض له "كارايانيس" من ضغوط جعلته يختار الهجرة شكلاً من أشكال الانتحار.

ومن المظاهر الإنسانية المشتركة في حالة الوفاة الحزن والحسرة، وقد نفس الإنسان عن هذه المشاعر بشكل سري "كان يشد على شفّتيه كي يمسك دموعه"<sup>4</sup>، أو شكل علني "أحسست بالدموع تنساب، بطيئة حارة على خدي... كنت كمن سيطر عليه حزن طفولي عميق، وكنت أبكي"<sup>5</sup>، وعلى هيئة عويل وشد للشعر وصراخ، وكان يرفق ذلك أناشيد الموت والندب وكلمات الرثاء، كقولهم "ليس من اللائق بك، أنت، أن تمددي تحت التراب"<sup>6</sup>، وينال الجسد مكانة عظيمة حتى لو فارقته الروح، فيغسل "غسلوها بالخمير، وفتحت المكفنة العجوز السبت، وأخرجت منه ثياباً نظيفة، وبدلتها، وصبت عليها زجاجة صغيرة من ماء الكولونيا"<sup>7</sup>، وتقام له الجنائز وطقوس الدفن، ويتبادلون عبارات العزاء "سنسير جميعاً في الطريق نفسه"<sup>8</sup>، ومع إيمانهم الشديد أن روح الميت تحلق في المكان "لا تصرخوا!

<sup>1</sup> الدباغ، فخري: الموت اختياراً، د ط، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1968، ص53.

<sup>2</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص127.

\* الانتحار السوداوي الاكتئابي: يرتبط هذا الانتحار بحالة شاملة من الكرب العميق الذي يؤدي بالمريض إلى فقدان التقدير الصحيح للعلاقات التي تربطه بالناس والأشياء من حوله، فلا يعود يغيره أي من الأفرح والمسرات فهو يرى الدنيا سواءً حالماً. دوركايم، اميل: الانتحار، ت: حسن عودة، د ط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص34.

<sup>3</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص128.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص326.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص314.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص332.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص332.

<sup>8</sup> المصدر السابق، ص 338.

إن الميت يسمع، يسمع<sup>1</sup> وتسمع ما يقولون، إلا أنهم يُنصبون أنفسهم قضاة ويحكمون على أعمال الميت وماضيه، "يرحمها الله! وليغفر لها ما فعلته! وليصبح كل عشاقها، ملائكة ليحملوا روحها"<sup>2</sup>.

شكلت قضية الموت معضلة كبيرة في حياة "زوربا"، وحاول مجتهداً إدراك حقيقة الموت والحياة التي مهما امتدت ستنتفي، وكان "الخلاف الوحيد عنده، هو أن يكون حياً أو ميتاً"<sup>3</sup>، هذه هي القضية الجوهرية والمفصلية عنده، فإذا كان حياً يرزق فإن الدنيا تفتح له أبوابها، ولكن حين يموت يعود كل شيء إلى أصله "حفنة من التراب، حفنة من التراب كانت تجوع وتضحك، وتعانق، جبلة من طين كانت تبكي"<sup>4</sup>

"زوربا" يؤمن بالموت بيد أنه يرفض الاستسلام له، "لا لست أنا الذي سيد عنقه للموت كخروف قائلاً له: اقطع رأسي، كي أذهب إلى الجنة"<sup>5</sup>، هو قاوم ودافع عن حياته ولم يتنكر لها أو يتهرب منها، بل واجهها وعاشها حتى النهاية، ومن حرصه عليها كان شديد الاهتمام بجسده وأكله وشربه كان يشبه الجسد بالحمار الصغير، ويعده آلة والطعام هو الوقود، وعند الموت "ليس هناك تاك تاك: لا شيء مطلقاً! إن الآلة قد كفت عن الدوران"<sup>6</sup>، ولكن هل الاهتمام بصحة الجسد تؤجل موعد الموت؟ طبعاً لا، لقد أراد "زوربا" أن يحيا بجسد قوي شاب وليس جسد هرم وعجوز، فإن أكثر ما يخشاه في حياته الشيخوخة\*، يعدّها عاراً في حقه "إن الموت لا شيء، مجرد برف وتنطفئ الشمعة،

<sup>1</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوربا، ص335.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص333.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص185.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص335.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص342.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص353.

\* مع الهرم يحدث نقصان الحرارة الغريزية والرطوبة الأصلية التابعة لها... وضعف الأعضاء الأصلية كلها ويتبع ذلك قلة الحركة وبطان النشاط وضعف آلات الهضم وسقوط آلات الطحن ونقصان القوى المدبرة للحياة أعني القوة الممسكة والهاضمة والدافعة وسائر ما يتبعها من مواد الحياة. ابن مسكويه، أحمد بن محمد: كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط1، المطبعة الحسينية، القاهرة، 1911، ص174.

لكن الشيخوخة عار<sup>1</sup>، ولكي يتغلب عليها مارس القفز والرقص والشرب وعاشر النساء، ولو أحس في رغبة في السعال كتمها؛ لأنه يخجل من الشيخوخة والهزم.

وكان شديد الحساسية بأن ينعته أحدهم بالعجوز أو الجد، "قال زوريا وقد تملكه الغيظ بسرعة: - أي عجوز؟"<sup>2</sup>، وكان يتمنى أن تحصل معجزة معه ويجد "دواء، سائلاً أو مسحوقاً، ويعود الإنسان إلى العشرين"<sup>3</sup>، هذا الخوف من الشيخوخة كان كرد فعل على سخرية الناس منه وهو طفل صغير، "كان يبدو علي أنني عجوز قصير، إذ كنت ثقيلاً، لا أتكلم كثيراً، وكان صوتي غليظاً كصوت رجل عجوز"<sup>4</sup>.

لقد أرقت قضية الموت فكر "زوريا" كثيراً، وطفق ينهال على "باسيل" بالأسئلة، لماذا نموت؟، وأنا أريد أن تقول لي من أين نأتي وإلى أين نذهب"<sup>5</sup>، أسئلة الميلاد والموت تحير النفس وتحد من الحرية، ولكنه لا يخافه "أنا أنظر في كل لحظة إلى الموت أنظر إليه ولا أخاف، إنه لا يعجبني، إنني لست موافقاً"<sup>6</sup>.

"زوريا" لا يخاف الموت وهو يؤمن بحتمية فناء الإنسان؛ لأنه حر لا يخشى شيئاً، "أنا أفعل ما يحلو لي، ولا أبالي إن مت، ما الذي أخشى عليه من الضياع؟ لا شيء حتى لو عشت طويلاً، فإنني سأموت في النهاية"<sup>7</sup>، والسؤال الذي حيره كثيراً لماذا يموت الشباب؟ في مرحلة التوقد والطاقة

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص185.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص41.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص166.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص165.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص341.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص332.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص188.

والعطاء "لماذا يجب أن يموت الشباب، وأن تبقى الأنقاض الهرمة؟ لماذا يموت الأطفال الصغار؟"<sup>1</sup>، سطوة الموت على الشباب والأطفال تنير حزنه العميق "فقد كان لي صبي، صغيري ديمتري، وفقدته وهو في الثالثة"<sup>2</sup>، لقد مات طفله ولم يعرف معنى الحياة، ظلمه الموت وأخذه، وتركهما حزناً جسيماً وعذاباً لم يستطع "زوريا" نسيانه، فجعله ناقماً على الموت - واعتقد أن زوريا كان يحبذ الأرامل من النساء كنوع من الانتقام ولتحدي وقهر الموت - وكان حزنه عظيماً عند فقد السيدة "هورتانس" ولكنه مع الوقت استطاع تجاوز ذلك، عن طريق التكيف مع الوضع الراهن وتخفي الخسائر البشرية، فلا يكون الحزن طويلاً وأن يكون الإنسان مستعداً للفقد والبعد عن أحبائه، "طريق جديدة، مشاريع جديدة! لقد كفت عن التفكير بما جرى بالأمس، كفت عن التساؤل عما سيجري غداً"<sup>3</sup>.

لقد آمن أن فناء الإنسان حقيقة لا مفر منها وأن الحياة رحلة يجب أن يعيشها ويتمسك بها.

لقد عاش "زوريا" حراً سعيداً ظافراً بمتع الدنيا وملذاتها، وحين جاءت منيته، واجه الموت وتحدها بشجاعة، أيقن أن حريته تكتمل بالموت فلا شيء يخشاه بعدها، لقد سخر من الموت إذ مات واقفاً شامخاً، كأنه أراد أن يعيش الموت ويشعر به، "ذهب حتى النافذة، وهناك تشبثت بالفرجة، ونظر بعيداً نحو الجبال، وجحظت عيناه وأخذ يضحك، ثم سهل كجواد. وهكذا، وهو واقف، وأظافره مغروزة في النافذة، أسلم الروح"<sup>4</sup>، وقد حاول زكريا إبراهيم وصف تجربة الموت قائلاً: "إن الشخص الذي يحب الحياة، ويعرف كيف يتذوق ماهيتها، عالماً أنها تهب ذاتها له دائماً بجملتها وإن كانت

---

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 315.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 315.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 345.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 391.

لا تكف عن أن تكشف له دائماً جوانب جديدة من صميم وجودها. أقول إن مثل هذا الشخص لا يمكن أن يخشى الموت؛ لأنه يمتلك الحياة امتلاكاً كاملاً<sup>1</sup>.

أما "باسيل" فقد ذاق مرارة الموت وأشكال الفراق والألم عند وفاة الأرملة والسيدة هورتانس، وصديقه "كارايانيس" وأخيراً "زوربا"، لقد شعر بأن الموت يقترب منه ليأخذه كما أخذ أصدقائه ولكنه لم يذعن له، فلم يعد باستطاعة الإنسان أن يبقى الموت على مسافة منه؛ لأنه ذاق منه في حزنه على الموتى، ولكنه رغم هذا لم يرض تماماً بالتسليم به لأنه لا يستطيع أن يتصور نفسه ميتاً<sup>2</sup>.

لم يتخيل نفسه جيفة تأكلها الديدان، "إن الأرض تصبح أحياناً شفافة، فنلمح الرئيس الكبير، الدود، يعمل ليل نهار في ورشاته تحت الأرض"<sup>3</sup>، ولتعدد وكثرة التجارب التي مر بها من الفقد، ولأنه إنسان عقلاني استطاع "باسيل" أن "يتصالح مع الموت"<sup>4</sup>، ذلك لتأثره بأفكار "بودا" فقد كان يرى "أن الحب أقوى من الموت"<sup>5</sup>، مع أنه لا ينكر أن "الموت حادث عنيف يكسر إيقاع الحياة الرتيب نسبياً، وليس هذا فقط بل إنه يوقف دورتها ويجعلها تقف جامدة عند تاريخ يستحيل أن تتحرك بعده"<sup>6</sup>.

نلاحظ أن "كازانتيكيس" قد أبدع في اختيار نهاية بطل روايته، شخصية عظيمة مثل "زوربا" إن لم تنته بالموت، كيف ستنتهي؟.

---

<sup>1</sup> إبراهيم، زكريا: مشكلة الحياة، ص173.

<sup>2</sup> فرويد، سيجموند: أفكار لأزمة الحرب والموت، ص33.

<sup>3</sup> كازانتركي، نيكوس: زوربا، ص370.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص386.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص388.

<sup>6</sup> عبد الخالق، أحمد: قلق الموت، ص16.

## 2.7 قضية الجنس:

الجنس\* علاقة إنسانية تحركها الغريزة والفترة، بدافع جنسي خام\*، أجمع عليها جمهور الناس ومارسوها على أسس توافقوا عليها ثقافياً واجتماعياً مراعية السياق والعرف العام، "كان الجنس موضوعاً عاماً وحيوياً، فقد كان قضية مشتركة في حياة جميع الشعوب"<sup>1</sup>، فالجنس أحد الحاجات البيولوجية الأساسية في حياة الإنسان التي تضمن له بقاء النوع والدوام.

لذا لا يخلو الأدب والفنون منه، بوصفه وسيلة تعبير عن الوعي الإنساني، وتنبؤ للجانب المسكوت عنه في حياة الإنسان، فهو عنصر شائك يتصل مع عناصر متعددة تهم الإنسان وتؤثر على حياته وعلى نفسيته وعلاقاته مع الآخرين، فكان الأدب وأخص الرواية أحد المنافذ التي فتحت عيون الناس على هذا الموضوع الحساس، وكان الجنس أحد أهم عوامل تفجير إبداع الكتاب، كما أقر "فرويد" "إن يفترض أن الدافع الفني هو وظيفة الغرائز الجنسية المكبوتة، وعنده أن الفن نتاج للميكانيزمات الدفاعية النفسية كالتسامي والاستبدال والكبت وتكوين رد الفعل"<sup>2</sup>.

أسلوب "كازانتزكي" في الرواية مترفع عن خدش الحياء، وعالج الموضوع بعيداً عن الإباحية، ولم يقصد الإثارة الجنسية في رسم شخصياته، وجعل الموضوع الجنسي داعماً للعمل الأدبي دون أن يحط من قيمته، مراعيًا أن الرواية تخاطب جمهوراً عريضاً للطبقات والثقافات كافة، فكان أسلوب

---

\* الجنس: هو مجموعة الخصائص البيولوجية التي تقسم البشر إلى إناث وذكور، كما يحيل إلى الجماع في اللغة المتداولة. الديالمي، عبد الصمد، سوسبيولوجية الجنسية العربية، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2009، ص13.  
\* الدافع الجنسي الخام، هو حاجة بيولوجية تمثل الغريزة وتكون مشروطة بتغيرات كيميائية ضمن العضوية، فالحافز يعتمد على افرازات داخلية، وهدفه التخلص من توتر فيزيائي، ويتم تفعيل التنبهات الداخلية بالتغيرات الكيميائية تنزع إلى إحداث تفريغ. رابك، ثيودور: سيكولوجيا العلاقات الجنسية، ص21.

<sup>1</sup> شكري، غالي، أزمة الجنس في القصة العربية، ط4، دار الشروق، القاهرة، 1991، ص16.

<sup>2</sup> الحفني، عبد المنعم: الموسوعة النفسية الجنسية، ط4، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002، ص53.

"التضمين تكنيك مفيد خاصة عند معالجة الأمور الجنسية"<sup>1</sup>، كما جاء على لسان "زوربا" بعد أن قضى يوماً مع غانية وفي الليل "أما الباقي، فلا بد أنك تعرفه ثم أخذنا النعاس عندما استيقظت كان الوقت ظهراً"<sup>2</sup>، وليس غريباً أن تنتقل لنا الصورة بعيدة عن الابتذال والإسفاف؛ لأنها تتوافق مع شخصية السارد "باسيل"، عاكسة ثقافة الكاتب الرصين ومستواه الاجتماعي.

ولعرض قضية الجنس في الرواية نستحضر رأي المفكر المصري "غالي" الذي عدّ الجنس سلعة تقبل الملكية المطلقة، والإيجار، والسرقه "فالملكية هي الزواج، والإيجار هو الزنا والبغاء، والسرقه هو العلاقة غير الشرعية"<sup>3</sup>.

ونبدأ بأكثر شخصيات- الرواية خبرة في الأمور الجنسية، إنهما "زوربا" والسيدة "هورتانس"، اللذان اكتسبا هذه الخبرة من الممارسة والتجارب الكثيرة، فهي "تعهرت مع قباطنة، وبحارة، وجنود، وفلاحين....."<sup>4</sup> وأكثر، وهو الذي لم ينكر تعدد علاقاته قائلاً: "أنا الذي رأيت وعاشرت من جميع الألوان، وإن لي، كما يقولون، بعض الخبرة"<sup>5</sup>، ولكل منهما ذكريات ومغامرات ونتاج تجرية، فالسيدة "تعرف حياً تفقدك الرشد. وعندما تغلق عينيك تتصور أنك بين ذراعي فتاة في العشرين"<sup>6</sup>، "وزوربا" كان يعطي صافي خبرته الجنسية "لباسيل"، كقوله ناصحاً إياه "يجب أن تعرف ذلك في حالة سنوح مثل هذه الفرصة لك: أن تحس بأنك تحترق في الداخل لكنك مع ذلك لا تلمسهن حتى مجرد لمس"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> لودج، ديفيد، الفن الروائي، ت: ماهر البيوطي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص214.

<sup>2</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوربا، ص191.

<sup>3</sup> شكري، غالي، أزمة الجنس في القصة العربية، ص31.

<sup>4</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوربا، ص102.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص63.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص102.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص190.

في العلاقات غير الشرعية يكون الجسد أساسها -نلاحظ أن كليهما حاول إخفاء ملامح الشيخوخة عن جسده، هي بوضع المساحيق وهو يصبغ شعره خشية عليه-، وعلامة لإثبات الوجود مر على هذا الجسد سيل من الأجساد دون أن يرتوي، "فهورتانس" تنسى بسرعة إنها لا تتذكر أياً من عشاقها<sup>1</sup>، أما "زوريا" فيختار طريقاً جديدة، مشاريع جديدة<sup>2</sup> وبياشران في البحث عن علاقات متجددة؛ لأنهما مارسا علاقة جسد بلا حب ولا روح، "فالجنس مقيد إلى الجسد، والحب إلى شيء غامض ندعوه الروح، ويهدف الجنس إلى الإرضاء الجسدي، أما الحب فإلى إثراء الشخصية وتضخيمها"<sup>3</sup>.

وبعد حياة حافلة بالعلاقات المتشعبة، ماذا وجدت العجوز "هورتانس" في العلاقة مع "زوريا"؟ هل صحيح ما قاله زوريا: "إن في المرأة جرحاً لا يلتئم أبداً"<sup>4</sup>؟ وأن مطالبها الجنسية تبقى متأججة؟ يبدو أن السيدة التي عاشت حياة صاحبة في شبابها، أثارها شعور أنها مرغوبة بعد هذا العمر، وأن أحدهم يشتهيها وينجذب لها، ورغبت في استعادة الثقة المهزوزة بنفسها وقدراتها بممارسة علاقة تشعرها أنها كائن بشري، "فالافتخار بكونها مرغوبة، وتعني الكثير لرجل وتشغل أمنيته، فتراه تحت سلطتها المطلقة هو أمر يتمتع المرأة دون شك أكثر من اللذة الجنسية المحض، وهو يمنحها شعوراً جديداً بالجدارة الشخصية وإحساساً جديداً بقيمتها"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص102.

<sup>2</sup> المصدر السابق ص345.

<sup>3</sup> رايبك، ثيودور، الدافع الجنسي، ت: ثائر ديب، ط1، دار الحوار، اللاذقية، 1992، ص16.

<sup>4</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص64.

<sup>5</sup> رايبك، ثيودور، سيكولوجيا العلاقات الجنسية، ص237.

ولكن ما الذي جعل "زوريا" يعدد في علاقاته النسائية؟ هل كان عنده هوس بالنساء\*؟ أم كان يبحث عن شيء فيهن ولم يجده؟ "هناك بواعث كثيرة عن العلاقات الجنسية غير الشرعية مثل التحدي، والثأر والفرار من ميول جنسية مثلية وإغراء العلاقات المحظورة، وفتنة الانحلال"<sup>1</sup>.

أعلن "زوريا" أنه مارس الجنس في مرحلة مبكرة من شبابه، ويبدو أنه كان مصاباً بفرط جنسي\*، فقد مارس الجنس مع أي أنثى وفي أي مكان وزمان، باعتزاز وفخر قائلاً: "إننا رجال، لا ندرى مطلقاً ما يمكن أن يحدث؟"<sup>2</sup>، فقد سيطر الجسد الأنثوي عليه، وكان يرى في أي امرأة "كل الجنس الأنثوي"<sup>3</sup>، والوجوه ألقنة تتغير أما الجسد ثابت وموحد "فسواء كانت شابة أم هرمة، جميلة أم قبيحة، فهذه لم تعد سوى صورة لا أهمية لها"<sup>4</sup>، فكل الجوانب الجنسية تجتمع في الجسد، فإذا رأى جسداً أمامه، عصفت به رياح الشهوة ومزقت أشرعتة الرغبة وانتفضت فرائسه، "المحفزات البصرية تهيمن على عوامل الإثارة الجنسية لدى الرجال"<sup>5</sup>، وبنظرة واحدة يبدأ برصد جغرافيا الجسد وتخيّلها معه ووصفها، وكان شديد الوله بالأرداف، وقد كرر هذا الوصف كقوله "لها ردف كالفرس"<sup>6</sup> أو "كريمة الردف"<sup>7</sup> أو وصف مشيتها عندما "مشى زوريا وراءها وهو يفترسها بعينيه وقال بصوت خافت: تحقق من هذا أيها الرئيس. كيف تتبختر، العاهرة بلاف! بلاف! كتلك النعجات التي لها

---

\* هوس النساء **ggnecomanig**: هو الوله الشديد بالنساء والرغبة المستهترّة في مضاجعتهن، وكان دون جوان مهوساً بالنساء.

الحفني، عبد المنعم، الموسوعة النفسية الجنسية، ص718.

<sup>1</sup> رايك، ثيودور: سيكولوجيا العلاقات الجنسية، ص227.

\* المفراط جنسياً **hyperphiliac**: بمعنى أنه يمارس الجنس دون أن يشكو اضطراباً معيناً، إلا أنه يمارسه أكثر من غيره فهو مميز فيه.

الحفني، عبد المنعم، الموسوعة النفسية، ص575.

<sup>2</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص106.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص58.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص58.

<sup>5</sup> باس، ديفيد، النساء، الوقوف على الدوافع الجنسية، ت: أحمد ناصح، ط1، المقعدين للنشر، البصرة، 2018، ص40.

<sup>6</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص107.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص384.

إليات مليئة بالدهن"<sup>1</sup>، ونلاحظ هنا كيف سحرته وجذبته الغريزة، وهو يمشي وراءها تجره وتسحبه وخياله الشهواني يرسم صورتها في مخيلته وهي تهتز في سريره.

أما الزواج عند "زوربا" فهو "الحماقة الكبيرة هكذا أدعو الزواج"<sup>2</sup>، علاقة الارتباط والثبات، جاء في الرواية أنه كان متزوجاً وعنده أطفال، ولم يتحدث عن زوجته، ولم يحبذ أن يتزوج مرة ثانية، قائلاً: "أتزوج مرة أخرى أيها الرئيس؟ لقد سئمت"<sup>3</sup>، وكاد يكرر تلك الحماقة لكن وفاة "هورتانس" أوقفها، "زوربا" كره الزواج لأنه يقيدده ويحد من حريته الجنسية، فهو يريد الانفتاح في العلاقات وانتقاء ما يشتهي من النساء "اختر وخذ... ترى امرأة، فتأخذها"<sup>4</sup>، وهذا يكون في العلاقات غير الشرعية، فهو ينتشي ويتهلل بالاندفاع وراء غريزته الحيوانية، والسطو والاستيلاء على ما لا يحق له، ويجد لذة فيه أكبر من علاقة الزواج "ليست هناك أية لذة في التقبيل عندما يكون القديسون محدقين بك"<sup>5</sup>، ومع هذا كرر الزواج في آخر سني عمره، متحججاً ببرودة الطقس، والواضح أنه بحث عن الاستقرار والدفع العائلي بعد أن ضوّلت قوته وقدراته وبدافع الإنجاب "لأنها، كما تعلم تهيء لي زوربا صغيراً"<sup>6</sup>.

ومن خلال استعراض الرؤية الشمولية لقضية الجنس من وجهة نظر "زوربا"، تبينت الباحثة بعض الجوانب النفسية في شخصيته، فهو يُعدّ الجنس قضية مصيرية تخص جنس الرجال أمام جنس النساء، فلا يسمح لهن بالتعالي عليه أو انتقاص شأنه، والدفاع عن الشرف الذكوري واجب كل رجل، "كان لا بد من مواجهة الموقف، من إنقاذ شرفنا، شرفي وشرفك، كان يجب أن أجعلها تركع

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص 43.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 105.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 237.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 110.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 106.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 383.

أمامنا<sup>1</sup> وكان يرى أن هذه هي قضية الشرف التي يجب أن يبذل لها الإنسان الغالي والنفيس، وأي قضية غيرها لا تعنيه، كما حدث مع ابنته التي حاول عمها قتلها؛ لأنها لوثت شرفها "وجلبت العار لاسمنا. إن لها عشيقاً، وقد ولدت منه، مما نال من سمعتنا"<sup>2</sup> ولكن "زوربا" لم يهتم.

ومع عطفه وحنانه على مجمل جنس النساء وحرصه على مشاعرهن، "إن المرأة مخلوق ضعيف، هش،... إن إناء من الخزف الصيني يجب أن يدارى بحذر"<sup>3</sup>، إلا أن اللقاء الجنسي بهن يُعدُّ ساحة قتال ومعركة حامية الوطيس "أتعرف ماذا يعني هذا أن تفك حزامك وتبحث عن قتال"<sup>4</sup>.

ويجب أن يحسمها لصالحه وينتصر لجنس الذكور، وقد اعتبر أن أكبر خطيئة سيحاسب عليها أن تعرض عليك مواجهة وترفضها وتتهزم "إنني سأذهب إلى جهنم، لأن امرأة كانت تنتظرنني، تلك الليلة، في فراشها ولم أذهب إليها"<sup>5</sup>.

ومن الملاحظ على شخصية "زوربا" نزعتة النرجسية واعتزازه بذاته، فقد صور نفسه بالمعشوق المرغوب والنساء حوله يتهافتن للوصول إليه، موضحاً "النساء، أنوفهن رطبة دوماً، كالكليات، وهن يستروحن فوراً رائحة الرجل الذي يشتهين"<sup>6</sup>، ولا يتركه شأنه "إنهن يتبعن أثري كما ترى، ليباركهن الله"<sup>7</sup> وهدفهن إثارته لإشباع شظفهن الشهواني، وهو يجزم أن "ليس في رؤوسهن غير ذلك صدقتي"<sup>8</sup>، ومن شدة إعجابه بنفسه وقدراته أصبح يخشى طمع النساء به وجشعهن "إنني أقول

---

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص 190.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 91.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 226.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 131.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 134.

<sup>6</sup> المصدر السابق ص 188.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص 189.

<sup>8</sup> المصدر السابق، ص 63.

في نفسي: يا للمحتالات الفذرات، إنهن يردن أن يمتصن كل قوتي، أف! الأحرى أن تعلق  
مشانقهن<sup>1</sup>، ومن أنايته أنه تمنى فناء الجميلات بعد موته؛ خوفاً من أن يستمتع بهن غيره، قائلاً:  
"آه للشقاء! لو أن جميع النساء الجميلات يمتن على الأقل في الوقت الذي أموت فيه أنا"<sup>2</sup>، ومن  
شدة غروره كان يحافظ على توازنه وتماسكه وهو في حضرة الجميلات كي يقعن هن أولاً ويخفي هو  
رغبته "أن تحس بأنك تحترق من الداخل ولكنك لا تلمسهن حتى مجرد لمس"<sup>3</sup>.

مع أنه زير نساء، تأسره الشهوة، يسعى وراء الجنس الأنثوي ليشبع شبقه ونهمه الجنسي ويثبت لنفسه  
فحولته\* وقوته ويرضي كبرياءه.

ومع كل هذه الصفات يبئ نفسه قائلاً: "لقد خلقتي الله، أنا زوريا، وأعطاني الأدوات التي تعرفها،  
وهذه الآلات اللعينة تفقدني رشدي وتفتح كيس نقودي ما إن أصادف الجنس الأنثوي"<sup>4</sup>.

يُعدُّ "زوريا" اللذة الجنسية من أعظم النعم التي عاشها في حياته، وإن المتعة التي يتبادلها الشريكان  
لا يعلو عليها متعة، وهو يحاول نشر هذا، داعماً كل إنسان محروم منها، الأرامل مثلاً، فهو شديد  
الشفقة عليهن، هن اللواتي خطف الموت أزواجهن وتركهن للهب الشوق والتهديد، فيحاول تقديم  
خدماته الإنسانية وتعويضهن، بأن يقوم بدور المحروم، كما فعل مع السيدة "هورتانس" التي كانت  
تتاديه "كانافارو"، كان يحس بأنه أصبح "كانافارو" عن حق، لأنه يشعر بمرارة وحدتها وقلبه يؤلمه  
على أي أرملة إلا "إذا كان ثمة شخص سينام معها، فأستطيع الاطمئنان"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 285.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 104.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 190.

\* "تعني الفحولة قوة الرغبة وطول فترة الجماع وتكراره وقدرته على إرضاء النساء جنسياً من أجل ضمان إخلاصهن الجنس". الديالمي،  
عبد الصمد: سوسولوجيا الجنسية العربية، ص 18.

<sup>4</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 255.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 137.

ويبدو أن "زوربا" يعاني من عقدة نفسية وهي عقدة الخصاء\*، فالقلق من خسارة الأعضاء الجنسية التي تمثل له الحياة شكّل لديه خوفاً في اللاشعور وردات فعل عنيفة، فلم يحتمل العم "أنانيوستي" الذي دعاه إلى طعام مكون من أعضاء الخنزير وقال له مازحاً: "لو فعلوا بك الشيء نفسه، ألا تتألم أنت؟ فنقر زوربا على الخشب وتمتم خائفاً: ابلع لسانك أيها العجوز الأصم"<sup>1</sup>، ولم يحتمل أن يكمل له صديقه "باسيل" قصة الأسطورة الذهبية التي تقول: "رأى ناسك امرأة فأوقعت في نفسه الاضطراب، فتناول عندئذٍ فأساً... فقاطعني "زوربا" وقال: يا للأحمق! يقطع ذلك! يا للأبله! ذلك المسكين ليس عقبة مطلقاً"<sup>2</sup>، الخوف من فقد الرغبة الجنسية وهي الأساس الذي يضخ الدماء والتجديد في حياته.

أما "باسيل" فكان عنده فلسفة خاصة بالجنس\* يؤمن بها، متأثراً بتعاليم "بوذا" التي تحت على الامتناع\* عن ممارسته والترفع عن متع الحياة والارتقاء بالروح والسمو بها، إلا أنه مارسه مرة واحدة مع الأرملة وكانت استجابته للفعل الجنسي بسبب ضغط "زوربا" وتعاليمه. ولم يذكر أنه مارسه بعدها، ربما لأنه السارد ويريد المحافظة على خصوصيته، ولأن أحداث الرواية تدور حول "زوربا" وحياته.

---

\* عقدة الخصاء **Castration Complex**: تحت تأثير الموقف الأوديبى وفي علاقة وثيقة به ينشأ الخوف من الخصاء. ذلك الخوف اللاشعوري من فقدان عضو التناسل عقاباً على ما سيشره الطفل الذكر من دوافع لبيبية. طه، فرج عبد القادر وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي، ص292.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص81.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص27.

عبد المعين، توفيق: سيكولوجية الاغتصاب، د ط، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1994، ص41.

\* فلسفة الجنس **Sexophy**: هي مجموعة الأفكار، إن خاطئة أو مصيبة، إلى مدارها الجنسي موضوعه ومبادئه ومفهومه لدى الفرد والجماعة، والاتجاهات حوله بالعزوف عنه أو الإقبال عليه وسلوكاته. الحفني، عبد المنعم: الموسوعة النفسية الجنسية، ص18.

\* الامتناع الجنسي **Sexual Abstinence**: الأصل أن الإنسان يميل إلى إشباع حاجاته الجنسية، إلا أنه كثيراً ما يضطر إلى الامتناع عن إتيان الفعل الجنسي، وقد يكون ذلك تعففاً أو زهداً أو تقشفاً. المصدر السابق: ص583

والحق أن "باسيل" شخصية حساسة جداً لمكانته، وجل ما يخشاه أن يرفض من قبل المرأة أو لا يلقى قبولاً، فتهتز ثقته بنفسه، أو أن يرتبك ولا يحسن التصرف، كان يتمنى علاقة نموذجية ينعم بها بالحب والرضا والثناء على أدائه.

ومن الانحرافات الجنسية\* التي عالجتها الرواية:

### 2.7.1 الاغتصاب\*:

شكل من أشكال العنف الجسدي والنفسي، يمارس بحق الضحية، مشبع بالقهر والألم والاستغلال، ويكون باجبارها على الاتصال الجنسي مع شخص مرفوض من قبلها، وهو المغتصب، شخص منحرف سريع الاستثارة، لديه دوافع لا واعية مكبوتة زاخرة بالعدوان والتسلط، وميول نرجسية بالسيطرة على من يريد حينما يريد كيفما يريد، "إن طبيعة لذتها في الحقيقة شهوة الانتزاع العنيف والتسلط، والقوة البهيمية، ويكون هذا الشكل من الإرضاء مختلطاً مع التمتع الجنسي"<sup>1</sup>.

إذ هي علاقة قائمة على القوة الجسدية أكثر من المتعة، دون اعتبار لإنسانية الضحية وخوفها، "وترى بروان ميللر أن الاغتصاب ليس أكثر من عملية شعورية من الإرهاب يحاول الرجل جعل المرأة في حالة الخوف والرعب"<sup>2</sup>، ولكن الرواية عالجت القضية بشكل آخر، بداية وضحت كيف خافت النساء، "رحن بيكين، العاهرات، ويخدشن وجوههن ووجوه الرجال"<sup>3</sup> واصفاً الذعر والرعب

---

\* الانحرافات الجنسية: هي كل فعل جنسي يكون عامل الإكراه والإلزام والقسر والإفساد والشذوذ إحدى أدواته وطريقته لبلوغ هدفه. الحوت، علي: الجرائم الجنسية، ط1، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1997، ص24.

\* الاغتصاب بالقوة: هو الجماع الجنسي مع أنثى بالقوة أو الإكراه.

<sup>1</sup> رايبك، ثيودور: سيكولوجيا العلاقات الجنسية، ص60.

<sup>2</sup> عبد المنعم، توفيق: سيكولوجية الاغتصاب، ص29.

<sup>3</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص97.

ومحاولة الدفاع عن النفس، ثم صور لنا مرحلة الضعف "لكن رويداً رويداً تضاءلت مقاومتهن"<sup>1</sup>، ثم مرحلة الاستسلام للشهوة "وأغلقن عيونهن، ورحن يصرخن من اللذة"<sup>2</sup>.

هذا ما جاء على لسان صديق "زوريا" الروسي عندما حدثه عن أيام المعارك والحرب، ويؤخذ على "زوريا" أنه لم ينهه عن هذا السلوك، بل أقر بأن شهوة المرأة تغلبها وترضى بالاغتصاب، وهذا نوع من الانحراف الجنسي المرتبط بفكره فهو يرى أن "إرادة القوة والهيمنة تكتمل في الفعل الجنسي واللذة فيه ليست لذة جنسية فقط. فالافتخار بانتزاع المرأة والانتصار العسير الذي ينطوي عليه القيام بما هو محظور يكون لهما حصة فيه"<sup>3</sup>.

والحق أن هذه أبشع جريمة يمكن أن تمارس في حق الإنسانية وأثرها على المرأة ونفسيتها عميق وعظيم، الاغتصاب لا يحمل معنى اللذة والشهوة، هو ممارسة سادية\* وخليط من الرعب والألم، والمرأة ليست مخلوقاً شهوانياً كما يظن، إنها مجموعة أحاسيس ومشاعر يجب مراعاتها.

## 2.7.2 الكف الجنسي:

أو الإحجام عن ممارسة الجنس، وقد عرضت لنا الرواية نموذجين لهما، الأول: الكف إرادياً، وهي الراهبة التي وهبت نفسها لخدمة الله، وترفعت عن كل ما يثير شهوتها من البعد عن الناس وكثرة التبئيل والصوم "فالتعفف يحفظ على المرء طاقته، فيستغلها في مجال آخر بخلاف الجنس"<sup>4</sup>، إلا أن الكبت ولد لديها الانفجار "فأصيبت بالشر الأعلى لقد سقطت على بلاط الكنيسة وراحت ترتعد

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 97.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 97.

<sup>3</sup> رايك، ثيودور: سكيولوجيا العلاقات الجنسية، ص 236.

\* سادية Sadism: اشتقاق اللذة عن طريق القيام بتعذيب الآخرين سواء بتوجيه عدوان مادي إليهم كالضرب والإيذاء البدني أو توجيه عدوان معنوي كالنقليل من شأن الآخر. طه، فرج عبد القادر وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، ص 223.

<sup>4</sup> الحفني، عبد المنعم: الموسوعة النفسية الجنسية، ص 583.

كسمة، وتزيد، وتجذف وتمزق ثيابها"<sup>1</sup>، فالحرمان والتوتر والقلق النفسي الذي حاولت طمسه ظهر رغباً عنها، "فالنزاعات المكبوتة تتحايل في الظهور بالرغم من الرقابة التي يفرضها العقل الراعي عليها"<sup>2</sup>.

على ما يبدو أن جسدها كان يعيش بين أروقة الدير، إلا أن غريزتها حلقت بعيداً عن أسواره، وحاولت التهرب من قيد الدين، إلا أن الراهبة الأم ترى "أن الجسم سجن الروح، وأنه بطبيعته عقبة في سبيل الحياة الخلقية والفكرية، وكثيراً ما يلوح من ثنايا كلامهم أن اللذة شر في ذاتها"<sup>3</sup>، وعليها أن تتحمل بؤس وشظف هذه الأيام الصعبة من أجل السرمدية\* والأبدية، "إنها في الخامسة والثلاثين، عمر ملعون، وساعات صعبة! لتساعد قداستها، وستشفى. ستشفى خلال عشرة أو خمسة عشر عاماً"<sup>4</sup>.

أما المثال الثاني لا إرادياً، وهي سيدة كانت تعمل خادمة في منزل "باسيل"، وكانت تريد الزواج من فلاح بخيل يماطلها، وهي "عانس عجوز نصف مجنونة بسبب العذرية، عصبية، متفضنة الجلد، وبدون صدر ولها شارب"<sup>5</sup>، لقد عانت المسكينة الأمرين، الوحدة بالرغم من أنها تعيش مع عائلة، والشعور بالدونية، نعم كانت تشعر بتدني في مستوى تقديرها لذاتها\*\*، فكانت تترجى الفلاح قائلة "متى ستتزوجني؟ تزوجني! كيف تستطيع أن تقاوم، أنت! أنا لا أستطيع؟"<sup>6</sup>، ونستشف من حديثها

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 221.

<sup>2</sup> عويضة، كامل محمد: علم نفس الشخصية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص 83.

<sup>3</sup> عويضة، كامل محمد: علم نفس الشخصية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص 23.

\* السرمدي **Sempitern**: لا تعرف أي لغة أخرى كلمة مثل هذه الكلمة الأكثر طلاقة تجاه الخلود. كونديرا، ميلان: فن كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ت، خالد بالقاسم، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2017، ص 169.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 121.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 204

\* "تقدير الذات: هو مصطلح سيكولوجي يشير إلى إحساس الشخص بقيمته أو أهمية نفسه. باس، ديفيد ام: النساء والوقوف على الدوافع الجنسية، ص 357.

<sup>6</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 204.

ألمها النفسي وحاجتها الشديدة واضطرابها الهرموني، ولكن دون جدوى لم تستطع تكوين رابطة زوجية ومن شدة الضغوط أنهار توازنها النفسي واستسلمت للإحباط "فهدأت أعصابها، وتناقضت أوجاع رأسها، وأخذت شفيتها المريرة التي تجهل القبل تبتسم"<sup>1</sup>.

### 2.7.3 الشذوذ\* الجنسي

يعيش الإنسان حياته وهو يجري ويلهث وراء سعادته ورغباته، ومع تنوع المذات والشهوات إلا أن "غاية الإنسان هو أن يحصل على أكبر قدر من الاستمتاع بالنشوة الجنسية"<sup>2</sup>، وهذا أدى إلى فوضى وأزمة جنسية؛ لأن "المجتمع يوجه الغرائز والحوافز ويحدد طريقة اشباعها ويحولها إلى سلوك مقبول اجتماعيا ومرغوب فيه"<sup>3</sup>، إلا أن هذه الحدود تحولت لشذوذ وخرجت عن السيطرة، وظهرت على عدة أشكال منها المثلية الجنسية\*.

هذه الكارثة الإنسانية اللاأخلاقية جاءت من مجتمع الكنيسة في الرواية، وموقف الكنيسة من الجنس واضح، فالهدف من الجنس هو التكاثر، وأي أهداف أخرى هدر للطاقة، "فاللذة ليست هي هدف الغريزة الجنسية، ولكنها قد أعطيت معها لتيسير تحقيق الهدف الأساسي الذي هو تكوين وجود جديد"<sup>4</sup> وقد كانت العزوبية شعار العفة وضبط النفس والتحكم بالشهوات، "لا يوجد هناك وسيلة للمحافظة على كماننا الجسمي والخلقي والعقلي أهم من ضبط النفس والعفة"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص205.

\* شذوذ **abnormality**: هو المغايرة والاختلاف عن الشيء العادي أو المعتاد، فهو يطلق على الاضطراب. أو الانحراف عن المتوسط العام أو المجموع العام. طه، فرج عبد القادر وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي، ص239.

1 ويلسون، كولن: أصول الدافع الجنسي، ت: يوسف شرورو، ط3، منشورات دار الأدب، بيروت، 1986، ص13.

<sup>3</sup> زهران، حامد عبد السلام: علم النفس الاجتماعي، ص113.

\* جنسية مثلية **HOMOSEXUAL**: العلاقات التي تتخذ الليبدو موضوعا خارجيا من نفس الجنس فيتجه الذكر لمثيله والأنثى لمثيلتها، وإن قصره البعض على العلاقات الذكرية. طه، فرج عبد القادر وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي، ص166.

<sup>4</sup> تاوضروس، موريس: المسيحية والجنس، ط2، دار الناخ الحديث، مصر، 2000، ص13.

<sup>5</sup> المصدر السابق: ص18.

أما على مستوى الرهبان فقد أقرت الكنيسة عزوبية رجال الدين وحرمت عليهم الاتصال الجنسي بهدف العفة والتقرب إلى الله والطمع بالحياة الآخرة، ومعنى هذا أن يقضي الإنسان عمره كاملاً دون أن ينفس عن غرائزه الطبيعية ودون أي اعتبار لحاجاته الإنسانية، "فالإنسان عرضة لمختلف ضروب الزيف والانحراف، والدفعة الجنسية عند الإنسان تحركه"<sup>1</sup>، وتسحبه إلى طريق الشذوذ الجنسي\*.

فالراهب المتزين يثوب الوقار والحكمة يحترق داخلياً، حائراً ما بين العفة والشهوة، ساقه الكبت إلى الانحراف مقتنعاً "أن الحب للنساء ناقص وشرير، بينما المحبة تكون بين الرجل والرجل متسامية؛ لأنه لا غاية فيها إلا نفسها"<sup>2</sup>، ففرغ طاقته نحو التلاميذ، فالوحدة والعزلة في الدير بعيداً عن الاختلاط بالناس، والفراغ والملل يطوقهم، "هو يملك طاقة هائلة وافتقاره لمتنفسات خلاقة يحول معظم هذه الطاقة إلى جنس"<sup>3</sup>. ولو قلنا عليهم توجيه طاقتهم نحو العبادة والصوم والصلاة، إلا أنهم في حقيقة أمرهم لم يدخلوا الدير عن قناعة، "لعلك تعتقد أن ذلك بسبب القداسة؟ كم أنت مخطئ! بسبب الفقر"<sup>4</sup>، إذن لا رادع ديني ولا أخلاقي ولا اجتماعي يرددهم.

---

<sup>1</sup> فانق، أحمد: الأمراض النفسية الاجتماعية، دط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2001، ص364.  
\* تطلق اليوم تسمية الحب غير السوي PARAPHILIA على تسمية الشذوذ الجنسي PARVERSION ونحن نفصل استمرار استخدام مصطلح الشذوذ الجنسي في اللغة العربية، لأن محتواه في النهاية هو انحراف الدافع الجنسي عن موضعه الأصلي واتخاذ مواضع بديلة، لا يمكن تحقيق الإشباع بدونها. وقد يرتبط هذا الأمر بأفعال قسرية واستغلال وأحياناً ارتكاب أفعال عنف ومن هنا لا يمكن تسمية هذا النوع بتسمية أخرى أفضل من الشذوذ الجنسي "كاس. اف. أي: في الطب النفسي وعلم النفس الإكلينيكي، ت: سامر جميل، ط1، دار الكتاب الجامعي، غزة، 2009، ص220.

المنحرفين PEVERTS: لا يستثير رغبتهم الجنسية إلا أفراد من جنسهم، إما أفراد الجنس الآخر فلا تحرك فيهم ساكناً على الإطلاق، بل قد تثير فيهم التقرز والاستفطاع في الحالات المتطرفة". فرويد، سيجموند: محاضرات في التحليل النفسي، ت: أحمد عزت، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978، ص335.

<sup>2</sup> الحنفي، عبد المنعم: الموسوعة النفسية الجنسية، ص26.

<sup>3</sup> ويلسون، كولن: أصول الدافع الجنسي، ص61.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص243.

وعليه يختار الراهب غلاماً جميلاً كالمرأة الجميلة، ليحرك مشاعره وعواطفه، فقد "ظهر راهب شاب عند العتبة وأضاعت الشمس شعره الذهبي ووجهه المستدير المزغب"<sup>1</sup> هذا الجمال الفتان أوجع شهوة الراهب وجعله يبتسم ابتسامة خبيثة "وأحاط خصر الراهب الهرم بذراعه وصعدوا الدرج ببطء"<sup>2</sup>، "تبدو محاكاة الجنسي المثلي لأساليب النساء وطرائقهن بمثابة دليل على إعجابه بهن"<sup>3</sup>.

من الواضح أن الراهب المحاط بهالة من القداسة يعيش صراعاً نفسياً عميقاً، والمشكلة أنه عاجزٌ عن الموازنة بين شهوته وبين مجتمعه ودينه وأخلاقه، يعيش حالة هلع من اكتشاف ميوله المنحرفة، ويخشى الفضيحة والعار لادعائه الطهارة وهو يفعل الموبقات، أما الدين فهو لم يكن صاحب رسالة دينية.

كما أن هذه العلاقة قائمة على السادية، فالفاعل عدواني قاده ذلك للقتل "لقد قتل ديميتيوس الراهب الصغير الجميل"<sup>4</sup>، والمفعول به مغضوب مقهور، "هز الراهب الصغير برأسه وكأنه يرفض"<sup>5</sup> وهذا الفعل امتهان لمنزلة الإنسان فالحيوان يترفع عن ذلك.

ومن شدة تعلق تفكيرهم بالجنس، لم يسلم التمثال من وحشيتهم، وقد وجدوا تمثال "الفتاة الشابة الجلييلة بثدييها الصغيرين الناهدين، المنفية بين روائح البخور والآلهة المصلوبين الذين يلغنون الجسد والضحك والقبلة"<sup>6</sup>. فالتمثال يحاكي جسد المرأة ويفضح تضاريسه ويفضح خيال الراهب وتصوراتهِ.

---

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص248.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص250.

<sup>3</sup> رايك، ثيودور: الدافع الجنسي، ص70.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص268.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص250.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص248.

اعتقد "زوريا" بوحشية هذه التصرفات وقذارتها، قائلاً: "إن الذناب لا تأكل بعضها بعضاً، أما الرهبان، فبلى"<sup>1</sup>، ونلاحظ أنه لم يدر مثل هذا الحكم على المغتصبين، ومع إيمان زوريا ومناداته للحرية، إلا أنه لم يؤمن بالحرية الجنسية وأن الشذوذ لا يعتبر نوعاً من الحرية بل هو انحراف عن السلوك المستقيم. إذن الحرية ليست مطلقة إنما بحدود، والحرية التي رسم معالمها "زوريا" ونادى بها حرية شخصية، مفصلة على هواه وما يراه مناسباً متوافقاً مع فلسفته وفكره وإحساسه الخاص.

وبالمحصلة فإن "زوريا" مارس علاقات غير شرعية يرفضها المجتمع والدين كما مارسها رجال الدين، الفرق بينهم أن الرهبان يستترون بعبادة القداسة، أفعالهم تنافي عقائدهم، وأفكارهم ومعتقداتهم لا تتماشى مع سلوكهم، شتان ما بين ظاهرهم وباطنهم، أما "زوريا" إنسان عادي حر، يفعل ما يقتنع به دون مراعاة أو نفاق أو تظاهر، ولا يفرض أفكاره وفلسفته على أحد ولا يدعي النقاء والطمهارة، "الأخلاق لا يمكن أن تكون أخلاقاً حقيقية إلا إذا كان الفعل الأخلاقي من الإطلاق والعموم والشمول بحيث لا يتقيد بزمان أو مكان ولا يرتبط برغبة أو هوى ولا يتصل بمنفعة أو بغرض"<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 250.

<sup>2</sup> كانط، إمانويل: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ص 21.

## الفصل الثالث

### البعد الفلسفي

انتشرت الدراسة الفلسفية وتشبعت مدارسها وفرقها عالمياً، قائمة على التأمل في الكون والحياة، وإثارة التساؤلات المحيرة، "التحريض على إثارة الأسئلة، وفي الحالات الأفضل إيجاد إجابات لها"<sup>1</sup>، عن الذات والوعي بها، واكتشاف الإنسان وحقيقة كينونته والبحث عن معنى للوجود والحياة، "فالبحث في الفلسفة هو أولاً وقبل كل شيء موقف من الحياة، وهو يمثل أحد مستويات تفكير الإنسان في هذه الحياة"<sup>2</sup>، بهدف الوصول إلى الحقيقة "وأن يعرف الإنسان ذاته، أن يتعلم كيف يفكر، أن يتصرف وكأن لا شيء معلوم بذاته، أن يندهش"<sup>3</sup> ومع تطور هذا المنهج الفكري احتاج أن يوصل أفكاره، ويوسع منافذه المنغلقة على الفلاسفة والمتفلسفين "فالأدب يمكن أن يقرأ من قبل الكثيرين ذوي مشارب ومنازع شتى، أما الفلسفة فلا تقرأ إلا من قبل نخبة قليلة إذا ما قورنت بقراء الأدب"<sup>4</sup> فكان الأدب أوسع الأبواب لنقل المعرفة الفلسفية لجمهوره الأوسع والأعم من الجمهور الفلسفي، "الأدب هو أحد الأشكال التعبيرية عن الأفكار الفلسفية، هو الأداة البالغة القوة والدلالة، هو يقدم أدوات ووسائل لا غنى عنها إذا ما كانت تطمح إلى تأثير ما"<sup>5</sup>. هذا الاقتتران بين الأدب والفلسفة قائم على التبادل المشترك النابع من عمق الفكر والضمير الإنساني، "تداخل الفلسفة بالأدب، وحيث يتضمن الأدب فكراً فلسفياً وتعالج قضايا فلسفية بإسلوب أدبي"<sup>6</sup>، فالعمل الإبداعي الذي يفتقر للفلسفة عمل مبتور لا حياة له وفيه. شكلت الرواية متنفساً للفلاسفة لطرح رؤاهم الفكرية في ثنايا

<sup>1</sup> مانتز، جيسي: تطور الرواية الحديثة، ت: لطيفة الدليمي، ط1، دار المدى، بغداد، 2016، ص159.

<sup>2</sup> هويدي، يحيى: مقدمة في الفلسفة العامة، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965، ص13.

<sup>3</sup> دولز، جيل وآخرون: ماهي الفلسفة؟ ت: جورج سعد، ط1، دار عويدات الدولية، 1993، ص16.

<sup>4</sup> مردوخ، آيريس: نزهة فلسفية في غابة الأدب، ت: لطيفة الدليمي، ط1، دار مدى، بغداد، 2018، ص20.

<sup>5</sup> شيا، محمد شفيق: في الأدب الفلسفي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2009، ص112.

<sup>6</sup> ماشيري، بيار: بم يفكر الأدب؟ ت: جوزيف شريم، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص12.

الرواية بالتأليف تارة، أو النقد عن طريق استنباط الحقائق الفلسفية من حياة الناس تارة أخرى، وهذا يتوافق مع رأى الفيلسوف الفرنسي ألبير كامو الذي قال: "الروائيون الممتازون العظام هم الروائيون الفلاسفة... وهم يُعتبرون العمل الفني نهايةً وبدايةً. إنه حصاد فلسفة غير معبر عنها. تفسيرها وتنفيذها. لكنه يكتمل فقط من خلال مضامين تلك الفلسفة"<sup>1</sup>.

وأى عمل روائي حقق نجاحاً عالمياً لا بد أن يحمل روحاً فلسفية غائرة في أعماق الذات، وتطرح أسئلة وتبحث عن إجابة منطقية عليها، "إن كل أدب عظيم تمكن من البقاء عبر الأجيال، وانتزاع النفوذ عبر الثقافات، إنما كان له ذلك لأنه كان تحديداً، أدباً فلسفياً"<sup>2</sup>، دون أن يشعر المتلقي بحشو النص بالنظريات المكتنزة، بل أن ينساب الفعل الفلسفي بسلاسة دون تعقيد، ويصل من المستوى السطحي إلى العميق، مراعيًا الجوانب الجمالية في الرواية والرؤية الفكرية للكاتب.

لقد بث "كازانتزكي" رؤاه الفكرية والفلسفية الحديثة، في فلسفة المعرفة والمنطق وبخاصة فلسفة ما وراء الطبيعة قائلاً: "أريد تفسير تصور للحياة خاص وفردى، كذلك نظرية عالمية خاصة ونظرية في قدر الإنسان، وبعدها، وبناء على هاتين النظريتين، وبترتيب وعزم وبرنامج محكم، أكتب ما سأكتبه"<sup>3</sup>، تنوعت كتاباته حول الوجود والانتصار للحياة الحرة ووعي الذات، بأسلوب متدرج يجذبنا نحو التفكير المنطقي ويضعنا في حيرة وتيه، لما تحمله نصوصه من إبداع وفكر.

"كازانتزكي" أطلق العنان لأفكاره في رواية "زوربا" وأنتج لنا نصاً أدبياً فلسفياً عالمياً مشحوناً برؤى فكرية ومضامين جدلية في شتى مجالات المعرفة.

<sup>1</sup> كامو، ألبير: أسطورة سيزيف، ت: أنيس زكي، ص 119-120.

<sup>2</sup> شيا، محمد شفيق: في الأدب الفلسفي، ص 5.

<sup>3</sup> ببين، بيتر: مدخل إلى كافاني، كازانتزكيس، ريتسوس، ت: سعاد فركوح، ط1، دار منارات للنشر، عمان، 1985، ص 74.

عبر عنها من خلال الشخصيات الرئيسية التي تحمل فلسفة خاصة\* بها، "إن كل إنسان يتبع طريقه الخاص. إن الإنسان -اعلم ذلك- شبيه بالشجرة. هل سمعت ذات مرة إلى خصام شجرة تين؛ لأنها لا تحمل كرزا"<sup>1</sup>، فباسيل مثلاً فلسفته في الحياة قائمة على الهدم، وقناعته أن التغيير يجب أن يكون جذرياً، وهو بذلك يتفق مع فلسفة "نيتشيه" الذي يقول "لقد هدمت الأهداف جميعها، فعلى الإنسانية أن تقيم لها هدفا"<sup>2</sup>، فقد تملكته رغبة في إغراق المركب ومن عليه "كي تسقط عنه جميع تلك الحيوانات التي تلوثه -من رجال، وفئران وفسافس- ثم تعومه من جديد، مغسولاً، طرياً، فارغاً"<sup>3</sup>، أراد التجديد والتغيير "أن نطرح الأسئلة الكبرى، ونهدم الأجوبة القديمة"<sup>4</sup>، وحدد هدفه لكن واجه مشكلة واحدة، "كنت أعلم جيداً ما سيتهدم، لكنني لا أعرف ما الذي سيبنى فوق الأنقاض"<sup>5</sup>، وهذا ما اعترض عليه "زوربا" قائلاً: "لا تتدخل في الأمر، أيها الرئيس، أرجوك. ستهدم كل شيء"<sup>6</sup>، معللاً أن المعضلة والعقدة ليست في الهدم ونسف الواقع إنما تعويضه وإيجاد بديل مرضٍ، وتطبيقها على الأفراد ممكن، لكن على المجتمع صعب "إلا إذا كان لديك، عندما يفتحون أعينهم، عالم أفضل من عالم الظلمات الذي يعيشون فيه الآن"<sup>7</sup>. "زوربا" لم يتطلع يوماً إلى تغيير العالم وقوانين الحياة مع أنها لا تعجبه؛ لأنه لا يملك البديل "إنهم مرتاحون في بؤسهم. اذن دعهم والزم الصمت"<sup>8</sup>،

---

\* الفلسفة الخاصة: مجموعة من المعتقدات الخاصة التي تمثل الزاوية التي ينظر من خلالها إلى الكون والحياة". هويدي، يحيى: مقدمة في الفلسفة العامة، ص11.

<sup>1</sup> كازانتراكي، نيكوس: زوربا، ص148.

<sup>2</sup> نيتشه، فريدريك: هكذا تكلم زرادشت، ت: فليكس فارس، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص364.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص25.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص236.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص82-83.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص254.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص82.

<sup>8</sup> المصدر السابق، ص83.

ولكن حلم باسيل في ايجاد المدنية الفاضلة\* على أرض كريت لم يتبدد، وحاول إيجاد مجتمع يتساوى فيه جميع الناس، متأثراً بفلسفته البوذية، "لقد كان أبلغ ما أحدثته البوذية من أثر في المجتمع الإنساني، إلغاؤها نظام الطبقات واعتبارها بني الإنسان سواسية كأسنان المشط، يتفاضلون في المواهب، ويتساوون في الحقوق"<sup>1</sup>، وحاول تطبيق هذه الفلسفة مع عمال المنجم، لتنظيم نوع من الكومونة تعمل فيها جميعاً. وكل شيء يكون فيها مشتركاً، فنأكل معاً جميعاً من الطعام نفسه ونرتدي الثياب نفسها، كالأخوة"<sup>2</sup> مما أثار إمتعاض وغيظ "زوريا" قائلاً: "لا تنبش هكذا تاريخ حياتهم. فسيميل قلبك نحوهم، وتحبهم أكثر مما يجب، وأكثر مما تقتضي مصلحة عملنا"<sup>3</sup>، وأن عليه أن يظهر الغضب، "إن الغضب ما هو إلا شعور يجسد سعي الفرد الحثيث للوصول إلى مزيد من القوة والسيطرة"<sup>4</sup> والحزم ليضمن الربح وسير العمل، وتلاحظ الباحثة أن "زوريا" رفض أسلوب باسيل مع العمال وقبله على نفسه، فلم يعترض على المساواة مع رئيسه في العمل، "تأتي معي. عندي منجم لينيت في كريت، ستراقب العمال. وعند المساء سنتمدد كلانا على الرمل ونأكل ونشرب معاً"<sup>5</sup>.

كما تحدثت الرواية عن الصداقة\*، العلاقة الإنسانية الفكرية التي جمعت شخصياتها، ويعرفها أرسطو "أنها عطف متبادل بين شخصيتين حيث يريد كل منها الخير للآخر، مع العلم بتلك المشاعر

---

\* المدينة الفاضلة: UTOPIE المجتمع التخيلي لسعادة الإنسان الخالية من النقائص البشرية كما يعيش الأفراد في هذا المجتمع بدون أي صراع أو تنافس بينهم وما إلى ذلك من المساوى التي تحدث عن التفاعل البشري في كل مجتمع بشري سواء في الماضي أم في الحاضر. بدوي، أحمد زكي: المصطلحات السياسية والدولية، ص153.

<sup>1</sup> أبو زهرة، محمد: مقارنات الأديان، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991، ص64.

<sup>2</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص71.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص71.

<sup>4</sup> ادلر، الفريد: الطبيعة البشرية، ص262.

<sup>5</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص22.

\* "الصداقة علاقة عطف ومودة بين الأشخاص تقوم على الاختيار والتفضيل، منشؤها التعاطف والمشاركة في الميول، وأساسها المساواة، تقومها الألفة والمخالطة". \* صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1971، ص722.

المتبادلة فيما بينهما"<sup>1</sup>. وهي حاجة إنسانية اجتماعية، فالإنسان لا يقوى على العيش وحيداً، يبحث عن من ينسجم مع هواه وفكره ويبعد شبح الوحدة عن نفسه، "الفلاسفة اليونان يعتقدون أيضاً بأن الإنسان حيوان اجتماعي، ويجب عليه أن يعيش مع أقرانه"<sup>2</sup>.

تبوأَت الصداقة مكانة مرموقة في المجتمع الذكوري اليوناني، بعد أن أقصى المرأة عن حياة الثقافة والفكر وجعلها حكراً له، مما جعل التقارب بينهم كبيراً وعلاقات الصداقة أساسية ومقدسة، "كانت فكرة الصداقة جزءاً مكملًا للثقافة اليونانية، جزءاً من نمط رؤيتهم لمعنى حياتهم. نجد هذه الرؤية في فنهم ولاهوتهم وفلسفتهم وأيضاً تاريخهم. كانت الصداقة متأصلة في طريقة حياتهم الجماعية"<sup>3</sup>.

تنوعت علاقة الصداقة بين باسيل وأصدقائه، وزوريا وأصدقاءه، وهما معا، وقد أظهر "باسيل" مشاعر الحزن على فراق صديقه "كان صوته يرتجف. كان يعرف أنه لأمر يدعو إلى الخجل ألا يستطيع السيطرة على قلبه. الدموع، الكلمات الرقيقة، الحركات المضطربة، والعواطف المبتذلة. كل ذلك يبدو له ضعفاً لا يليق بالإنسان"<sup>4</sup> "فالإنسان يعد ناقصاً بشكل لا يمكن تعويضه، وهو محتاج إلى الآخرين"<sup>5</sup>.

علاقة الصداقة الوثيقة التي جمعت "زوريا" و"باسيل"، وشحت بمشاعر الأب ومسؤوليته اتجاه ابنه، وشحت بالحنان والرعاية والأمان، "إنهم جميعهم، هناك في الداخل، ذئاب، أما أنت فحمل، إنهم

<sup>1</sup> أبو سريع، أسامة سعد: الصداقة من منظور علم النفس، د.ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993، ص15.

<sup>2</sup> تودوروف، تزفتيان: الحياة المشتركة، ت: منتذر عياشي، ط1، المركز الثقافي العربي، أبو ظبي، 2009، ص25.

<sup>3</sup> ميناس، ميشيل حنا: الصداقة قيمة أخلاقية مركزية، د.ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2017، ص100.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص10.

<sup>5</sup> تودوروف، تزفتيان: الحياة المشتركة، ص25.

سيلتهمونك"<sup>1</sup>، ولم تتقطع مع بعد المسافات بينهما "يلتفت أرسطو إلى بعض الظروف المؤثرة في الصداقة ومنها تباعد الأمكنة، فيقرر أن البعد بين الصديقين لا يقطع الصداقة ولكن يوقف مظهرها إيقافاً مؤقتاً"<sup>2</sup>.

أما أسلوب التواصل بين الأصدقاء في البعد فكان الرسائل التي حملت المشاعر والذكريات والأخبار وقالت ما لم يستطع صاحبها قوله مباشرة، بسبب الخجل أو عدم القدرة على التعبير وجهاً لوجه، "لكن لماذا أكتب لك هذا؟ لأقول لك إنني لم أنس شيئاً مما عشناه معاً، ولأتيح لنفسي أيضاً فرصة كي أعبر عما كان مستحيلاً علي التعبير عنه عندما كنا معاً"<sup>3</sup>. ويلاحظ أن الاعتراف الوحيد بكلمة الحب صراحة جاءت في الرواية بين الأصدقاء فقط، "والآن وأنت لست أمامي، ولا ترى وجهي، وأنا لا أخاطر بأن أبدو سخيفاً، فإنني أقول لك إنني أحبك كثيراً"<sup>4</sup>.

وقد تطرقت الرواية إلى الهدف الأسمى الذي يسعى الإنسان إلى تحقيقه في الحياة، وهو الشعور بالرضى والسعادة والتقدير، وذلك يكون عند تحقيق طموحه وأهدافه على الصعيد الشخصي أو الاجتماعي فيجعل لحياته قيمة ومعنى بعد تعب ومشقة، "السعادة هي الخير الأسمى في حياة الإنسان، كما أن كل نشاط نقوم به بغض النظر عما إذا كان علمياً أو اقتصادياً أو فنياً أو سياسياً أو اجتماعياً، يستهدف غاية ما وعادةً ما تعتبر هذه الغاية خيراً، ما هذا الخير؟ عموماً الناس تفهمه على أنه سعادة"<sup>5</sup>، فيمكن أن تكون السعادة في خدمة أبناء الوطن، أو إنجاز أعمال خاصة، "عندي فرح واحد: العمل"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 265.

<sup>2</sup> أبو سريع، أسامة سعد: الصداقة من منظور علم النفس، ص 16.

<sup>3</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 120.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 120-121.

<sup>5</sup> ميتاس، ميشيل حنا: الصداقة قيمة أخلاقية مركزية، ص 100.

<sup>6</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 178.

"باسيل" وجد سعادته في كريت "أعتقد -ليسامحني الله! أنني سعيد"<sup>1</sup> - طبعاً هذا ينافي مبادئ البوذية- وأن سعادته هنا بطول قامته، أي بمدى قدرته على تحقيق أحلامه وطموحه، "هناك عدد من السعادات بعدد ما للإنسان من قامات"<sup>2</sup>، "وهناك مفهوم واحد يتفق عليه معظم المفكرون، وهو نحن سعداء بالقدر الذي نتحقق فيه رغباتنا أو بتعبير آخر، نحن سعداء إذا ما حصلنا على ما نريد"<sup>3</sup>.

أما فلسفة "زوريا" الخاصة بتأثر شذاها في أجزاء الرواية، فهو لم يتوقف عن طرح الأسئلة المباشرة على باسيل "وانتقاده لعدم معرفته الإجابة قائلاً: "إذن فكل تلك الكتب الفذرة التي تقرأها، ماذا تنفع، قل لي؟ لماذا تقرأها؟ وأذا كانت لا تجيب عن ذلك، فماذا تقول إذن؟"<sup>4</sup>، هو الذي استقى فلسفته من الحياة بعد أن صهر خبرته الإنسانية ووظفها ليضع بصمته الخاصة.

والفلسفة تبدأ من الدهشة، "والدهشة ميل إلى المعرفة، فاعندما أدهش أشعر بجهلي، وأسعى إلى أن أعرف"<sup>5</sup> هي حالة ذهول وشعور بعدم تصديق ما يدور حوله، فأبي ظاهرة أو فكرة تصيبه بالعجب "فالحياة الواعية للإنسان تبدأ بالدهشة، والدهشة هي اليقظة، واليقظة هي أهم ما يميز الإنسان المفكر"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص118.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص118

<sup>3</sup> فروم، إريش: فن الوجود، ت: إيناس نبيل، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 2011، ص19.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص340.

<sup>5</sup> ياسيرز، كارل: مدخل إلى الفلسفة، ت: جورج صدقي، د ط، مكتبة أطلس، دمشق، --19، ص23.

<sup>6</sup> هويدي، يحيى: مقدمة في الفلسفة العامة، ص20.

"فيصبح: ما هذه المعجزة، ما هذه الأسرار التي تدعى "شجرة، بحر، صخرة، طائر؟"<sup>1</sup> تجسيداً لحيرته

أمام جمال وسحر الطبيعة، فيتساءل عن سر الوجود؟، "من هو الفنان الذي صنعهما؟ إنني أقسم

لك. أيها الرئيس، إنها المرة الأولى التي أرى فيها هذا"<sup>2</sup>، وكأنه طفل في بداية حياته.

مشاعر الدهشة هذه تجعله في حالة سكر طبيعية، تفقده صوابه، هذا الإنسان المتجدد الذي يملك

عقلاً نيراً وإحساساً عالياً، فكل ما يبدو بديهياً عابراً "لباسيل" يكون جوهرياً مبهراً "لزوريا" وينظر إليه

قائلاً: "عجباً! أهذا لا يدهشك أيها الرئيس"<sup>3</sup>.

وقد استخدم الموسيقى\* في نشر فلسفته\*، هذا الموسيقى لامست روح القارئ، فتعايش معها وتجاوب

مع الكاتب، فقد اعتمد "زوريا" على الموسيقى الشعبية\* "السانتوري"\* والغناء، لغة جديدة لترجمة

أحاسيسه ومشاعره، فحواسه دائمة العمل، لا تمل ولا تتعب، "نظرت إلى يديه اللتين تعرفان كيف

---

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص194.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص289.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص195.

\* "عرف باسم القانون أنا والسنطور أنا آخر، واختلاف الاسم من باب تعدد الأسماء بمسمى واحد". عبد الجليل، عبد العزيز: الموسيقى الأندلسية، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص246.

\* "انتقل السنطور من العرب إلى أوروبا الشرقية عن طريق تركيا والبلقان، وإلى أوروبا الغربية عن طريق الأندلس". فاخوري، كفاح: آلات الموسيقى العربية، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1998، ص26.

\* "يرجع أصل كلمة الموسيقى ذاتها إلى اليونانية، وكان ينظر إليها في الأصل، بطريقة شبه أسطورية، على أنها فن أوحى به مباشرة وحلقته ربة الفن" موزي. MUSE. يورتنوي، جولبوس: الفيلسوف وفن الموسيقى، ت: فؤاد زكريا، ط1، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص20.

\* "كان اليونان يعتبرون فن الموسيقى صورة من صور الثقافة الفنية والأدبية، فهو فن رفيع يمثل جزءاً من النسيج العاطفي والفكري والاجتماعي للمجتمع". محمد، هالة مجحوب: جماليات فن الموسيقى عبر العصور، ط1، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007، ص39.

\* الموسيقى الشعبية FOLK MUSIC: أبسط تعريف أنها الموسيقى التي تنتقل شفاهياً بين الأجيال داخل مجتمع محدود متجانس ثقافياً. إدجار، أندو -بيترسدجويك: موسوعة النظرية الثقافية، ت: هناء الجوهري، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ص629.

\* "عرف باسم القانون أنا والسنطور أنا آخر، واختلاف الاسم من باب تعدد الأسماء بمسمى واحد". عبد الجليل، عبد العزيز: الموسيقى الأندلسية، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص246. "انتقل السنطور من العرب إلى أوروبا الشرقية عن طريق تركيا والبلقان، وإلى أوروبا الغربية عن طريق الأندلس". فاخوري، كفاح: آلات الموسيقى العربية، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1998، ص26.

تسكان بالمعول والسانتوري<sup>1</sup>، وصوته الشعبي وهو يغني "إن الحجرة البشرية تعود إلى عصور سابقة للتاريخ، كانت الصرخة فيها تركيباً عالياً لكل ما نسميه اليوم: موسيقاً وشعراً وفكراً. وصرخ زوربا من أعماق أحشائه: آخ! آخ!"<sup>2</sup>. وأذنيه التي تصغي لما يشدو، "وقد يحدثونني عندما أعزف لكنني لا أسمع، وحتى إذا سمعت، فإنني لا أستطيع الحديث. لقد حاولت كثيراً، لكن عبثاً، إنني لا أستطيع"<sup>3</sup> فيتحول بكليته إلى موسيقى وألحان وغناء ويذهب إلى عالم آخر\*، "ذابت كل القشرة الرقيقة التي تسميها حضارة، وأفسحت الطريق للوحش الخالد، للاله المشعر، للغوريلا المرعبة"<sup>4</sup>. معبراً عن كل ما يجول في خاطره، "أحسست أن كل ما لا يستطيع أو يجرؤ على قوله بالكلمات، يعبر عنه بالسانتوري. وكان هذا السانتوري يقول إنني أفسدت حياتي"<sup>5</sup>، وقد وصف لنا "السانتوري" وصفاً مادياً "سانتوري عتيقاً صقلته السنون، مع مجموعة من الأوتار، مبطناً بالنحاس والعاج، له طرة من الحرير الأحمر"<sup>6</sup>، ووصفاً معنوياً "إن هذا السانتوري بين هذه الجدران الأربعة، غير مرتاح. إنه حيوان متوحش، وهو بحاجة إلى مدى شاسع"<sup>7</sup> ومن شدة حبه له عامله معاملة إنسانية، فهو لا يعمل إلا في وسط حر مريح "السانتوري شيء آخر. إنه حيوان وحشي، وهو بحاجة إلى

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوربا، ص20.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص195.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص19.

\* "يقال أن السنطير يمكن أن يقوم مقام الموسيقى إن عدمت، لأنه أطرب من جميع الآلة، وأطيبها وأحلاها وأرقها حساً". أحمد، نبيل عبد العزيز، الطرب وآلاته، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص128.

<sup>4</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوربا، ص195.

<sup>5</sup> مصدر السابق: زوربا، ص132-133.

\* "الموسيقى هو ذلك الفن الوحيد القادر على التعبير عما تعجز عنه الكلمات تبلغ المشاعر الإنسانية حداً لا يستطيع الإنسان فيها أن يعبر بصدق عما بداخلها، ففي تلك اللحظة لا يجد أمامه إلا الموسيقى والموسيقى فقط". محمد، هالة مجبوب: جماليات فن الموسيقى عبر العصور، ص40.

<sup>6</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوربا، ص21.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص229.

الحرية"<sup>1</sup>، وعندما كان يخرج ليعرّيه "بحذر وحنان، وكأنهما تخلعان ثياب امرأة"<sup>2</sup>، كأنه يعري نفسه ليتحرر ويشع نوراً، ليتخلص من القشرة وليتلألاً الجوهر، لينطلق إلى ما لا نهاية. ومن شدة حبه "باسيل" "أمر بإعطائك السانتوري، كذكرى، بعد وفاته"<sup>3</sup>.

وفي مقارنة بين فكر "زوريا" وفكر "باسيل" وطريقة معالجهما لبعض القضايا، كان هناك فروقات عديدة بسبب فارق العمر والمستوى الثقافي، "زوريا" عدّ باسيل معرّفاً له "إنك بالنسبة لي أشبه بمعروف، ولست أجد من أن أعترف لك بخطاياي"<sup>4</sup>، لكنه لم يعرف ماذا وجد فيه "باسيل" "أريد أن أعرف، أيها الرئيس، ما الذي يمكن أن تجده عندي؟... ألا تفهم أيها الرئيس، إنه ليس لمخي ثقل!"<sup>5</sup>، "باسيل" يرى أن من الطبيعي اختلاف الناس في درجات الذكاء، لكن المقياس الأصح يظهر من خلال السلوك والقدرة على التعاطي مع البيئة والتعامل مع الطبيعة، مظاهر الطبيعة التي واجهها "زوريا" وجها لوجه، بشجاعة وبسالة ولم يخف منها، "رحت أضحك وأتحدى الريح صارخاً: لن تدخلني كوعي، لن أفتح لك الباب، لن تتطفئ ناري، لن تستطيعي قهري"<sup>6</sup>، بينما "باسيل" المتأثر بمبادئ البوذية، التي تدعو إلى الزهد والتشف، وعلى هذا طريقته في مواجهة القوى الطبيعية الأقوى منه هو الاستغناء والتخلي "الراعي- عندي جواميس، وعندي أبقار، وعندي مروج آبائي، وثور قوي يحضن بقراتي. وأنت تستطيعين أن تمطري قدر ما تشائين أيتها السماء! بوذا- ليس عندي ثيران ولا أبقار. وليس لي مروج. ليس عندي شيء. ولست أخشى شيئاً. وأنت تستطيعين أن تمطري قدر ما تشائين أيتها السماء!"<sup>7</sup>، وقد تعلم من "زوريا" كيف يواجهه مثل هذه المواقف "كيف يجب

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص22.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 20.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 391.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص192.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص137.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص369

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص28.

على الإنسان أن يتصرف، وأية لغة يجب أن يخاطب بها الضرورة الغاشمة العمياء<sup>1</sup>. وكنا على اختلاف في وجهات النظر، في إحقاق الحق لأصحابه وعدم التعدي على الآخرين وحقوقهم، حتى على مستوى الحيوانات، فباسيل يرى "احترام الحياة إنسانية كانت أو حيوانية، من أهم الأخلاق البوذية. فليس لبوذي أن يقتل حيواناً في لهو كالصيد عليه أن يرفق بالحيوان ولا يراه خلقاً أدنى منه"<sup>2</sup>، فباسيل "إذا وجدت قملة إلى جانب لحافك، أيام الشتاء، فإنك تضعها تحته كي لا يصيبها برد... إنني لو وجدت قملة لسحققتها ولو وجدت خروفاً لحزرت عنقه، ووضعته على السفود... قد تقول لي: إن هذا الخروف ليس لك. إنني اعترف بذلك. لكننا دعنا نأكله في البدء... ثم إنك تستطيع أن تتكلم قدر ما تشاء، بينما أكون أنا منهمكاً في تنظيف أسناني"<sup>3</sup>، وفي العلاقة مع الناس كان زوريا يستطيع أن يتعامل ويتفاهم مع كل طبقات المجتمع، بل إنه كان "عندما يرى إنساناً، حتى لو تظاهرت بعدم المبالاة، فإن قلبي يُحنّ له"<sup>4</sup>، أما باسيل فقد كان يعاني من التعامل معهم "إما أن أصبح ناسكاً، وإما أن أزين البشر بريش زائف كي أستطيع تحملهم"<sup>5</sup>، إلا إنه كان يؤمن أن يعيش "حياة الكون أجمع: إننا كلنا، من بشر، وحيوانات ونباتات، وكواكب، لسنا إلا كلاً واحداً"<sup>6</sup> بينما "زوريا" لا يرى أن الإنسانية تشترك في شيء سوى في المصير المشترك، الموت "جثة متصلبة، تحت الأرض وسيلتهمه الدود"<sup>7</sup>، "ليس أفسى على نفس الإنسان من أن يشعر بأن الفناء سينسحب عليه، فلا تبقى منه سوى جيفة عفنة تنهشها الديدان"<sup>8</sup>، "إننا جميعاً إخوة، كلنا لحم للدود"<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 369.

<sup>2</sup> شلبي، أحمد: مقارنة أديان، ص 173.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 251.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 287.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 74.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 352.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص 287.

<sup>8</sup> إبراهيم، زكريا: مشكلة الحياة، ص 169.

<sup>9</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 287.

وبمقارنة مخزون التجارب والخبرات، فزوربا يتفوق "فكلمات زوربا، الغنية بالمعنى والفائحة منها رائحة أرض حارة وكأنها تصعد من أعماق أحشائه... أما كلماتي، أنا، فكانت من ورق، إنها تنزل من رأسي، لا تكاد تلتخطها نقطة دم واحدة"<sup>1</sup>، وعندما دعا باسيل "زوربا" ليكتب مذكرات حياته وأسرارها قال له: "إن جميع الذين يعيشون الأسرار، كما ترى، ليس لديهم وقت للكتابة، وجميع الذين عندهم وقت، لا يعيشون الأسرار"<sup>2</sup>.

"زوربا" عندما غضب من طريقة تفكير باسيل قال له: "لا بد أن يكون هناك بالتأكيد جحيم، لبعض الكتاب السفسافين، أمثالك"<sup>3</sup> لكنه وصفه أنه شاب ذكي وقوي وشجاع "لا ينقصه إلا شيء واحد: الجنون"<sup>4</sup>، أما باسيل فقد أبدع في وصف "زوربا وإظهار إعجابه به، ومما قاله به، "كان يجب أن تكون من البرونز، كان يجب أن تكون من الفولاذ، لا من الهواء، النفس الإنسانية"<sup>5</sup> لكي يضمن له الخلود.

وقد عالجت الرواية عدة مواضيع وعدة قضايا فلسفية منها:

### 3.1 فلسفة الدين\*:

الدين\* حاجة فطرية وحق إنساني ميز الإنسان في هذا الوجود، جاء متوافقاً مع أهدافه وتطلعاته اجتماعياً ونفسياً وفلسفياً، سامياً بالنفس ومغذياً للروح ومنظماً للكون ومشعباً للوجدان.

<sup>1</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوربا، ص353.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص278.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص385.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص379.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص377.

\* فلسفة الدين: الفحص المنهجي لعناصر الوعي الديني في علاقتها بالثقافة والممارسات الدينية من حيث إنها شواهد على حيوية الاعتقاد... فلسفة الدين ليست إلا الفحص الحر للحقائق الدينية وبالذات الله والروح والخلود والمقدس. وهبة، مراد: المعجم الفلسفي، ط5، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2011، ص315.

\* دين Religion: الدين يعبر عن المطلق في إطلاقه، وعن المحدود في محدوديته، وعن العلاقة بينهما. ولهذا يتصف أي دين بما يأتي: (أ) ممارسة شعائر وطقوس معينة. (ب) الاعتقاد في قيمة مطلقة لا تعدلها أي قيمة أخرى. (ج) ارتباط الفرد بقوة روحية عليا. كرم، يوسف: المعجم الفلسفي، د ط، مكتبة يوليو، القاهرة، 1996، ص77.

نشأت هذه الظاهرة الإنسانية من تأمل الإنسان الأول في ذاته وبما حوله، وتفكره بالكون، وخوفه من الظواهر الطبيعية والغيبيات، وأمام حاجته لإله يلجأ له ويدافع عنه وقوى عظمى تحميه، كان "المصدر الرئيسي لنشأة التفكير في الله مصدر ديني، ويتمثل في البحث عن خالق للكون، فالبحث عن الله جاء مقترناً كذلك بالبحث عن منظم للكون ومهيمن على شؤونه"<sup>1</sup>.

بدأ التفكير الفلسفي بخالق الكون وعلاقته مع المخلوق وتطرق لمكانة الدين وارتباطه بالإنسان، وقد أكد الفيلسوف الألماني هيجل "على ضرورة الدين من حيث هو دين، ومن المغالطة الظن بأن الكهنة اخترعوا الأديان لكي يخدعوا الشعوب؛ فالأديان في جوهرها تشترك مع الفلسفة في موضوع واحد هو الله وعلاقة الإنسان به"<sup>2</sup>، وتطرق أيضاً إلى دوره في وعي وفهم الحياة وإدراك الواقع، "ليس الدين إلا ظاهرة عبرت منذ بزوغ الوعي عن الإحساس المتأصل بالتكامل مع العالم والمشاركة في الحقيقة"<sup>3</sup>.

والمعروف أن الفلسفة في أي حضارة في العالم قديماً أو حديثاً هي من أسس تقدمها، "فلا مجال للفصل إطلاقاً بين الفلسفة ودورها في صميم التاريخ الحضاري، لأنك بمجرد ما تحاول أن تكشف عن السمات المميزة للحضارة والوظائف الخاصة التي تضطلع بها، فقد عرفت الفلسفة ذاتها"<sup>4</sup>، والحضور الديني هو الأبرز في هذه الحضارة، "فتاريخ الفلسفة يبرهن بوضوح عن وجود صلة قوية بين الفلسفة والدين منذ العصور القديمة، حتى أنه ليقال إن الديانات القديمة: المصرية، البابلية، والأشورية هي التي مهدت لظهور الفلسفة في بلاد اليونان، وهذا هو معنى العبارة الشهيرة التي تقول: إن الفلسفة بنت الدين"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> هويدي، يحيى: مقدمة في الفلسفة العامة، ص75.

<sup>2</sup> الخشت، محمد عثمان: مدخل إلى فلسفة الدين، د ط، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2001، ص49.

<sup>3</sup> السواح، فراس: دين الإنسان، ط4، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، 2002، ص385.

<sup>4</sup> إبراهيم: زكريا: مشكلة الفلسفة، د ط، مكتبة مصر، القاهرة، 1971، ص236.

<sup>5</sup> إمام، إمام عبد الفتاح: مدخل إلى الفلسفة، ط5، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985، ص111.

ومن خلال المضمون الروائي نُجمل المعاني الفلسفية ذات الطابع الديني، بداية مع التأكيد على أن الدين فطري راسخ في القلب والعقل، "تذكر الكريتي العجوز الأيام الماضية، أيام الترك، وعادت إلى ذهنه كلمات والده، والمعجزات التي كانت تحدث في ذلك الزمان؛ لأن الناس كانوا يخشون الله ويؤمنون"<sup>1</sup> ويتسم أصحابه بخشية الله وتقديسه، "ليتبارك الله"، إنني أضع الكلمة الخطرة بين هلالين مزدوجين"<sup>2</sup> - الفرار إلى حماه من الكوارث الطبيعية، كما حدث مع الكابتن "ليموني" عندما واجه العاصفة، "لكن الإله الرحيم أشفق عليّ وأرسل لي صاعقة طيبة، حطمت مصاريع كوى المخزن وسقط الفحم... وهكذا أنقذت نفسي"<sup>3</sup>، كأنه شماعة يعلقون عليها آمالهم وأحلامهم، وخوفاً من الفشل أضافوا الطابع الديني لأعمالهم، "كانت التجربة ستجري بثلاث أشجار، كرمز للثالوث الأقدس، ثم ستضاف إليها شجرة رابعة، دلالة على الاعتراف بالجميل تجاه سيدة الانتقام"<sup>4</sup> كما كانوا يتذكرونه عند الموت، "مرّ كاهن القرية، وهو متجه بسرعة نحو الدير المجاور، ليمنح الأسرار إلى راهبة تحتضر"<sup>5</sup> والمرض والحاجة، "وكأن المسيح ليس إلا دواء لا يؤخذ إلا في حالة المرض المخطر. وكأن لا فائدة منه، ما دام الإنسان يعيش حياة طيبة، يأكل ويشرب ويحب"<sup>6</sup>.

كما تطرقت الرواية لشكل من أشكال العنصرية، إنها العنصرية الدينية الطائفية، فقد رُفض استدعاء الكاهن عند وفاة السيدة "هورتانس" لأنها كاثوليكية\* فرنسية، ألم تر كيف كانت ترسم إشارة

<sup>1</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص 77.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 180.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 15.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 360.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 139.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 328.

\* "هناك تمازج للأصل العرقي بالتراث الرمزي الذي تستنبطه كل جماعة بشرية باعتداء لتعرض نفسها وحدة متفردة ومختلفة، مقارنة بغيرها من الجماعات البشرية الأخرى، ومن هنا ندرك الصلات الوثيقة بالدين". أكوافيا، سابينو: علم الاجتماع الديني، ص 182.

الصليب؟ بأربعة أصابع!<sup>1</sup>، والعنصرية اللغوية، فعندما كانت تصرخ السيدة التركية "أيتها الأم مبيرة!"<sup>2</sup> وهو الاسم الذي يطلقه الأتراك على العذراء، عارضتها السيدة الكريتية قائلة: "إنها لا تسمعك وهي لا تعرف التركية. ناديها باسمها المسيحي"<sup>3</sup>.

وعُرضت أيضاً علاقة القداسة بين الناس البسطاء ورجال الدين، فكانوا يلتقون حولهم، "أسرع القريون منفعلين، وأحاطوا بالراهب وهم يرسمون إشارة الصليب"<sup>4</sup> ويستمعون إلى خطبهم عن العذراء والمسيح، ويشعرون بقوة خارقة لديهم وتعاويز تحميهم من الشياطين الخبيثة وتقربهم من الأرواح الطيبة، "إن أعينهم جميعاً تحرق بالكاهن وكأنها تنتظر أن يواجه قوى خفية ويطردها"<sup>5</sup>.

أما فلسفة "زوريا" للدين فامتازت بالخصوصية "الفلسفة نمط خاص من الفكر أو هي الفكر في أعلى مراحلها"<sup>6</sup>، إذ كان يعتقد أن أساس العلاقة بين الإنسان والدين هو الإنسان نفسه وتجربته الشخصية وفكره.

والسؤال هنا، هل آمن زوريا بالله؟ "زوريا" الذي أعلن مراراً وتكراراً أنه لا يؤمن بشيء مطلقاً سوى "زوريا" وحده، "لأنه الوحيد الذي يقع تحت سلطتي، الوحيد الذي أعرفه، وكل الآخرين إنما هم أشباح. أنني أرى بعينه، وأسمع بأذنيه، وأهضم بأمعائه"<sup>7</sup>، وكيف كان إيمانه؟ لم يكن إيمانه بالله وتعاليم الدين مطلقاً، بل كان يشوبه الشكوك فيه، حيث أنه لا يستطيع أن يصدق أو يستسيغ أي شيء لم يلمسه أو يراه أو يحتويه، "فالدين يقوم على الاعتماد على الإيمان، أي قبول قضايا معينة

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص337.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص77.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص78.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص358.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص291.

<sup>6</sup> إمام، إمام عبد الفتاح: مدخل إلى الفلسفة، ص9.

<sup>7</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص74.

تصديقاً، على حين أن الفلسفة لا تقبل ذلك، والإيمان في معناه الشائع قبول مجموعة من الحقائق لا هي مستمدة من المصادر الحسية ولا المصادر العقلية<sup>1</sup>، ولأن مصدر الإيمان هنا غيبي ميتافيزيقي، تعامل "زوريا" مع الدين ككل متكامل دون تدقيق في التفاصيل كي لا يصطدم مع فلسفته وفكره، عاملاً بنصيحة مهندس قال له إن الماء به ديدان صغيرة إذا دقت النظر بالعدسة المكبرة، "سترى الديدان ولن تشرب. لن تشرب وستفطس من العطش. حطم العدسة، أيها الرئيس"<sup>2</sup>.

أما الطقوس الدينية عنده فهي مرتبطة بالمعتقدات، "يتم ربط الطقس بالمعتقد بدل ارتباطه بالخبرة الدينية المباشرة"<sup>3</sup>، مثل تساؤل "زوريا": "أتؤمن بأن الله قد أصبح إنساناً وولد في إصطبل؟ أتؤمن بذلك أم أنك تسخر من الناس؟"<sup>4</sup>، هذا المعتقد الذي يقام له طقس احتفالي كل عام بهدف تجديد الإيمان به بشكل دوري، "زوريا" لا يؤمن به إلا أنه يشارك في هذه الاحتفالات التي تعبر عن فرح طفولي بريء، هو لا يملك إيماناً حسيماً بولادة المسيح أو بعثه، ولكنه يرى في هذه الولادة رمزاً للنور والبعث وتجديداً للحياة، "إنني، في مثل هذه الأيام، أعود من جديد صبيّاً صغيراً، إنني أولد ثانية، كالمسيح. ألا يولد، هو، في كل السنين؟ وأنا كذلك"<sup>5</sup>.

وهذا يقودنا إلى موضوع التأليه، "زوريا" بسبب نرجسيته يرى نفسه محور الكون، لا يؤمن إلا بشخصه، متطلعاً نحو الكمال والخلود والتحرر، وأي صفة ترتقي به إلى مصاف الإله.

<sup>1</sup> أمام، إمام عبد الفتاح: مدخل إلى الفلسفة، ص 118.

<sup>2</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص 152.

<sup>3</sup> السواح، فراس: دين الإنسان، ص 53.

<sup>4</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص 150.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 155.

وفي محاولة منه لمحاكاة الإله في الخلق، عمل في صناعة الفخار، وتصور أنه الإله الخالق والفخار المخلوق يشكله كيف يشاء، "أتعرف ماذا يعني أن تأخذ كمية من الطين وتفعل منها ما تريد؟"<sup>1</sup> ومن أجل تمام الخلق وكمال الصنع قطع أصبع يده، "كانت تزعجني على الدولا ب. وتأتي لتقف وسط كل شيء، وتفسد عليّ خططي"<sup>2</sup>، "فكرة الإنسان الإله: أي الغاية التي يجب أن يسعى إليها الإنسان هي التشبه بالإله، على أساس الكلمة المشهورة التي قالها اثناسيوس: صار الله إنسان كي يصير الإنسان إلهاً"<sup>3</sup>، "إن الدين المسيحي يمثل الله كشخص، أي كشيء خارجي"<sup>4</sup>، وكما أسقط صفات الإله عليه أسقط صفاته الإنسانية على الإله، فيما يطلق عليه التجسيم\* في محاولة منه التقدم زلفاً نحو هدفه، زاعماً "أن آلهة المعتقدات بحاجة إلى البشر حاجة البشر إليها، وآلهة الإنسان القديم كانت تستمد حياتها من الناس الذين يحملونها في أفكارهم"<sup>5</sup>، ومن هذه الصفات الضعف والمسكنة، "لا تسيء معاملته هكذا! هو أيضاً يعتمد علينا، المسكين!"<sup>6</sup>، والضحك والغضب "ينظر إليها الله وهو يخفي ضحكته، لكنه يتظاهر بالغضب"<sup>7</sup>، والضجر والملل "ويتملك الضجر الله. ويتأعب"<sup>8</sup>، "إن الإله الرحيم يحتفل بالأعياد، ثم يرتكب المظالم، ويقوم بالحب، ويشتغل، ويجب الأشياء المستحيلة، مثلي تماماً"<sup>9</sup>. كل هذه المحاولات للوصول إلى الكمال الإلهي هدفها نوال الحرية المطلقة.

<sup>1</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص26.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص27.

<sup>3</sup> بدوي، عبد الرحمن: دراسات في الفلسفة الوجودية، ص188.

<sup>4</sup> الخشت، محمد عثمان: مدخل إلى فلسفة الدين، ص46.

\* التجسيم **Anthropomorphism**: هو خلع الصفات البشرية على الله، أو تشبيهه بالإنسان. ماركيه، جان- فرانسوا: مرايا الهوية، الأدب المسكون بالفلسفة، ت: كميل داغر، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص430.

<sup>5</sup> السواح، فراس: دين الإنسان، ص49.

<sup>6</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص80.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص136.

<sup>8</sup> المصدر السابق، ص137.

<sup>9</sup> المصدر السابق، ص298.

وقد أرق فكر "زوريا" سؤال كرهه أثناء الرواية وهو: هل الله موجود؟ وكان يطرحه كلما رأى شيئاً يتنافى مع قدرات الإله وصفاته\*، فهو يعلم أن قدرة الله مطلقة وعلمه واطلاعه عظيم وأنه شديد الرحمة بعباده، ويرى نفسه أمام قدرة الله صغيراً حقيراً كالحشرة قائلاً "لو أن الله موجود، لما خفت مطلقاً أن أمثل أمامه، حين يجيء اليوم الموعود... هل يتنازل الله ويعير اهتمامه دود الأرض ويحاسبه؟"<sup>1</sup>، ولكنه يتساءل حائراً أين الله وقدرته عندما قامت الثورة في كريت؟، "إما أن يكون ما ندعوه إلهاً غير موجود، وإما أن يكون ما ندعوه جرائم ودناءات ضرورياً للنضال ولتحرير العالم"<sup>2</sup>، وأين رحمته عندما مات صغيره؟ "لماذا يجب أن يموت الشباب، وتبقى الأنقاض الهرمة؟ لماذا يموت الأطفال الصغار؟"<sup>3</sup>، وأين كان علمه وواسع معرفته عندما كان "زوريا" في حفلة بغاء جماعية وعلق قائلاً: "أما ما جرى، أيها الرئيس، فالله وحده يعرفه. لكنني أعتقد أنه لا يعرفه إلا أرسل الصاعقة لتشوينا"<sup>4</sup>. على أساس "أن الخير ضد الشر، وبما أن الموجود كلي القدرة المرید للخير ينبغي أن يمنع بقدرته الشر إلى أقصى حد ممكن، وبما أن القدرة الكلية المطلقة لا حد لها، إذن ينبغي أن لا يكون الشر موجوداً أو لا يكون القادر المطلق المرید للخير موجوداً"<sup>5</sup>.

والواضح أن إشكاليات "زوريا" لم تكن مع الدين، إنما مع رجاله ومع المؤسسة الدينية كنظام يحكم ويسن القوانين، "إنها تستخدم الدين لتستفيد من قوته الزجرية ومن سطوة ممثليه لدى العامة"<sup>6</sup>،

\* "يعتقد أن الإله كلي المقدر أو عظيم المقدر وهذا يعني أنه قادر على فعل كل شيء... وأن الإله كلي الرحمة والمحبة... لذلك لا حدود لعناية الإله ولن يسمح لأي أحد بأن يتعذب لحرمانه من الحب... يعتقد أن الإله كلي المعرفة أو عالم بكل شيء لا أحد يستطيع أن يتواري عن الإله لأنه قادر على رؤية كل شيء ومعرفة كل شيء، وتحيط معرفته بأفكارك الأكثر خصوصية وحميمية. الإله هو الأخ الأكبر العظيم". باجيني، جوليان: الفلسفة، موضوعات مفتاحية، ت: أديب شبيش، ط1، دار التكوين للتأليف والنشر. دمشق. 2010. ص196.

<sup>1</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص298.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص33.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص315.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص113.

<sup>5</sup> الجدة، نجوان نجاح، فلسفة الدين. ط1. مركز عين للدراسات الفكرية المعاصرة، بغداد، 2016، ص194.

<sup>6</sup> عدوان، ممدوح: حيونة الإنسان، ط6، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق، 2016، ص216.

لتصل إلى مآربها الدنيوية، "سندهب للقيام بجولة في قرية كريت، حتى يسجد المؤمنون أمام نعمتها ويأتوا بعظاياهم. إننا بحاجة للمال، لكثير من المال لكي نرمم الدير المقدس"<sup>1</sup> كما أنه آمن بأن "الدين أفيون الشعب"<sup>2</sup> في نقد لاذع لهذه المؤسسة\*، التي لم يعترف بها في حياته ولا مماته، إذ أوصى عند وفاته "إذا جاء كاهن ليعرفني ويناولني القربان المقدس، فقل له أن يهرب بسرعة وأن يمنحني لعنته"<sup>3</sup>.

وتعتقد الباحثة أن "زوريا" استخدم الأسلوب نفسه، واستغل الدين من أجل التأثير على الناس في يوم افتتاح المصعد، وادعى أن العذراء القديسة هي من منحتة البركة والميل اللازم للبناء قائلة له: "زوريا، إنني أحمل إليك التصميم. خذ، اتبع الميل، ولك بركتي"<sup>4</sup>.

أما "باسيل" ففلسفته للدين بشكل آخر، إذ "إن الفكر هو الذي يميز إنساناً عن إنسان آخر، وهذا واضح من أننا لا نفرق بين الناس على أساس ثرائهم ولا مظهرهم... بل على أساس طريقتهم في التفكير"<sup>5</sup> وقد تأثر بعاملين، الأول البوذية، إذ اعتبرها باسيل "كفلسفة حياة، مشددة على الاستبصار والجهد البشريين ومع تطورها أمست تأول كطريقة دينية"<sup>6</sup>. ولم يعتنقها.

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص359.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص112.

\* وردت في كتاب للفيلسوف الاجتماعي كارل ماركس جملة تقول "الدين أفيون الشعوب" وقد تحولت هذه الجملة بعد انتزاعها من سياقها إلى شعار رفعتة أحزاب في موقع السلطة، حاربت من خلاله كل أشكال الحياة الدينية، حتى ظنت أنها قادرة على اجتثاث الميل الديني من نفوس الناس. والحقيقة أن ما قصده ذلك الفيلسوف ينصب في معظمه على المؤسسة الدينية لا على الدين، على تفسير المؤسسة الدينية للدين لا على تدين الناس، على تسييس الدين واستخدامه أداة ضغط وتسلط". السواح، فراس: دين الإنسان، ص40.

<sup>3</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص391.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص357.

<sup>5</sup> إمام، عبد الفتاح، مدخل إلى الفلسفة، ص7.

<sup>6</sup> كولر، جون، الفلسفات الآسيوية، ت: نصير فليح، ط6، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ص103.

والثاني عامل الزمن، ففي شبابه كان يمر "أمام الكنائس وکلي احتقار وغضب، ومع الزمن هدأت"<sup>1</sup>، لأنه لم يستطع تحليل هذه المعتقدات عقلياً ولم يتقبلها فكرياً ومع الأيام أصبح يحتفل بالأعياد ويشارك بالطقوس الدينية، ليس عن اقتناع ديني وإنما عن إعجاب جمالي، "إن رعدة الأمس الصوفية قد تحولت إلى متعة جمالية"<sup>2</sup>، كان يشعر بالجمال والفن مكان الدين، "عندما لا تعود إحدى الآلات الموسيقية تستخدم في الطقوس الدينية، تفقد قوتها الإلهية وترسل عند ذاك أصواتاً متناغمة. كذلك انحط الدين في داخلي، وتحول إلى فن"<sup>3</sup>، ويبدو أن باسيل متأثر بفلسفة هيجل الذي "يضع الدين جنباً إلى جنب مع الفن، فيقرر أنه فن باطني يصور لنا الحقيقة الإلهية من الداخل عن طريق الشعور الباطني. في حين أن الفن بطبيعته يمثل لنا الحقيقة الإلهية في صورة خارجية عن طريق الشعور الجمالي"<sup>4</sup>.

الفن ظهر في سماع تسابيح العذراء والتراتيل في الصلوات، كن ينشدن "بأصوات عذبة نحيفة، نشيد وفي كل لحظة كن يركضن، فيسمع لثيابهن حفيفاً شبيه برفرفة الأجنحة"<sup>5</sup>.

كما ظهر في الأبنية القديمة والتماثيل المنحوتة وجمالية المكان، "كان ثمة تمثال مستوحش للعذراء المحاربة، بعنقها المشدود، ونظرتها القاسية القلقة العذرية"<sup>6</sup>. ومنظر الرهبان في زيهم الموحد وهم يسيرون بنظام وترتيب كلوحة رسمت بريشة فنان "كانت الصلاة في المعابد وإنشاد التراتيل فيها هي النموذج الأكثر شيوعاً للطقس المنظم"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 220.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 220.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 220.

<sup>4</sup> إبراهيم: زكريا: مشكلة الفلسفة، ص 193.

<sup>5</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 220.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 244.

<sup>7</sup> السواح، فراس: دين الإنسان، ص 53.

## 3.2 فلسفة الوطن:

الوطن \* موضوعٌ إنسانيٌّ مرتبطٌ بسر الوجود والانتماء، وبمشاعر فطريةٍ موسومةٍ بالتضحية والتقدّيس، انكبت أقلام الأدباء في عرضه والإشارة إليه في جل الأعمال الأدبية، لِيُنقش اسم الوطن برسوم مزخرفة في ذاكرة المتلقي، فالوطن أرض الذكريات ومستنبت الأحلام وقطاف الأمل، يستقر فينا ونستقر فيه، كما أن استحضار الوطن في الرواية وتطعيمها بأحداثٍ تاريخيةٍ ومواقعٍ جغرافيةٍ واقعيةٍ، يرتقي بالعمل الأدبي.

وفي رواية "زوربا" عرض لنا "كازانتزاكي" ثلاثة نماذج رئيسة، لتبيان مكانة الوطن:

- كارايانيس: أحد رفاق "باسيل" القدامى في الدراسة، "ترك وطنه، كريت، حيث كان يُدرس اللاهوت الكهنوتي"<sup>1</sup>؛ لتعرضه لموقف محرج مع إحدى تلميذاته، فهاجر \* غاضباً من كريت بلا عودة، "واستقل المركب، وجاء إلى أفريقيا" \*، وقد أعلن صراحة كرهه الشديد لوطنه، قائلاً: "أنني أكره اليونانيين وكل ما هو يوناني، أكثر من أي شيء آخر"<sup>2</sup>.

تشكل هذا الكره نتيجة عدة أسباب، كانت السياسة واحداً منها، "إن السياسة هي التي تضيع اليونان"<sup>3</sup>، فلا تشجع على الانتماء والعطاء للوطن، واجتماعية بسبب الفقر، "ثم النقص في التعليم، والجنس"<sup>4</sup>، فقد وصف المجتمع بالتخلف والجهل وأفزع الأوصاف، فحياتهم "شتائم، ونزاع، وضرب

---

\* **الوطن:** بالمعنى العام منزل الإقامة، والوطن الأصلي هو المكان الذي ولد به الإنسان، أو نشأ فيه، والوطن بالمعنى الخاص هو البيئة الروحية التي تنتج إليها عواطف الإنسان القومية، ويتميز الوطن عن الأمة والدولة بعامل وجداني خاص، وهو الارتباط بالأرض وتقديسها، لاشتمالها على قبور الأجداد. صليبا، جميل: **المعجم الفلسفي**، ج2، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973، ص580.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص177.

\* المهاجر: هو كل من يهاجر إلى بلد جديد، وبذا يكون الاختيار ممكناً حتماً. سعيد: أدوارد: تأملات حول المنفى، ت: ثائر ديب، ط2، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص126.

<sup>2</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص177.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص178.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص177.

بالهرواوات، ودم يسيل"<sup>1</sup>، مليئة بالفسوق "كجميع اليونانيين، من رواد الحانات"<sup>2</sup>، وأسباب نفسية، "راحا يصرخون بهما هازئين"<sup>3</sup>، سخروا منه وعاملوه معاملة قاسية جداً.

"كارايانيس" لا يفخر بوطنه الذي نبذه، "إنني لأنفجر ضاحكاً، وأبصق، وأشتم، وأبكي، عندما أفكر باليونان"<sup>4</sup>. فقد خذله اليونان حكومة وشعباً، وقرر أن يكتب على شاهد قبره "هنا يرقد يوناني يكره اليونانيين"<sup>5</sup>، وهذه المشاعر نادرة وتتأفي الفطرة السليمة وهي ناتجة عن خيبته وصدمة من واقع البلاد، "أنني أبصق عليك أيتها اليونان القذرة"<sup>6</sup>.

أما إفريقيا فقد فتحت أبوابها له، ومدته بالسلطة والمال والحرية، "لقد جئت إلى هنا، وأتيت بقدرتي، ليس قدرتي هو الذي أتى بي، فالإنسان يفعل ما يشاء"<sup>7</sup>، "فالإنسان لا يفتن أن حريته مقيدة إلا عن طريق الفشل الذي يصيبه في الحياة"<sup>8</sup>.

- ستافريداكي: صديق "باسيل" المخلص ومعلمه، عاش حياته حاملاً هموم الوطن والمواطن، ساعياً للارتقاء بهما، حاملاً رسالة تروي حب الوطن بلا مساومة، ونشع إيماناً بأهله.

وفي إبان الحرب\* العالمية الثانية التي شاركت بها اليونان مدة (42) شهراً مع دول الحلفاء ضد دول المحور، هاجمت القوات الإيطالية الأراضي اليونانية في (28 أكتوبر 1940) واستمرت المعارك إلى

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 177.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 178.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 177.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 177.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 178.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 179.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص 178.

<sup>8</sup> هويدي، يحيى: الفلسفة الحديثة والمعاصرة، د ط، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981، ص 238.

\* الحرب **guerre**: أعمال عدائية مسلحة بحجم كبير وبدرجة كبيرة، أو صغيرة من الاستمرار بين أمتين أو دولتين أو حكومتين أو أكثر ويهدف من ورائها كل فريق إلى صيانة حقوقه ومصالحه في مواجهة الطرف الآخر. بدوى، أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د ط، مكتبة لبنان، بيروت، 1983، ص 444.

(20 أبريل 1941) وأسفرت عن استسلام اليونان دخولها في مرحلة مظلمة من تاريخها<sup>1</sup>، "فجنوح الإنسان إلى الحرب منذ بداية تشكل المجموعات البشرية إلى يومنا هذا، هو أوضح تجليات النزعة التدميرية الذاتية، فبصرف النظر عن كل التبريرات العقلانية وبواقع البطولة الرومانسية، ليست الحرب إلا اندفاعاً لا شعورياً نحو الموت وتلبية لنداء داخلي بإيقاف الحياة"<sup>2</sup>.

ونتيجة لهذه الحرب تشرذم الشعب اليوناني في أصقاع الأرض، مشتتون على شكل أقليات\* في مخيمات وملاجئ، "إن سكان "البونت" و"القوقاز" هؤلاء، وفلاحي "كارس"، وتجار "تفليس"، و"باتوم" و"توفورسيك"، و"روستوف"، و"أوديسا"، و"كريمة" إنما هم منا، من دمنا"<sup>3</sup>، هم أبناء الوطن المغيبون، الطافحون ويلات الحروب.

لقد شغلت قضية الوطنية\* "ستافريداكي" كثيراً، وراودته فكرة الشهادة من أجل ثرى الوطن والتضحية بروحه في سبيل قضيته، "اليونان، والوطن، والواجب، هذا لا يعني شيئاً بالفعل، لكننا من أجل هذا اللاشيء سنذهب عن طواعية لنموت"<sup>4</sup>، متباهياً بعنصريته لأبناء وطنه وقومه، "إن مفاهيم الوطن والعرق\* التي تحبها"<sup>5</sup> ولا حدود لانتمائه.

---

<sup>1</sup> يُنظر: معدي: الحسيني، موسوعة الحرب العالمية الأولى والثانية، ط1، دار الحرم للتراث، القاهرة، 2011، ص213-216.

<sup>2</sup> السواح، فراس: لغز عشق، ط8، دار علاء الدين، دمشق، 2002، ص234.

\* "الأقليات المنكشمة عانت من الاضطهاد، واضطرارها إلى العيش داخل دائرة الاضطهاد يدفعها إلى نسج نوع من الشرنقة حول نفسها لتؤمن الحد الأدنى من الحماية الذاتية مع الحفاظ على ملامح الهوية أو التثبيت بها، والقدرة على الحفاظ على هذه الملامح، مع قسوة الحياة أو استحالتها". عدوان، ممدوح: حيونة الإنسان، ص32.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص181.

\* "الوطنية معناها أن يشعر جميع أبناء الوطن الواحد بالولاء لذلك الوطن والتعصب له، أي كانت أصولهم التي ينتمون إليها... أي الولاء فيها للأرض بصرف النظر عن القوم أو اللغة أو الجنس". قطب، محمد: مذاهب فكرية معاصرة، ط7، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص554.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص120.

\* "ارتأت الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية تعريفها" الجماعة العرقية تتميز عن أية جماعة عرقية أخرى، من خلال امتلاكها سمات طبيعية فيزيائية، معينة موروثية، وذلك بفعل الزواج الملحمي، أي زواج الأقارب". بغداداي، عبد السلام إبراهيم: الوحدة الوطنية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993، ص180.

<sup>5</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص118.

وقد وضح لنا وضع النازحين خارج اليونان، فمنهم "تصف مليون من اليونانيين يواجهون الخطر في روسيا الجنوبية والقوقاز كثيرون منهم لا يتكلمون إلا التركية أو الروسية، لكن قلوبهم تتكلم اليونانية بتعصب إنهم من دمنا"<sup>1</sup>، صحيح أنهم متمسكون بيوثانيتهم إلا أنه خشي عليهم الانصهار والاندماج مع الدول المضيفة، لإتقانهم اللغة واستطاعتهم الاستقلال مادياً "لقد نجحوا بها في أن يصبحوا سادة هنا، على هذه الأرض الروسية الشاسعة، وفي أن يستخدموا فلاحين روسيين"<sup>2</sup>، "فربما كان لدى شعب من شعوب العالم نوع من الاعتزاز الذي ينطوي على إحساس بالتميز عن شعوب الأرض الأخرى، وهو ما يسميه أيريك فروم "النجسية الجماعية"<sup>3</sup>.

ومنهم من نرح إلى جورجيا وأرمينيا، "وهؤلاء يواجهون خطر الهلاك. لقد فقدوا كل ما لديهم، فهم جائعون عراة"<sup>4</sup>، وتتصاعد الجرائم والانتهاكات بحقهم، وهم كلهم أمل بالعودة إلى أرض الوطن، "إنهم يتجمعون في الموانئ، ويتفحصون الأفق بقلق ليتبينوا ما إذا كانت المراكب اليونانية قد جاءت لإعادتهم نحو أمهم، اليونان"<sup>5</sup>.

لقد آمن "ستافريداكي" بقضية أبناء وطنه، فهو جزء لا يتجزأ عنهم، وتعبيراً عن شعوره بالنحن\* القومية\*، أخذ على عاتقه إيصال اليونانيين إلى أرضهم، مشبهاً نفسه "بموسى وهو يقود الشعب

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص180.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص180.

<sup>3</sup> عدوان، ممدوح: حيونة الإنسان، ص35.

<sup>4</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص180.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص180.

\* "الشعور بالنحن: شعور الفرد في الجماعة الأولية الذي تتولد عنه روح الجماعة، ولهذا الشعور قوى انفعالية وجاذبية تجعل الشخص داخل الجماعة وتفصله عن الجماعة الخارجية". بدوي، أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص445.

\* "القومية: معناها أن أبناء الأصل الواحد واللغة الواحدة ينبغي أن يكون ولاؤهم واحداً وإن تعددت أرضهم وتفرقت أوطانهم" وهي السعي إلى توحيد الوطن بحيث تجتمع القومية الواحدة في وطن شامل. قطب، محمد: مذاهب فكرية معاصرة، ص554.

المختار نحو الأرض الموعودة،.... أرض اليونان<sup>1</sup> وهدفه أن "ينقذ مئات الألوف من اليونانيين، وبنقذ أنفسنا معهم"<sup>2</sup>، من أجل أن "يحقق أوردة اليونان العجوز بدم جديد قوي"<sup>3</sup>.

للأخذ بيد البلاد اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً. وتلاحظ الباحثة أن فكر "ستافريداكي" منحاز لوطنه ولقوميته وأبناء عرقه، وهذا نابع من المجتمع الذكوري الذي نشأ به، المشجع على التعصب للقبيلة. حالة اللجوء والنزوح وحياة المخيمات والملاجئ، وما يكابده أبناء البلاد المنكوبة من ويلات الحروب نستطيع أن نلمسه للأسف في العراق ولبنان وسوريا وفلسطين واليمن، وما تعانيه من شتات الفكر والإنسان.

- زوريا: كانت الحرب العنصر الأول الذي كشف عن فلسفة "زوريا" اتجاه الوطن، الحرب التي كانت "أمر طبيعي لا مفر منه، سل من شئت من الناس، سوف تجد الجواب ذاته، كانت وستظل هناك حروب دائماً، فالحرب جزء من الطبيعة البشرية"<sup>4</sup>، وانعكاساً لسياسات الدول ومصالحها الخاصة وسعيها نحو السلطة، وقد أكد على ذلك الفيلسوف الألماني "نيتشه" قائلاً: "إن الحالة الطبيعية هي حالة الحرب، فهي الصورة المناسبة لكل شعب خسر حرته، إنها صراع من أجل السلطة"<sup>5</sup>، ومجتمع حطمه القهر والفقر والبؤس الاجتماعي، "الحرب والفقر هما خصيصة كل مجتمع غير عادل تتشكل الحرب على أنها النموذج الذي يسمح بالتمييز بين مجتمع القهر والضعف ومجتمع الحرية والسلام"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص182.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص180.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص371.

<sup>4</sup> رايلي، كافين: الغرب والعالم، ت: عبد الوهاب المسيري، ج1، دط، مطابع الرسالة، الكويت، 1985، ص123.

<sup>5</sup> التركي، فتحي: الفلاسفة والحرب، ت: زهير المدني، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص136.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص61.

وبين متعطش للدماء ومُدين للحرب، كان "زوريا"، هو الذي عاصر الحروب وعاشها، وذاق حلوها ومرها، "فمن كونها غريزة لكونها عارض ومن كونها ظاهرة إلى كونها واقع معاش"<sup>1</sup>، ففي شبابه وجد المتعة واللذة في التضحية من أجل الوطن تفوق متعته مع النساء، "عندما شعرت بأنني رجل عن حق، كففت عن الالتفات للنظر إليهن"<sup>2</sup>، فكان نموذجاً للشباب الوطني الذي يحتذى به، فقد انتسب للحرب قاصداً راجباً ذلك، "دخلت المقاومة كجندي متطوع، غير نظامي"<sup>3</sup>، معلقاً كنياسة القديسة صوفيا على صدره ذخيرة، "لقد طرزتها، يا صديقي، بهاتين اليدين الغليظتين، وبهذه الشعرات التي كانت هنا سوداء كالفحم"<sup>4</sup>، ملتزماً بالزي العسكري، مجسداً لكل مقاييس الرجولة، "وقد كنت مارداً تزيد قامتي على ارتفاع هذا الكوخ بزي القومي،... وذخائري، وسيفي، وحزام رصاصي، وغداراتي. كنت مغطى بالحديد"<sup>5</sup>، ومقاييس الشجاعة، فقد كان جسده من الأمام زاخراً "بندوب عميقة، آثار رصاص، وضربات سيف، لقد كان جسده مصفاة حقيقية.... أما من الخلف، حتى ولا خدش"<sup>6</sup>. قاتل بعنصرية المحب لأرضه، المقتنع بأن الدفاع عن النفس حق مشروع، والبقاء لليوناني الأقوى، مقبلاً على الموت في سبيله، واصفاً المعارك، "راحوا كي يخيفونا، يضربون على الصنوج ويعوون كالذئاب. كان عددهم ثلاثمئة، أما نحن فكنا ثمانية وعشرين"<sup>7</sup> ذاكراً دهائه في تنفيذ الخطط العسكرية، "دخلت إلى اسطبل الكاهن، واستلقيت على ظهري فوق الروث، وراء بقرتين ورحت انتظر"<sup>8</sup>، كانت الحرب مسرحاً للمتعطشين للدماء، للقتل بدافع الوطنية، "لقد قمت، أنا، من أجل

<sup>1</sup> خليل، رفقة رعد: فلسفة الحرب، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص15.

<sup>2</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص285.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص285.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص284.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص284.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص284.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص364.

<sup>8</sup> المصدر السابق، ص285.

الوطن، بأمور يقشعر لها شعر رأسك"<sup>1</sup>، ومن شدة الحقد والقسوة وإشباع غريزة القتل مثل بالجنث بلا رحمة، "أني سأقدم لك كشفاً عن الرؤوس التركية التي قطعتها، وعن الآذان التركية التي وضعتها في الكحول... فتلك هي العادة في كريت"<sup>2</sup>، "إذا ظفرتم بعدو فصبوا عليه بغضكم"<sup>3</sup>، وكانت المجازر\* والإبادة والتصفية تتم بمباركة الآلهة وباسم الله تقام حفلات الدم وتدشن، "كنا نلقي بأنفسنا على إنسان لم يفعل لنا شيئاً، ونعضه، ونجدع أنفة، ونقطع أذنيه، ونبقر بطنه، كل ذلك ونحن نطلب العون من الله"<sup>4</sup>، وقد كرر أن القتل كان بلا سبب ولا هدف "يقولون إن الغاية المثلى تبرر الحرب، أما أنا فأقول لكم إن الحرب المثلى تبرر كل غاية"<sup>5</sup>.

ولكن ماذا فعلت الحرب بزوربا؟ "إنني لست إلا جراحاً وحدبات"<sup>6</sup>، وذكريات أليمة ومآسي وجراح، وصرخات الضحايا، وعويل النساء، "كان يتحدث وكأن ذكريات مرعبة تعود إلى ذهنه، فيستشيط غضباً، ويتمتم من بين أسنانه المهترزة الجوفاء بكلمات غير مفهومة"<sup>7</sup>، لا تترك الحرب سوى الدمار والقتلى ومن أجل ماذا؟ من أجل لا شيء، حتى الثورة\* التي انضم إليها في كريت، "كان اليونانيون الذين يكوّنون غالبية سكان كريت، يرغبون في أن يضع الباب العالي إدارة الجزيرة في

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص 287.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 31.

<sup>3</sup> نيتشه، فريدريك: هكذا تكلم زرادشت، ص 73.

\* "إن المجزرة عملية تقتيل جماعية لأناس غير مسلحين، أو مستسلمين، يقوم بها أناس أقوياء ومسلحون نमित لديهم أحقاد واستعدادات وحشية من خلال الألغاء الذهني للآخر إلى حد عده من غير البشر". عدوان، ممدوح: حيونة الإنسان، ص 39.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص 31.

<sup>5</sup> نيتشه، فريدريك: هكذا تكلم زرادشت، ص 72.

<sup>6</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص 285.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص 284.

\* الثورة **Revolution**: تعبير مفاجئ وعميق في النواحي السياسية والاجتماعية في بلد ما، وقد يتم عن طريق العنف أو استخدام القوة الشرعية ولا تتبع في أحداثه الوسائل المقررة لذلك في النظام الدستوري للبلاد. بدوي، أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص 359.

أبدي حاكم مسيحي وفي أن تنفق إيرادات الضرائب على الجزيرة"<sup>1</sup>، وجاءت بالأمير جورج وبالحرية والانتصار كما كانت محملة بالجرائم التي لا تغفر، "لو رحت أعدد لك ما ارتكبهنا من قذارات واغتيالات، لوقف شعر رأسك"<sup>2</sup>، وقد أشار الفيلسوف الفرنسي "فولتير" إلى كرهه للحرب واستباحة الدماء قائلاً: "إن الحرب أم الجرائم وأعظم الشرور... إن القتل حرام وجميع أنواع القتل يُعاقب عليها في زمن السلم، أما إذا نفخ في الصور وأعلنت الحرب فيصبح القتل بالألوف مباحاً"<sup>3</sup>.

ويعد كل هذه القسوة التي عاشها "زوريا"، تغير مفهوم الوطن، ومضمونه عنده، فأعمل بصيرته وأدرك أن الوطن أرحب وأوسع من الأرض والعرف واللغة، وأن العلاقة بين الناس تقوم على الإنسانية\*، "قد يكون بلغارياً أو تركيا، إنني لا أميز بينهما هل هو طبيب؟ هل هو سيء؟ هذا كل ما أطلبه اليوم"<sup>4</sup> بلا عنصرية\* أو حرب.

وأيقن أن منظومة الحرب فاشلة، لا ثابته لها، أساسها الرياء والنفاق النابع من مصلحة رجال السياسة، "ملوك وديمقراطيات ونواب يا للمراعاة"<sup>5</sup> الذين لا يعبؤون بحال البلاد والعباد والأرامل والأيتام، ولا يخجلون من تاريخهم الملطخ بالدم، "إن التاريخ صورة عن الجرائم والكوارث ليس إلا"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> يحيى: جلال: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، د ط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دت، ص 494.

<sup>2</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 33.

<sup>3</sup> ديورانت، ول: قصة الفلسفة، ت: فتح الله المشعشع، ط6، مكتبة المعارف، بيروت، 1988، ص 305.

\* "الإنسانية هي المعنى الكلي الدال على الخصائص المشتركة بين جميع الناس، كالحياة، والنطق وغيرها". صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج1، ص 158.

<sup>4</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 287.

\* "العنصرية: المذهب الذي يقوم على أساس فكرة التفوق العنصري لبعض الأجناس بحسب أصولها وألوانها، أي أن السلالات البشرية مختلفة المراتب ومتفاوتة القيم وأنه يحق للسلالات العليا أن تحكم السلالة الدنيا". بدوي، أحمد زكي: المصطلحات السياسية والدولية، ص 125.

<sup>5</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 25.

<sup>6</sup> ديورانت، ول: قصة الفلسفة، ص 274.

وأن لا مسوغ لقتل الإنسان للإنسان أبداً بهذه الوحشية، "ما دامت هناك أوطان، فإن الإنسان سيبقى حيواناً مفترساً"<sup>1</sup>، وقد فرق الفيلسوف الألماني "اريك فروم" بين الإنسان والحيوان قائلاً: "إن الإنسان يختلف عن الحيوان في حقيقة كونه قاتلاً؛ لأنه الحيوان الوحيد الذي يقتل أفراد من بني جنسه ويعذبهم"<sup>2</sup>، إذن، فإن الوطني المسعور "إذا لم يأكل لحم إنسان، فإنه لا يشبع"<sup>3</sup>.

لقد تثبت "لزوربا" أن الوطن كذبة وحدوده باطلة وتقديسه ضلالة تفتعل الحرب، فرمى سلاحه وألقى القديسة صوفيا التي تحميه، "تزعت القديسة صوفيا التي طرزتها، ومزقتها إرباً، وألقيت بها في الهواء ومضيت"<sup>4</sup>، وتخلص من الوطن، بعد أن دفع ثمن ذلك غالياً، "إن الكثيرين وطنيون، لكن هذا لا يكلفهم شيئاً. أما أنا فلست وطنياً، ولو سبب لي ذلك الأذى"<sup>5</sup>، لقد تحرر من الوطن، من التاريخ، من الجغرافيا، أصبح إنساناً "كوسموبوليتاني" \* ينادي بتوحد البشرية على أسس إنسانية متمثلاً بالفيلسوف الألماني "كانط" الذي دعا إلى تأسيس قانون عالمي يقوم على الديمقراطية وإلغاء الرق والعبودية وبتنصرية وتوسيع رقعة السلام العالمي<sup>6</sup>، هكذا يغربل "زوربا" نفسه ويلخص فلسفته ويفصل حريته، "إن الذي يجد موطنه في كل أرض فقد بلغ القوة، غير أن المرء لا يبلغ الكمال قبل أن يعتبر العالم أجمع أرضاً غريبة، فالنفس الفضة تركز حبتها على بقعة واحدة من العالم، والرجل القوي يشمل بحبه كل الأماكن"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص 288.

<sup>2</sup> عدوان، ممدوح: حيونة الإنسان، ص 57.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص 32.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 286.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 184.

\* الكوسموبوليتي Cosmopolite: من يعتبر العالم وطنه ولا ينتسب لبلد ما. ماركيه، جان، فرانسو: مرايا الهوية، الأدب المسكون بالفلسفة، ص 433.

<sup>6</sup> يُنظر: ديورانت، ول: قصة الفلسفة، ص 362.

<sup>7</sup> سعيد: أدوارد: تأملات حول المنفى، ص 131.

أراد "باسيل" أن يفهم فلسفة "زوريا" عن الوطن والحرب، من خلال السؤال المباشر له، "أريد أن أقول، هل ذهبت لتقاتل من أجل الوطن؟"<sup>1</sup>، "باسيل" الخالي من التجارب الحية، "إن سيادتك كما أفهم، لم يجع قط، ولم يسرق قط... ما الذي يمكن أن تعرفه عن العالم إذن؟"<sup>2</sup>، الذي يعمل عقله في كل الأمور، وبالعودة إلى الكتب "كل ما كنت أحاول، أنا، أن أعرفه مع الورق والحبر"<sup>3</sup>، تعلم مفاهيم الإنسانية واللاقومية ونادى بأن يهدم الواقع ويبني مكانه وطناً لكل مواطنين هذا العالم، "مفاهيم الوطن الأعلى والإنسانية التي جذبتني، لها قيمة نفحة الهدم الفائقة القوة"<sup>4</sup>.

لقد حمل "باسيل" وطنه بين دفتي الكتب، وحلم بأن يتحرر يوماً ما من الوطن، "شقي من لا يستطيع الخلاص من البوداوات، والآلهة، والأوطان"<sup>5</sup>.

### 3.3 فلسفة لغة الجسد:

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، وللاتصال والتواصل مع بيئته ومحيطه استخدم اللغة\* بشقيها، الاتصال اللفظي والصوتي المسموع والاتصال غير اللفظي\* المرئي الملحوظ—وهو موضوع الدراسة— ودمجها معاً لإحداث الأثر والتأثير في نفس المتلقي.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 283.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 32.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 289.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 118.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 233.

\* مفهوم اللغة: يقصد باللغة جميع وسائل وطرق الاتصال التي يقوم من خلالها الإنسان بالتعبير عن مشاعره وأفكاره. غانم، محمد حسن: فن قراءة لغة الجسد، مكتبة الأنجلو الحديثة، القاهرة، 2008، ص 16.

\* "الاتصال غير اللفظي أو ما يطلق عليه لغة الجسد، ويتم ذلك من خلال استخدام لغة غير لفظية إلا أنها تكون أكثر وضوحاً وصدقاً من اللغة المنطوقة وتقسّم اللغة غير اللفظية إلى:

أ- تعبيرات غير لفظية جسدية مقصودة: مثل تعبيرات الوجه والعينين واليد.

ب- تعبيرات غير لفظية جسدية غير مقصودة: مثل احمرار الوجه، تصبب العرق، مظاهر الفزع. المصدر السابق، ص 18-17.

ينسب الاتصال المرئي للجسد\*، "فالجسد كدال متكامل قادر على توليد سلسلة لا متناهية من الدلالات انطلاقاً من تنوع الأنماط الصانعة لكيونته"<sup>1</sup>، فحركات وإيماءات\* الجسد منحت الإنسان سعة لما يفكر به ورحابة للتعبير عما بداخله حين تخونه الكلمات، "فلغة الجسد وسيلة نقل المعلومات -مثل الكلام الملفوظ تماماً- عدا أن هذه المعلومات يتم نقلها من خلال تعبيرات الوجه والإيماءات، واللمس، والحركات الجسدية، والمظهر الخارجي، وحتى من خلال نبذة ونغمة الصوت"<sup>2</sup>.

ارتباط الإنسان بجسده ارتباط إثبات وجود، "فوجود الإنسان وجود جسدي"<sup>3</sup>، يرمز للحياة واستمرارها، "فبما أن الإنسان أصلاً حضور جسدي في العالم، فإن فضل وجوده يكمن في قدرته على التعبير، من ثمة فإن الجسد يُمسرح دائماً تعبيرية تلك عبر صور متعددة"<sup>4</sup>، ويحدد هوية الإنسان والانطباع عنه؛ لأن أي تأثير مصدره الجسد يكون نتاج تغيرات وتجارب وذكريات وإعمالاً للحواس، "فالجسد يحتل مكانة هامة في حياتنا اليومية، إنه المبدأ المنظم للفعل، وهو الهوية التي بها نُعرف ونُدرك ونُصنف وهو أيضاً الواجهة التي تخون نوايانا الأكثر سراً"<sup>5</sup>.

لغة الجسد حاضرة وبقوة في مجتمع الرواية، تردد صداها في المشاعر والإيحاءات التي تتأثرت في ثناياها "فأساس قراءة لغة الجسد هو القدرة على فهم حالة الشخص العاطفية، بينما تستمع إلى ما يقوله وملاحظة الظروف التي يقول ذلك فيها"<sup>6</sup>، فالجسد ينفرد بأسلوب خاص للقراءة، وقدرات مميزة للقارئ، ونكهة فريدة للمعاني والأفكار، "الإنسان يستخدم أعضاء جسمه -بل جسمه كله-

<sup>1</sup> بنكراد، سعيد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ط3، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية 2012، ص193.

\* الإيماءة: إشارة إرادية تتضمن جزءاً واحداً من الجسم، وتكون منفصلة عن بقية الجسم في الأغلب ولا يصاحبها شيء من العاطفة عادة. ويلسن، غلين: قراءة إشارات الغير والتواصل بحرفية، ت: ديوان آرابايا، ط1، قنديل للطباعة والنشر، 2019، ص23.

<sup>2</sup> نافارو، جو: ما يقوله كل جسد، ت: مكتبة جرير، ط2، الرياض، 2010، ص12.

<sup>3</sup> لوبروتون، دافيد: انثروبولوجيا الجسد والحداثة، ت: محمد عرب، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1997، ص5.

<sup>4</sup> الزهي، فريد: الجسد والصورة المقدسة في الإسلام، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999، ص27.

<sup>5</sup> بنكراد، سعيد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص191.

<sup>6</sup> ببيز، الآن: لغة الجسد، ت: مكتبة جرير، ط1، مكتبة جرير، الرياض، 2008، ص12.

في التواصل مع الآخرين، إنه يتكلم بجسمه كما يتكلم بلسانه. وتحمل حركاته وإشاراته دلالات مفهومة مثل كلمات اللغة تماماً<sup>1</sup>.

الجسد مفعم بالطاقات التعبيرية الكامنة، والتي تظهر من خلال الحوارات أو سرد الراوي في الرواية، ومنها على سبيل الذكر لا الحصر:

المظهر الخارجي، انعكاس الإنسان في عيون الآخرين، والانطباع الأولي لهم، من ملابسه ومشيته وجلوسه...، "إن النظر في الإيماءات وتقييم أوضاع الجسد يمثلان جزءاً من فن قراءة لغة الجسد"<sup>2</sup>، كما فهم "زوريا" شخصية "باسيل" في أول لقاء بينهما "من الشكل الذي رأيتك جالساً به في زاوية المقهى، مطمئناً، متحفظاً، ومنحنيماً على كتاب"<sup>3</sup>، أو من شكل السيدة هورتانس أو الأرملة، فالمظهر الخارجي يوحي بانطباع عن مكنون الإنسان، والعمر والمهن التي عمل بها والمكانة الاجتماعية التي وصل لها، طريقة جلوسك ومكانها تحدد قيمتك "إن المكان الذي تجلس فيه يعبر بقوة عن مدى سلطتك ونفوذك على الصيغدين الشخصي والعام"<sup>4</sup>، فلمكانة السيدة "هورتانس" "أجلسناها في الوسط، زوريا إلى يمينها وأنا إلى يسارها"<sup>5</sup>. حتى نبرة الصوت تترك انطباعاً، سواء أكان غليظاً "حاولت أن اجعل صوتي غليظاً"<sup>6</sup>، أم مبوحاً "كان يصيح بها وصوته المبوح يتضرع ويهدد"<sup>7</sup>، أو عطوفاً "قال لي بعذوبة وبحنان"<sup>8</sup>، ويمكن أن يكون للصوت هيجاناً وجلجلةً وصرخاتٌ حيوانيةً، "كانت للإنسان لغة حتى وهو في مرحلته الحيوانية، فكافة مشاعر جسده الجامحة العنيفة، وكذلك كل

<sup>1</sup> داود، محمد محمد: جسد الإنسان، دط، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2006، ص7.

<sup>2</sup> ويلسن، غلين: قراءة إشارات الغير والتواصل بحرفية، ص24.

<sup>3</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص346.

<sup>4</sup> شحور، ليلي: فن التواصل والإقناع، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2009، ص192.

<sup>5</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص52.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص225.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص370.

<sup>8</sup> المصدر السابق، ص302.

أشواق روحة العارمة، كان يعبر عنها تعبيراً مباشراً عن طريق الصيحات والنداءات، وعن طريق الأصوات الوحشية المبهمة<sup>1</sup>، فكان "زوريا" "من حين إلى حين يطلق صرخة وينبح، ويصهل، ويفقد صياح الديك: إن روجه في هذه الليلة المقفزة ترتد إلى الحيوانات"<sup>2</sup>.

والصمت أيضاً لغة، لغة تحمل مشاعر ورسائل عديدة حسب السياق الذي صُمت فيه، "صمتت عندما نتوقف عن الكلام، ولكن صمتنا لا يقطع اتصالنا الإنساني مع الآخرين، فنحن نصمت في الأوقات التي يكون الصمت هو وسيلة التواصل التي نمتلكها"<sup>3</sup>، "صمت مطبق، ومع ذلك فقد كان الراهب لا يزال وراء الباب، لأننا كنا نحس بأنفاسه مبهورة"<sup>4</sup>.

ويُستشف من لغة الجسد أيضاً المشاعر الإنسانية المكبوتة، كالعوانية "وشد كل منهما على يد الآخر بقوة أكثر فأكثر، وراحا يتبادلان النظرات، وخشيت أن يتلاحما من جديد"<sup>5</sup>، أو مشاعر الحب والرغبة "فجأة أضاء وجهها. وأخرجت طرف لسانها ولعقت شفثتها"<sup>6</sup>، ومن الحركات ما يظهر دماثة الخلق ولطافته "فأجبت وأنا أتهدأ لتقبيل يدها، وقد تملكنتي بشاشة مفاجئة"<sup>7</sup>، ويظهر الجلف الغليظ في المعاملة "بينما كان رئيس الدير ماراً من أمامي رفسني برجله وكأني كلب"<sup>8</sup>.

ولغة العيون لا تقل أهمية عن ذلك، تؤثر العين على السلوك البشري تأثيراً قوياً فهي تمنح إشارات الاتصالات البشرية الأكثر دقة، ولذلك قال دافنيشي في تأثير العين "العينان نافذة الروح"<sup>9</sup>، فمن

<sup>1</sup> فيشر، إرنست: ضرورة الفن، ت: أسعد حليم، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص38.

<sup>2</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص99.

<sup>3</sup> خدرج، زهرة وهيب: لغة الصمت، دراسة في أسرار لغة الجسد، ط1، دار الراجية للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص107.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص263.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص321.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص301.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص41.

<sup>8</sup> المصدر السابق، ص348.

<sup>9</sup> شحرور، ليلي: فن التواصل والإقناع، ص198.

نظرة الشهوة "كانت عيناه تهاجمانها، تصعدان وتهبطان، وتتغلغلان في صدرها المنتفخ، وتجسانه وكأنهما يدان"<sup>1</sup>، إلى نظرة الإغراء "تركت نظرتها تنساب علي، وهي تلاعب حاجبيها"<sup>2</sup> إلى نظرة الخوف والغضب "ألقت نظرة هاربة تقدح بالشرر على المقهى"<sup>3</sup>.

هذه اللغة المرئية التي صقلتها التجارب والخبرات والتواصل مع الآخرين، شكلت معضلة عند "باسيل" المنطوي على ذاته، المقصر في تلبية رغبات جسده، "لأن جسم الإنسان هو في الوقت ذاته جسم ذات، وجسم موضوع، جسم يملكه المرء، وجسم يكونه المرء"<sup>4</sup>، فحاول جاهداً إتقانها بالمران والممارسة، "سأدرب حواسي الخمس، جلدي كله، كي يتمتع ويفهم"<sup>5</sup>، وكان يحاول ويتكلف في ذلك "وأجهدت نفسي في محاولة الغضب، فقطبت حاجبي، وشدت على أصابعي، وقمت بكل الحركات التي يقوم بها إنسان غاضب، لكنني لم أستطع أن أغضب حقاً"<sup>6</sup>، "لغة الجسد تكثيف دلالي من جهة، وتعمية نفسية يلجأ إليها الشخص من جهة أخرى"<sup>7</sup>.

وقد لاحظ "زوريا" ذلك ووجه نقداً "لباسيل" قائلاً: "عندما تتحدث، ذراعيك وصدرك، ما الذي تفعله؟ إنها تظل صامتة إنها لا تقول شيئاً وكأن ليس فيها نقطة دم واحدة إذن فبم تريد أن تفهم؟ برأسك؟ بف!"<sup>8</sup>، متعجباً من حال جسده الهامد ومن حال كل الناس المأساوي، "لقد سقط البشر سافلاً جداً، يا للعار! لقد جعلوا أجسادهم خرساء ولم يعودوا يتحدثون إلا بالفم. لكن ماذا تريد أن يقول الفم؟ ما الذي يمكن أن يقوله؟"<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص52.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص159.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص124.

<sup>4</sup> مارزانو، ميشيلا: فلسفة الجسد، ت: نبيل أبو صعب، د ط، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2011، ص11.

<sup>5</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص98.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص224.

<sup>7</sup> عتيق، عمر: قضايا نقدية معاصرة، ط1، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص169.

<sup>8</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص283.

<sup>9</sup> المصدر السابق، ص97.

"زوريا" الجسد الناطق الذي لا يألو جهداً في أن يشرك جسده كل ما يريد أن يقوله بالإيماءات والحركات، "فكانت ذراعة تمتد بشكل أمر، وكلماته مختصرة ودقيقة"<sup>1</sup>، وكان يتجاوب مع أي حركة جسد مقابلة له، "ثم نادتنى بإشارة، وركعنا أمام العجوز وقبلنا يدها"<sup>2</sup>، "زوريا" الذي يدعو العالم كله إلى بث الدماء في أجسادهم، واستنطاقها، والإصغاء إلى كلمات الجسد المتفاني فيها، "أصغوا إلى صوت الجسد الذي أبل من دائه؛ لأن هذا الجسد يخاطبكم بصوت أنقى وأخلص من تلك الأصوات. إن الجسد يتكلم بكل إخلاص وبكل صفاء"<sup>3</sup>.

أبرز العوامل التي جعلته يتقن لغة الجسد، رحلاته وسفره المنكر، فقد زار العديد من الدول وشهد العديد من الثقافات واللغات، التي شكلت فجوة في التعامل مع السكان المحليين، فكانت اللغة المرئية الصامته وسيلة التواصل العالمية المفهومة.

فمن اللغة الروسية "تعلمت خمس أوست كلمات روسية، أي ما يكفي بالضبط لشغلي"<sup>4</sup>، وفي إحدى علاقاته العابرة هناك اتكأ على الإيماءات والإشارات في التعبير عن مشاعره "تمتت كيفما اتفق بثلاث كلمات روسية، ولكن بخصوص هذه القضايا، ليس ثمة داعٍ للتكلم كثيراً. تحدثنا بالأعين، بالأيدي، بالركب"<sup>5</sup>، وقد أفلحت هذه اللغة في التفاعل معهم في احتفالاتهم دون أن يفهم كلمة واحدة من الحاضرين "بدأ يتكلم، ويتكلم، وألقى خطاباً، وأي خطاب! أما ما كان يقوله؟ الله وحده يعرف ذلك!"<sup>6</sup>. لكنه كان يفهم ويعي الكثير من المعاني "كانا يتحدثان معي بسرعة كبيرة، ولم أفهم جيداً،

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 67.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 109.

<sup>3</sup> نيتشة، فريدريك: هكذا تكلم زرادشت، ص 60.

<sup>4</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 96.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 108.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 112.

لكن من تعبير وجهيهما أدركت أنهما لا يريدان بي شراً<sup>1</sup>، "يختزل الوجه دلالات نفسية شتى تعبر عما يدور في الذهن والوجدان... وهو خطاب جسدي معلن يضم خطاباً لغوياً يقتضي متلقياً بصيراً بالتغيرات الفسيولوجية التي تتجلى في قسّمات الوجه"<sup>2</sup>. و"زوربا" خبير في قراءة لغة الجسد. وإذا تزاّحت الأفكار في عقله، وتصارعت المشاعر في نفسه، وخذلته الكلمات، ثار الجسد الزوربي راقصاً فائضاً بالمعاني، معبراً بصمت وبحركة عوضاً عن الكلمة القاصرة، "إنني أفهم شيئاً ما. لكن لو حاولت أن أقوله لهدمت كل شيء. وذات يوم عندما أكون مستعداً، سأرقصه لك"<sup>3</sup>، وإذا استقصى عليه أمر اعترف "إن جمجمتي قاسية، إنني لا أفهم بسهولة... آه! أيها الرئيس، لو كنت تستطيع أن ترقص كل ما تقوله، كي أفهم!"<sup>4</sup>، كما حدث مع الروسي الذي جمّعه به صداقة بدون لغة مشتركة "وأصبحنا أخوين. واستطعنا أن نتفق بالحركات"<sup>5</sup> والرقصات، فالرقص لغة إنسانية مفهومة بين الشعوب، "كان هو الذي يتكلم أولاً. وعندما أعجز عن الفهم، أصرخ به: قف! فيقوم عندئذ ليرقص. أفهم أيها الرئيس؟ ليرقص ما يريد أن يقوله لي. وكذلك كنت أفعل"<sup>6</sup>، "فهي لغة عالمية قادرة على التواصل عبر حواجز اللغة والتعبير عن المشاعر الحقيقية للراقص، ومن خلال الرقص استطاع زوربا التواصل مع صديقه الروسي، تواملاً حقيقياً يرتفع فوق اللغة الشفوية"<sup>7</sup>، فكان الجسدُ ترجماناً بينهما، يرقص رقصاً تعبيرياً عفويّاً ويحكى مغامرات وأحداثاً، وتبقى هذه القصص المرقوصة منحوتة في الذاكرة لا تنسى.

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوربا، ص 111.

<sup>2</sup> عتيق، عمر: قضايا نقدية معاصرة، ص 174.

<sup>3</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوربا، ص 122.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 352.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 97.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 97.

<sup>7</sup> Manaana Alexander. 2013. performative Gender in Zorba the Greek, Gendar studies, Greek literature, page4

### 3.3.1 الرقص:

الرقص فن تعبيرى يعتمد على الأداء الحركى للجسم، متناسباً مع مكنونات الراقص، معرباً عن كل ما عجزت الكلمات عن قوله، بصمت وبحركات متناغمة.

عرف الإنسان الرقص طقساً دينياً للتقرب من الإله، "يرقص أفراد القبائل استرضاء للآلهة وقوى الخير ويتخذون من الرقص وسيلة لطرد الأرواح الشريرة، ولا يزال الرقص في بلاد العالم عنصراً حيويًا في الاحتفالات والمهرجانات"<sup>1</sup>، وعُدَّ تقليدًا احتفاليًا بعد العودة من رحل الصيد، "إن ما نقوم به اليوم من رقص وقفز هو امتداد للاحتفالات العديدة التي أقامها الناس منذ ملايين السنين بعد النجاح في أي عملية صيد"<sup>2</sup>، وقد لاقى رواجاً وتقبلاً اجتماعياً "يعد الرقص نشاطاً مهماً في شتى قطاعات المجتمع، وفي المجتمعات كافة رغم شدة اختلافها"<sup>3</sup>، ووجوده دليل على تقدم أي أمة أو حضارة في التاريخ، "يعد الرقص جزءاً أساسياً من الثقافة اليونانية التقليدية، حيث يُعبر الرجال عن الرجولة وترابطهم في المجتمع من خلال أداء الرقص"<sup>4</sup>.

وقد اتخذ الرقص في الرواية شكلين: فدياً كممارسة "زوربا" وجماعياً وهو ما يقام في الاحتفالات والمناسبات\* ويوحى بالانسجام والأخوة والمشاركة، "كان الصبيان والفتيات قد تجمعوا تحت أشجار الصفصاف التي جددت أوراقها وراحوا يستعدون للرقص، وكان الشيوخ جالسين حولهم... والعجائز واقفات في المؤخرة"<sup>5</sup>، ويعبر عن روح الجماعة وأملها وتطلعاتها، وما كانت حركات الساقين واليدين المترابطة إلا لتدل على تكاتفهم وتمسكهم ببعضهم.

<sup>1</sup> يونس، عبد الحميد: معجم الفولكلور، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982، ص 266.

<sup>2</sup> نافارو، جو: ما يقوله كل جسد، ص 65.

<sup>3</sup> إدجار، أندو: موسوعة النظرية الثقافية، ص 330.

<sup>4</sup> Manaana Alexander. 2013. performative Gender in Zorba the Greek, Gendar studies, Greek literature, page6.

\* "يطلق عليه الرقص الشعبي وهو تعبير بوحدات الحركة عن رد فعل جمعي لدورات الحياة الهامة". يونس، عبد الحميد: معجم الفولكلور، ص 266.

<sup>5</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص 304.

كان الرقص الشعبي\* يتم في حلقات دائرية، تدور كما الحياة والموت ويستمر الرقص وتتجدد الحياة، "إن الوجوه تتبدل، وتتغير وتعود إلى الأرض، لكن وجوهاً أخرى تخرج منها وتحل مكانها"<sup>1</sup>، "كان الموت يموت في كل لحظة، ويولد من جديد في كل لحظة"<sup>2</sup>. هكذا سيظل الرقص إلى الأبد.

فضاء الرقص واسع سعة الأرض للراقصين، ومسرح العرض الطبيعية تحت أشجار الصفصاف كان الرقص الفصحي يبلغ ذروته"<sup>3</sup>.

ويبدأ الرقص وتنبهر العيون بالراقصين، "من هو هذا الفتى الذي يقود الرقص؟"، الحركات والقفزات تكشف عن جسم قوي لشاب يتمتع بالقوة العضلية والعصبية وتعطينا فرصة لنتكهن عن عمر الراقص وصحته ومستوى الطاقة والكفاءة عنده، "آه! لو كان لي شبابه لو كان لي شبابه، أقسم لك بشرفي، لكنت قدت الهجوم على القسطنطينية"<sup>4</sup>. وعلى ما يبدو فإن الرقص كان ذكورياً بالدرجة الأولى، فقد أبدى الراوي إعجابه ببراعة الراقص وطواعية جسده في التمايل والقفز ولم يجذبه رقص الفتيات، "كانت هناك امرأة طويلة ترقص فوق المنصة، ترفع بذلتها وترخيها، لكنني لم أعرها انتباهاً"<sup>5</sup>، لقد لفت انتباههم الرقص الذكوري في المجتمع الذكوري الذي يرى أن الرقص مسرح لإثبات الرجولة.

أما فلسفة "زوربا" في الرقص فقد تشكلت بتأثير الرحلات الجغرافية والإنسانية التي قام بها في حياته، فقد أناب يديه وقدميه وجسده للكلام عن لسانه في حله وترحاله، "أنظر أنا إلى يديه، وقدميه،

---

\* "فكرة الرقص الشعبي توحى أن بإمكان هذا الرقص أن يجسد تعبير المجتمع عن قيمه وهويته، أو تعبيراً عن مقاومته للضغوط الخارجية، على الرغم أن هذا الرقص الشعبي قد يكون فناً تجارياً في خدمة صناعة السياحة". إدجار، أندو: موسوعة النظرية الثقافية، ص 331.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص 309.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 309.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 308.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 308.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 189.

وصدره، وعينيه، وأفهم كل شيء<sup>1</sup>، مؤمناً أن الجسد أبلغ وأقدر على إيصال المعنى، مصمماً فلسفة خاصة به للغة الرقص الميتافيزيقية\*، "أمن الممكن أن يتحدث الإنسان بالرقص؟ ومع ذلك فلأذهب إلى النار، إذا لم يكن هذا ما يجب أن نتحدث به الآلهة والأبالسة"<sup>2</sup>، فالرقص عنده التحام للروح والجسد، وانفلات للنفس من قيودها، ومرآة للذات تعكس مضمونها، وبه يفرق بين الحي والميت، ويعيد انبعائه الزوربي للحياة، "هيا نرقص! ألا تشفق على الحمل؟... ليصبح رقصاً وأغاني! إن زوريا قد بُعث"<sup>3</sup>.

هو طقس يجدد فيه إيمانه بنفسه، ويمتحن به جسده، فلا يشيخ ولا يهرم، مطلقاً العنان جامحاً لحدود حريته ممتطياً سهوة الرقص ليرى الكون بعين الجسد.

لقد عمل الرقص على صقل جسد "زوريا"، وتحرره من ضنك الحياة، وقهر قوانين الطبيعة، "وفجأة، وثب عالياً جداً وكأنه يريد أن يقهر قوانين الطبيعة الكبرى ويطيّر"<sup>4</sup>، وهدر طاقته في شيء يحبه ويرد السكينة لقلبه، "لقد أعاد هذا الهدوء إلى نفسي. كأنني فُصدت. والآن أستطيع أن أتحدث"<sup>5</sup>، فحين تحتشد جمهرة من المشاعر في قلبه، تُثقل عليه، لا يجد ما يللم به شتات نفسه إلا بالرقص، "في داخلي شيطان يصرخ... وفي كل مرة أكون فيها على وشك الاختناق، يصرخ: أرقص!! أرقص"<sup>6</sup>، ليصل إلى ملكوت المعنى ويعي المراد، "وظل زوريا فاغر الفم. إنه يستبسل كي يفهم،

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص97.

\* "ما بعد الطبيعة -ميتافيزيقيا: عند "كانط" هي جملة الموضوعات الخارجة عن نطاق التجربة ونطاق الزمان والمكان. ومن هذا الوجه يحكم العقل النظري على بطلان هذا العلم عند "كونت" الميتافيزيقيا وسط بين اللاهوت والعلم الوضعي، ترمي إلى استكشاف حقيقة الأشياء وأصلها ومصيرها". وهبة، مراد: المعجم الفلسفي، ص553.

<sup>2</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص97.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص297.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص93.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص95.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص96.

لكنه لا يستطيع أن يؤمن بهذا القدر الكبير من السعادة. وفجأة فهم. وأسرع إلي، وأخذني من كتفي وسألني بحماسة: أترقص؟<sup>1</sup>.

كان رقصه تحليفاً في السماء، يطير بلا أجنحة ويسبح بين الغيوم، "وقفز، وأصبحت قدماه ويداه أجنحة"<sup>2</sup>، مهووساً\* لا يتسع العالم لجنونه، "غرق في الرقص، وهو يضرب بيديه، ويقفز، ويدور في الهواء ويسقط على ركبتيه المثبتين، ثم يقفز من جديد مثني الساقين، وكأنه من مطاط"<sup>3</sup>، يدك الأرض بقدميه فتدفعه إلى الأعلى، فيقفز ويلتف وهو محلق، ويصفق بيديه بتآلف تام بين أجزاء جسده، مستعيناً بحركات الوجه "فالوجه هو الأقر على الإفصاح عن المشاعر، وهو أيضاً الأهمر في إخفائها"<sup>4</sup>، مستنطقاً كل شيء "كانت قدماي ويداي تتحدث وكذلك شعري وثيابي. وسكين معلقة بحزامي، كانت تتحدث هي أيضاً"<sup>5</sup>، مستعرضاً مرونة جسده وطواعيته ولينه في الوقفة والحركة والقفزة، وقوته في ضرب الأرض كأنه يفتح نفقاً ويستخرج منه اللينيت ويتحول إلى ربح يطير به إلى السماء "كان فرحاً لأن الريح كان يبعث في مخيلته، تغيرات رائعة، ويصبح أسفاراً، ونساء، ومغامرات جديدة"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 93.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 367.

\* "الهوس طرف من الجنون، يرادفه المس، ويطلق على حالات متقطعة من ضياع العقل، مصحوبة بالتأثر الشديد، والاندفاع العنيف وسرعة الانتقال من موضوع إلى موضوع، يبعث على الوهن والانحطاط تارة وعلى الانبساط، وازدياد النشاط الحركي تارة أخرى". صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج 2، ص 526.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 93.

<sup>4</sup> خدرج، زهرة وهيب: لغة الصمت، دراسة في أسرار لغة الجسد، ص 132.

<sup>5</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 98.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 135.

كان رقصاً غنياً بالإيحاءات سخياً بالدلالات، عنيفاً كبيركان، رقيقاً كفراشة، بين الفينة والأخرى يسمع صوت صرخات فطرية لا شعورية تعبر عن إحساسه العالي وتبث الحماسة في روحه "سأرقص لك! قف جانباً حتى لا أصدمك! إلى الأمام، هوب! هوب!"<sup>1</sup>.

جاء الرقص الزوربي في الرواية معبراً عن الفرح "كان الفرح يخنقني، وعلي أن أروح عن نفسي. وكيف أروح عن نفسي؟ بالكلمات؟ بف!"<sup>2</sup>، وعن الحزن فقد مات ابنه ديمتراكي، وقد تألم على فقدته كثيراً، فالحالة الشعورية التي وصل إليها بسبب الموت والفناء لا يستطيع التعبير عنها بالكلام، فرقص "في تلك اللحظة، لو لم أرقص لجننت من الألم. ذلك لأنه كان ابني البكر وقد بلغ الثالثة من العمر ولا أستطيع تحمل فقدته"<sup>3</sup>، ولقد نعتة أهله بالجنون قائلين: "لقد جن زوربا! جن زوربا"<sup>4</sup> بسبب هذه الرقصة، وبدا الرقص وارداً عند الموت في الرواية، فقد رقص أهل القرية عند موت السيدة هورتانس والأرملة، أيكون الرقص في مواجهة الموت عند "زوربا" طقساً للدلالة على حب الحياة واستمرارها؟ أم فرحاً بالحرية فلم يعد يخشى شيئاً بعدها؟ أكانت هذه الحركات والقفزات رقصة الموت الأخيرة لزوربا؟ "قفز من السرير، وذهب حتى النافذة... نظر بعيداً نحو الجبال وجحظت عيناه وأخذ يضحك ثم يصهل كجواد. وهكذا وهو واقف، وأظافره مغروزة في النافذة، أسلم الروح"<sup>5</sup>، راقص الموت وانطلق للحرية والطهر والنقاء والقداسة، "ماذا تستطيع أن تفعل معي، أيها الفائق القوة؟ إنك لا تستطيع شيئاً، اللهم قتلي. اقتلني، فأنا غير مبالٍ، لقد أفرغت غضبي، وقلت كل ما أردت قوله: لقد أتيت لي الوقت للرقص، ولم أعد بحاجة إليك"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص 367.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 95.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 96.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 96.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 391.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 367.

أما باسيل والرقص، فلم يكن على وفاق معه، وذلك لتأثره بالفلسفة البوذية التي "تحتقر الجسد وهذا الاحتقار راجع إلى كون الجسد بطبيعته يبحث عن المتعة واللذة الحسية ويؤثر بذلك على النفس لأنه يزرع تحت عالم الغرائز والأوهام والرغبات أي العالم الحسي أما النفس فهي أكثر رفعة من الجسد"<sup>1</sup>، وقد عرض عليه الرقص من قبل "زوريا" مباشرة لكنه رفض، "أترقص؟ أترقص؟ -كلا"<sup>2</sup>، وتحجج قائلاً: "إنني لست على ما يرام اليوم. اذهب، وارقص عني أيضاً"<sup>3</sup>، هو لم يؤمن بالرقص كلغة كونه يتقن أكثر من لغة ولا يحتاج للغة مساندة، حتى أنه كان يخشى على "زوريا" من ممارسة الرقص "لقد خشيت ألا يستطيع الجسد العجوز مقاومة هذا القدر الكبير من الجهد، فيتناثر فجأة في كل اتجاه، ألف قطعة"<sup>4</sup>.

وبعد انهيار المصعد تبدل حال "باسيل" وطلب من "زوريا" أن يعلمه الرقص معلناً "هيا بنا يا زوريا، لقد تبدلت حياتي"<sup>5</sup>، أراد أن يجرب الرقص ليكتشف ذاته، "فما الغموض حول مفهوم الجسد إلا نتيجة للغموض الذي يحيط بتجسد الإنسان: إنه نتيجة لكونه جسداً ولملكيته لجسد"<sup>6</sup>، وليبحث في أعماقه عن جسده الكامن الساكن ويحرك طاقاته وليكتشف نفسه والعالم حوله، "مد قدمه، ومس الأرض بخفة، ومد القدم الأخرى واشتبكت الخطى بعنف، ومرح، ورنت الأرض"<sup>7</sup>، هذه الرقصة التي قربت بين الصديقين "فالمسافة التي تتركها لتفصل بينك وبين من تحادثهم أو تتعامل معهم هي التي تفرض نوع وطبيعة العلاقة بينك وبينهم فكلما كانت المسافة أقرب مثلت علاقة أكثر قرباً

<sup>1</sup> بيدوح، سمية: فلسفة الجسد، د ط، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2009، ص14.

<sup>2</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص93.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص297.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص93.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص366.

<sup>6</sup> لوبروتون، دافيد: انثروبولوجيا الجسد والحادثة، ص21.

<sup>7</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص366.

وحميمة والعكس صحيح"<sup>1</sup>، لقد آمن بأن الرقص لغة وفكر وفلسفة وطريقة تعبير لا غنى عنها، "بينما أنا أنظر إلى زوربا يرقص، فهمت لأول مرة جهد الإنسان الخيالي ليقهر الثقالة. لقد أعجبت بتجلده، وخفته، وكبريائه. كانت خطى زوربا المحمومة الرشيقية ترسم على الحصى تاريخ الإنسان الشيطاني"<sup>2</sup>، "ونخلص إلى أن الجسد في صميمه إدراك وتعبير وحضور أمام العالم وأمام الآخرين"<sup>3</sup>.

وقد أشارت الباحثة في المقدمة إلى أن هذه الرواية نالت شهرة عالمية، جعلت صناع السينما والمؤثرين في بناء الإنتاج السينمائي يشرعون في تحويلها إلى فلم سينمائي، يحمل نفس اسم الرواية تيمناً بالنجاح الذي حصلت عليه، فالرواية رشحت لجائزة نوبل للآداب، والفيلم حصل على أوسكار أفضل ممثلة مساعدة، وأفضل ديكور، أفضل تصوير سينمائي، بالإضافة إلى ترشيحات أفضل فيلم، وأحسن إخراج، وأحسن سيناريو، وأحسن ممثل لانتوني كوين، وقد لاقى الفيلم نجاحاً باهراً في شباك التذاكر، وكان نقطة تحول في التمثيل الإبداعي اليوناني، والمنافسة في سوق السينما العالمية<sup>4</sup>.

وقد نالت الرقصة شهرة عالمية كبيرة في الفيلم، فكما أبدع "باسيل" في رسم لوحة الرقص على الورق، أبدع مصمم الرقصات "يورجوس بروفياس"، بمصاحبة الملحن العالمي "ميكيس ثيودوراكيس"،

<sup>1</sup> خدرج، زهرة وهيب: لغة الصمت: دراسة في إسرار لغة الجسد، ص158.

<sup>2</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص367.

<sup>3</sup> بيدوح، سمية: فلسفة الجسد، ص19.

<sup>4</sup> يُنظر: Hollywood and Greece Erato Basea (2015). Zorba the Greek, sixties exotica and a new cinema in : DOI: 10.1080/17411548.2015.1015830. page1-13. Studies in European Cinema

\* "ميكيس ثيودوراكيس": موسيقار عالمي قدم أهم النغمات الخالدة في مؤلفاته السيمفونية والموسيقى التصويرية للأفلام، ولا تزال موسيقى فلم "زوربا" تتردد على أسماع العالم كأنها نشيد الإنسانية الذي يُسمع في كل مكان وكأنه ملك الشعوب فقط؛ لأنه يمثلها، عرف عنه مساننته للقضايا الإنسانية ووفائه لقضية فلسطين وشعبها ضد الاحتلال الإسرائيلي، وقد أهدى فلسطين لحن النشيد الوطني الفلسطيني نصرة لها. نذر حياته لتأييد القضايا والثورات العالمية وتوفي 2021-9-2 عن 96 عاماً. يُنظر: نصر الله، إبراهيم: 2021، لماذا لم أحب "زوربا" هذه المرة؟، تم استرجاع المقال بتاريخ <https://2u.pw/FBLQR.17/12/2021>

ووكالة معاً: 2021. وفاة الموسيقار اليوناني ميكيس ثيودوراكيس استرجع بتاريخ <https://2u.pw/7J6VU.17/12/2021>

وأصبحت معلماً بارزاً، ورمزاً للثقافة والفلكلور وعُدّت من أكثر الرقصات اليونانية شهرة، ترويحاً للسياحة، في اليونان صاحبة الحضارة قديماً وحديثاً<sup>1</sup>.

#### 3.4 فلسفة الماورائيات:

أمام عجز الإنسان عن استيعاب نواميس الطبيعة لهذا الكون اللامتاهي، من ظواهر وأحداث وغيبيات، نعتها بالماورائيات، وهي "ميتافيزيقيا"، ما وراء الطبيعة\*، أمور غيبية، لا تخضع للحس أو الرؤية<sup>2</sup>، محاولاً ببساطة الإنسان وبدائية تفكيره أن يجد تفسيراً لها، إشباعاً لفضوله في فهم الواقع وحقيقته ومحاربة خوفه من الغامض المجهول، الذي لا يستطيع العقل أن يدركه؛ لأنه لا يراه ولا دليل ملموس على وجوده، وما خلّص له من نتائج تناقلته الأجيال وأصبح جزءاً من اللاواعي الإنساني.

"كازانتزاعي" في الرواية أثار مجموعة من الأسئلة والأفكار البارابسيكولوجية\*، باحثاً في نتائج الفلسفة الكامنة وراء التفكير التأملي للإنسان، الممزوج بالمشاعر والرؤى المختلفة لشخصيات الرواية، لكشف الواقع والتجربة الإنسانية وما ينتج عنها من دلالات ميتافيزيقية، "الحقيقة التي تجمع الميتافيزيقيا

---

<sup>1</sup> ينظر: صلاح: ناهد، 2020، زوريا.. تلك الموسيقى وهذا الرقص!! استرجع بتاريخ 17/12/2021 <https://2u.pw/FBLQR>  
\* الميتافيزيقا: هو العلم الذي يتأمل الموجودات اللامحسوسة والماورائية... وهي أيضاً معرفة الأشياء في ذاتها لا معرفة الظواهر التي تتجلى من خلالها هذه الأشياء. سعيد: جلال الدين: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، د ط، دار الجنوب للنشر، الرباط، 2004، ص460.

\* ما بعد الطبيعة: ليس المقصود من كلمة "بعد" تجاوزاً للعالم الواقعي وإنما المقصود بها التعمق وراء الظاهر والنظرة المتأصلة للموضوعات لاستجلاء الحقيقة الباطنة التي لا تقع في نطاق إدراكنا الحسي وإنما في دائرة العقل الخالص المتأمل. الضوى، محمد توفيق: دراسات في الميتافيزيقيا، د ط، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 1999، ص15.

<sup>2</sup> عمر: أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصر، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص2062.  
\* البارابسيكولوجية: تدرس الظواهر التي تبدو لأول وهلة مستغلفة على التفسير أو فوق مستوى الفهم، فتعمل على تحليلها ومعرفة أسبابها قدر المستطاع... هو علم قريب من علم النفس إلا أنه يحاول درس الظواهر العجيبة أو الغريبة التي لا يتناولها علم النفس. الخوري، روجيه شبيب: سلسلة العلوم البارابسيكولوجية، ج9، دار ملفات، بيروت، 1996، ص15.

والفن هي اهتمام كل منهما بمصير الإنسان ومواقفه البشرية وقيمه الأخلاقية وصراعه ضد شتى القوى الإنسانية<sup>1</sup>.

وبما أن الميتافيزيقيا "هي البحث في الوجود ومشكلاته، البحث في الوجود اللامادي وعلله الأولى وغاياته القصوى"<sup>2</sup>، طرحت الرواية سؤالاً مباشراً حول الإيمان بحقيقة المتغيرات الغيبية والماورائية وإمكانية حدوث الخوارق، وقبول ورفض المجتمع لها، "إنني لا أثق بالقوى السرية التي تحمي البشر، كما يقولون"<sup>3</sup>. فالإنسان حاول جاهداً تحليل هذه القوى السرية، "الإنسان استخدم عقله في محاولة فهم الظواهر الطبيعية، وهكذا يمكن القول إنَّ التفكير الفلسفي الميتافيزيقي قد ظهر بمجرد ما استطاع الإنسان أن يمارس وظيفته بوصفه كائناً ناطقاً يهمله أن يتعقل وجوده ويحدد علاقته بالعالم والآخرين"<sup>4</sup>.

ومن هذه الظواهر، ظاهرة الإدراك المسبق\* واستشعار المستقبل، "أيندرك قلبك بشر؟ فأجبت: نعم. -أتؤمن بمثل هذه الترهات؟"<sup>5</sup>، وما اتفق عليه "باسيل" وصديقه اللذان سخرا "من هذه الغارات الميتافيزيقية بالنباتيين، والروحيين، والمتصوفين، ومحضري الأرواح"<sup>6</sup>، وعدم إيمانهم المطلق بالغيبيات اتفاقاً، "إذا ما واجه أحدنا خطر الموت، فليفكر بالآخر بإلحاح كثير، ليحذره، حيثما كان"<sup>7</sup>،

<sup>1</sup> عبد الرحمن: سامية: الميتافيزيقيا بين الرفض والتأييد، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1993، ص23.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص7.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص183.

<sup>4</sup> عبد الرحمن: سامية: الميتافيزيقيا بين الرفض والتأييد، ص88.

\* "الإدراك المسبق (معرفة المستقبل): ويشير إلى الإدراك النفسي لحدث ما في المستقبل بشكل لا إرادي. أو هو المعرفة المسبقة بحدث ما زال في المستقبل بصورة عشوائية، غير مبنية على الاستدلال من المعطيات في الحاضر... أي أن الأحداث ما زالت في المستقبل مُدركة بطريقة ما فوق حسية (خارقة) قبل حدوثها. الجابري، صلاح: الوعي والعالم السيكولوجي والباراسيكولوجي، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2005، ص70.

<sup>5</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص11.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص12.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص12.

وهذا ما يطلق عليه التخاطر\* وهو غريزة فطرية تقع خارج جدار الإدراك الحسي الاعتيادي، يمتلكها كل الناس واستخدمها الإنسان منذ القدم للتواصل عن بعد، مصدرها الروح، وهي قوة خارقة بين شخصين، "يتم تبادل المعلومات بين عقليين أو أكثر دون استخدام الحواس العادية"<sup>1</sup>، يجمعهما توافق فكري وتلاؤم نفسي، وانسجام روحي، "إن الأشخاص يمكن أن يكونوا على اتصال تخاطري بدون استخدام الوسائل الفيزيائية المعروفة، ذلك لأن ذواتهم المتسامية ترتبط مع بعضها بشكل غير ظاهر"<sup>2</sup>، تُبعث رسائل ذهنية بين المرسل والمستقبل، "إذا كان ذهن المرسل والمرسل إليه على اتصال فكري واضح، فستكون المواصلات الفكرية في الفضاء الخارجي أيسر وأسهل وأوضح"<sup>3</sup>، تتضمن الرسالة ذبذبات وترددات تطلب مساعدة أو تنبيه أو فكرة وعليه تحليلها وفك شفراتها، "كان عقلي يحاول عبثاً أن يفك رموز الرسائل الغامضة التي تنجح أحياناً في اختراق الجسد وبلوغ الروح"<sup>4</sup>، ويحيط بالإنسان هالة ترسل موجات واهتزازات تؤثر في قبول الشخصيات أو رفضها عند رؤيتها أول مرة\*، "إن رفقة هذا الراهب نصف المجنون لم تكن لتعجبني. إن عقلاً عاجزاً، مثل الجسد العاجز، يثير في الشفقة والاشمئزاز معاً. لكنني لم أقل شيئاً"<sup>5</sup>، "إنه رجل قوي الشكيمة ووصلف، إنه يعجبني"<sup>6</sup>، أو أن تتمنى رؤية أحدهم "إنه لأمر مسل، أيها الرئيس، أن تأتي السيدة

---

\* **تخاطر Telepathy**: وهو يعني الانتقال عن بعد للخواطر والواجديات وغيرها من التجارب الشعورية المعقدة، من عقل إلى عقل، على

سبيل الوهلة، مع الزعم بأن هذا الانتقال يتم بغير الوسائل الحسية المعروفة. وهبة، مراد: المعجم الفلسفي، ص 174

<sup>1</sup> رادين، دين آي: الظواهر الروحية الخارقة، ت: سعد رستم، ط1، دار الجسور الثقافية، حلب، 2006، ص 29.

<sup>2</sup> الجابري، صلاح: خارقيه الإنسان الباراسيكولوجي، ط1، الأوانل للنشر والتوزيع، حلب، 2004، ص 212.

<sup>3</sup> رضوان، شفيق: الطاقة الخفية والحاسة السادسة، د ط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2004، ص 40.

<sup>4</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 374.

\* "نحن نصادف أحياناً أشخاصاً يخامرنا اتجاههم شعور عفوي بالتودد والتعاطف. وقد يحدث أن نتعرف إلى أشخاص نشعر حيالهم بنفور فوري لا سبب له. هذا الانجذاب المفاجئ أو النفور المباغت يعود إلى توافق أو تنافر بيولوجي أو تفاعل كيميائي تصدر عنه تلك الذبذبات".

رضوان، شفيق: الطاقة الخفية والحاسة السادسة، ص 41.

<sup>5</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 242.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 50.

بويوليننا! لا ينقصنا شيء إلهي"<sup>1</sup>، ويأتي إليك "ها هي! لقد استنشقت الكلبة رائحة زوريا" في الهواء فجاءت"<sup>2</sup>.

كما كان الإلهام\* حاضراً في الرواية، وهو علاقة خاصة وسر بين الإنسان وربه، ودلالات يرسلها له ويشعر بها، "لم أكن أدري أين أذهب، بل كان الملاك هو الذي يقودني، مرة أخرى في شكل برق، ومرة في شكل طير أسود بين الأشجار، أو أيضاً في شكل درب نازل. وكنت أجري ما استطعت في أثره، وثقة كبيرة تغمر قلبي"<sup>3</sup>.

وحلقت الروح في الرواية، "وهي الجزء الإلهي في الجسد، الأزلي الثابت الذي لا يفنى ولا يتبدد"<sup>4</sup>، وتساءل "باسيل" عن ماهية الروح "ما الروح إذن؟ وأية علاقة خفية بينها وبين البحر؟ والغيوم والعتور؟"<sup>5</sup>، ويبدو أنه أراد أن يعبر عن القاسم المشترك بينهم وهو الحرية والشفافية والانتشار واتساع المدى والخفة، "الروح تعني الهواء"<sup>6</sup>، "تعلمنا الفلسفة أن كل صفات الروح لا تؤخذ إلا بواسطة الحرية، وأنها كلها ليست إلا وسيلة لبلوغ الحرية"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 236.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 237.

\* الإلهام: وهو أن يلقي الله في نفس الإنسان أمراً يبعثه على فعل الشيء، أو تركه، وذلك بلا اكتساب، أو فكر، وهو وارد غيبي، ويشترط فيه أن يكون باعاً على فعل الخير أو ترك الشر... وقيل الإلهام ما وقع في القلب من العلم، وهو يدفع إلى العمل من غير استدلال، ولا نظر. صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج 1، ص 130.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 349.

<sup>4</sup> رضوان، شفيق: الطاقة الخفية والحاسة السادسة، ص 244.

<sup>5</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 216.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 349.

<sup>7</sup> هيجل، ج. ف. 8، ف: محاضرات في فلسفة التاريخ، ج 2، ت: إمام عبد الفتاح، ط 3، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2007، ص 9.

ومع هذا فإن روح صديقه عندما ناجته\* أخبرته أنها أسيرة، "إنني أدور في حلقة مفرغة ككلب حول منزل موصد الأبواب. آه! لو كنت أستطيع أن أعيش حراً، دون أن أتشبث، كغريق، بأجسادكم الحارة الحية"<sup>1</sup>، "ولكأن الروح نفسها هي أيضاً بحر وغيم ومطر..."<sup>2</sup>، وفي هذا إشارة إلى الديمومة والخلود، فمياه البحار تتبخر وتصبح غيوماً وتسقط الأمطار وتستمر دورة الحياة إلى الأبد.

وقد رصدت في الرواية المظاهر الماورائية التالية:

### 3.4.1 الأبدية\*:

الزمن والعمر والموت، مفاهيم أرقت الإنسان وأثارت حفيظته، "فكل تأمل في عصرنا يدور حول مفهوم الزمان، لأنه يتضمن فكرة الوجود والعدم، الثبات والحركة، الروح والجسد، التناهي وللاتناهي، الوحدة والكثرة، والحضور والغياب... وأهم المشكلات الفلسفية"<sup>3</sup>.

حلم كل إنسان وأقصى مناه أن يعثر على سر الحياة "دوام لا نهاية له -أبدية"<sup>4</sup>، وقليل من يعرفه، "إن هؤلاء البحارة يعرفون السر. ولعل ذلك لأنهم يناضلون ضد الموت صباحاً ومساءً"<sup>5</sup>، "فالمسألة الكبرى بالنسبة إلى للإنسان هي البقاء، ومن هنا كان طموح الإنسان إلى الخلود... يقول كيركجود: المهم بالنسبة إلى من يوجد أن يوجد وجوداً لا نهاية له"<sup>6</sup>.

---

\* مناجاة الأرواح Spiritisme: هو مبدأ أولئك الذين يعتقدون بأن أرواح الموتى تستطيع الظهور للأحياء، ومخاطبتهم، والتعاطي معهم، مؤكداً بهذا الاعتقاد طبيعة الإنسان الروحية وحياته بعد الموت. الخوري، روجيه شكيب: سلسلة العلوم الباراسيكولوجية، ج9، ص98.

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص388.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص216.

\* "هو الزمان الذي ليس له ابتداء ولا انتهاء. أو المدة التي لا يتوهم انتهاؤها بالفكر، أو الشيء الذي لا نهاية له". صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج1، ص29.

<sup>3</sup> شاهين، سمير الحاج: لحظة الأبدية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980، ص5.

<sup>4</sup> عمر: أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصر، ص52.

<sup>5</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص22.

<sup>6</sup> بدوي، عبد الرحمن: دراسات في الفلسفة الوجودية، ص129.

حاصرت الأسئلة الأبدية الإنسان وشغلت فكره، "ما هذا العالم؟ ما هدفه؟ وما الذي تستطيع حياتنا الغانية أن تفعله لتبلغه؟"<sup>1</sup>، ولماذا؟ وماذا سيحدث للروح عندما يفنى الجسد؟ وما سر تعطش الإنسان للوجود والاستمرار؟ وزادت حيرته وضياعه، "الأسئلة الأبدية، اللامجدية، الحمقاء: لماذا؟ لماذا؟ تعود من جديد مرة أخرى لتسمم القلب"<sup>2</sup>.

"باسيل" لم يطمح لحياة أبدية، فالبودية لا تسعى للخلود بل إلى نسيان الألم والقلق، وهو يعتقد أن هذه الفكرة تستنزف طاقة الإنسان بلا فائدة، "تلك الكلمة التي تتغذى بلحم البشر، الأبدية"<sup>3</sup>، وأن الحاضر الذي يعيشه الإنسان هو أبعده، "كنت أعلم أن الأبدية هي كل دقيقة من الدقائق التي تمر"<sup>4</sup>، فتتحد الدقائق والثواني وتتدمج وتشكل الوجود الذي يدوم بلا بداية ولا نهاية، "هي الحياة التي تؤدي، بهدوء واطمئنان وسعادة، إلى النيرفانا\* الزرقاء. لم أكن أفكر بشيء، ولا أبحث عن شيء، ولا أشك بشيء. كنت أعيش في اليقين"<sup>5</sup>.

"الإنسان يصارع الفناء، يكافح من أجل البقاء، يغالب الجوع، يتقى البرد، وحياته كلها حرب مع الموت. ولكن انتصاره مؤقت ثم يدحره الزمان"<sup>6</sup>، ومهما حاول فإن الموت هو طريق إلى الأبدية في العرف الديني، ولا قيمة لأي شيء أمامه، "ما قيمة عشرة أو خمسة عشر عاماً. فكر بالأبدية"<sup>7</sup>،

<sup>1</sup> كازانتزاعي، نيكوس: زوريا، ص344.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص213.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص222.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص221.

\* "النيرفانا: لفظ سنسكريتي يطلق عند البوذيين على الخير الأعلى الذي يبلغه الإنسان برجوعه إلى المبدأ الأول: وإمحاء ذاته الفردية في الكل... ويطلق على السعادة العقلية والوجدانية التي يمكن بلوغها بإنكار إرادة الحياة والإعراض عن مصالح الذات الفردية وأوهام الحواس. وهي مرادفة للفناء لدى متصوفي الإسلام". صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج2، ص514.

<sup>5</sup> كازانتزاعي، نيكوس: زوريا، ص63.

<sup>6</sup> شاهين، سمير الحاج: لحظة الأبدية، ط1، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1980، ص16.

<sup>7</sup> كازانتزاعي، نيكوس: زوريا، ص221.

وفي العرف الإجتماعي يستطيع الإنسان أن يخلد نفسه\* وإن رحل جسده، "لعل الوقت لم يتح له ليخلد ما كان قابلاً للخلود"<sup>1</sup>، فيضيف عمراً إلى عمره، عن طريق التكاثر والتناسل، "لم تعد لي قوة، ولا أستطيع شيئاً، لكن ليست الشهوة هي التي تنقضي، إلا أنه لم يعد بإمكانني أن أبذر الأطفال، إذن فماذا أفعل بالحياة؟"<sup>2</sup>، وأن يستمر أولاده وأحفاده بالإنجاب، "وليكن له، هو الآخر، أبناء وأحفاد، وليشبهني أحد أبنائه، كي يقول الشيوخ وهم ينظرون إليه: أنظر، ما أشبهه بالعم أنا نبوستي! ليرقد بسلام، فقد كان رجلاً شجاعاً"<sup>3</sup>، أو عن طريق الأعمال الخيرية ومساعدة الآخرين، أو عن طريق الكتابة، فقد كتب "باسيل" هذه الرواية تخليداً لحياة زوربا وفكره، "كنت أكتب بحدة، وأحيي الماضي بسرعة، وأحاول أن أتذكر وأبعث "زوربا" كله. وكأنني أعتبر أنه، إذا ما اختفى زوربا، فأنا المسؤول. كنت أعمل إذن ليلاً نهاراً لأثبت وجهه كما هو"<sup>4</sup>.

### 3.4.2 الأنسنة\*:

تطرف دخل على قوانين الطبيعة، ناجم عن رقي الإحساس وعمقه، وقدرة على استيعاب الآخر عن طريق "صبغ الظواهر الطبيعية، غير الحية، بصبغة الحياة، بحيث تسلك هذه الظواهر كما لو كانت كائنات حية تحس وتتفاعل وتتعاطف أو تتنافر مع الإنسان"<sup>5</sup>، بفلسفة ترى أن "الكل شئى معنى خفي

---

\* "خلود النفس: بقاؤها بعد فناء البدن مع الاحتفاظ بخصائصها ومميزاتها الفردية". عمر: أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصر، ص677.

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوربا، ص386.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص80.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص81.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص390.

\* **Anthroporphic**: هذا المصطلح يشير إلى عرض الحيوانات والجماد وكأنها قد منحت سمات إنسانية مثل المشاعر والكلام. مارتن، برونوتن: معجم مصطلحات السيموطيقا، ت: عابد خزندار، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص39.

<sup>5</sup> زكريا، فؤاد: التفكير العلمي، د ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1978، ص49.

في هذا العالم البشر، والحيوانات، والأشجار، والنجوم، كلها ليست إلا خطوطاً هيروغليفية، وسعيد هو الذي بدأ بحلها وإدراك ما تعنيه<sup>1</sup>.

"زوريا" الذي أشبع حياته بالحواس وحواسه بالحياة، لا يستطيع استيعاب المفاهيم المقفرة التي لا حياة فيها، فنفت فيها من روحه، وجاد من دمه، ليستطيع التواصل معها "أعطى جسداً حبيباً وحراراً للمفاهيم المجردة"<sup>2</sup>، فالإنسان "لا يدرك أي شيء إدراكاً تاماً أو يفهمه فهماً كاملاً، فإن باستطاعته أن يسمع، أن يرى، أن يلمس، أن يذوق الطعم، لكن المقدار الذي يسمعه أو يراه أو يلمسه أو يذوقه إنما يعتمد على عدد ونوعية حواسه، الأمر الذي يحد من إدراكه للعالم المحيط به"<sup>3</sup>، وهو مؤمن "أن لكل الأشياء روحها، الخشب، والأحجار، والخمر التي تشربها والأرض التي نسير عليها... كل شيء، كل شيء"<sup>4</sup>، وعلينا أن نتواصل مع هذه الروح ونخلق عالماً خاصاً من لحم ودم، متسائلاً: "لو كنا نعرف، ما تقوله الحجارة، الأزهار، والمطر! لعلها تنادي، تناديننا، ونحن لا نسمع"<sup>5</sup>.

تنوعت صور الأتسنة في الرواية حسب فلسفة زوريا، فشملت الله، والشيطان، والسانتوري، والأرض، والعنب، والخنجر، والأنفاق أيضاً، التي أطلق عليها أسماء خاصة "إنه يعطي اسماً لكل نفق ولكل عرق، يعطي وجهاً للقوى التي لا وجه لها، وعندئذ يصبح من الصعب أن تغلت منه"<sup>6</sup>، فيحفر لها مكاناً في ذاكرته ويطمئن لها، ويتفاعل بها، ويتولد بينهما لغة خاصة تستشعر الخطر، "بغريزته العميقة، التي تجعله يحس بالذي يجري في تلك المتاهة الأرضية، كما يحس بما يجري في جسده

<sup>1</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص 62.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 198.

<sup>3</sup> يونغ، كارل: الإنسان ورموزه، ص 19.

<sup>4</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص 102.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 121.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 230.

بالذات"<sup>1</sup>، ويخلق مشاعر وجدانية نفسية عميقة، "كأن دعامات السقف تتن تحت الثقل"<sup>2</sup>، هذه المشاعر السامية، نابعة من ذات حرة مفعمة بحب الحياة، ترى كل شيء ينبض.

وقد يكون هدف الأنسنة استشفاف الجمال وتذوقه، كما حدث مع باسيل عندما زار مدينة أثرية، فكان للمكان بعد جسدي، "إنني ألمح الآن بين هذه الصخور يد الإنسان"<sup>3</sup>، وآخر نفسي فالأرواح تصرخ وتنتهد، وكأن المدينة امرأة أثارت فيه مشاعر الحزن والشفقة، فجسدها العجوز خرقة النمل منذ آلاف السنين، وتآكل، فطردته وافتراق الجسدان "وخيل إلي كأن روح المكان هي التي تطردني"<sup>4</sup>.

ويلاحظ أن "زوريا" خلع الصفات الإنسانية على الجماد والنبات فقط، ولم ينسبها للحيوان، فلم يؤنس الخراف والدجاج والخنازير؛ لأن تغذية الجسد عنده أهم من الإنسانية.

### 3.4.3 التناسخ:

"عقيدة شاعت بين الهنود وغيرهم من الأمم القديمة مؤداها أن روح الميت تنتقل إلى موجود أعلى أو أدنى لتنعّم أو تعذب جزاء على سلوك صاحبها الذي مات، ومعنى ذلك عندهم، أن نفساً واحدة تتناسخها أبدان مختلفة إنسانية كانت، أو حيوانية، أو نباتية"<sup>5</sup>، وكأن الحياة طريق لا نهاية له، وقد جاء التساؤل بشكل صريح في الرواية، "عندما يموت الإنسان، هل يستطيع أن يعود إلى الأرض بشكل آخر؟"<sup>6</sup> وكان هذه الثقافة شائعة ومأخوذ بها، "من يعرف، فلعل جميع البغال التي نراها اليوم

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 139.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 139.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 213.

<sup>4</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 215.

<sup>5</sup> صليبيا، جميل: المعجم الفلسفي، ج 1، ص 346.

<sup>6</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص 138.

في العالم، هي هؤلاء الناس، الغليظون، الذين كانوا أثناء حياتهم رجالاً ونساء دون أن يكونوا كذلك حقاً، ولهذا انقلبوا إلى بغال. ولهذا يرفسون دائماً<sup>1</sup>.

#### 3.4.4 الله والشيطان:

من أهم القضايا الميتافيزيقية التي تناولتها الفلسفة، بعد أن فشلت محاولات العلم للدلالة المباشرة على وجودهما، "لأن ما هو غير مرئي وغير منظور وغير معقول تأكيده بوسائل علمية، لا يصلح ضمن إطار العلم، فليدع العلميون هذا الحقل لعلماء اللاهوت"<sup>2</sup>.

الله\*، طرحت قضايا كثيرة حول "علاقة الإنسان بالله، تلك العلاقة تمثل جانباً مهماً من البحث الميتافيزيقي الفلسفي، ينبغي أن يوضع الله فيها تماماً على النحو الذي نضع فيه الوجود العام أمام الإنسان"<sup>3</sup>، ووجود الله وصفاته، "هل الله موجود. نعم أو لا؟ ما رأيك، أيها الرئيس؟ وإذا كان موجوداً - وكل شيء ممكن - فكيف تتمثله؟"<sup>4</sup>.

وهنا يقع الخلاف، كيف يسمح الإله الذي يتصف\* بالرحمة والمقدرة، رمز الخير\* أن يخلق الشيطان "الذي يمثل الشر على جميع المستويات، ويناط به كل خلل في نظام الطبيعة ونظام المجتمع وبنية

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص138.

<sup>2</sup> الخوري، روجيه شكيب: الدين والبارابيسيكولوجيا، ج7، ط1، دار ملفات، بيروت، 1996، ص51.  
\* "أهم أجزاء الميتافيزيقيا عند أرسطو هو كلامه عن الإلهيات... حيث يستدل على وجود الله بعدة أدلة منها أنه ينظر إلى ظاهرة الزمان فيستدل منها على أزلية العالم وأبديته ومن ثم فلا بد من وجود ما هو أزلي "الله". عبد الرحمن: سامية: الميتافيزيقا بين الرفض والتأييد، ص98.

<sup>3</sup> هويدي، يحيى: الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص379.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص136.

\* "يعتقد أن الإله كلي المقدر أو عظيم المقدر. وهذه يعني أنه قادر على فعل كل شيء... يعتقد أن الإله كلي الرحمة والمحبة.. لذلك لا حدود لعناية الله... يعتقد أن الإله كلي المعرفة أو عالم بكل شيء لا أحد يستطيع أن يتوارى عن الإله لأنه قادر على رؤية كل شيء، وتحيط معرفته بأفكارك الأكثر خصوصية وحميمة الإله هو الأخ الأكبر العظيم". باجيني، جوليان: الفلسفة؛ موضوعات مفتاحية، ص196.  
\* "مذهب أفلاطون أن مصدر هذا الوجود وعلته هو الواحد الذي يسميه أحياناً "الله" وأحياناً "الخير". عبد الرحمن: سامية: الميتافيزيقا بين الرفض والتأييد، ص99.

النفوس الواعية"<sup>1</sup>، فهل الله موجود؟، "إن الإله الخير مطلق القدرة، إن وجد، فعليه إلا يسمح للشر بالوجود، ولذلك فوجود الشر يلزم منه منطقياً أن هذا الإله غير موجود"<sup>2</sup>، وقد عرفت عند الفلاسفة قديماً بمشكلة الشر، إذ يرى الفيلسوف اليوناني "أن وجود الشر في العالم يتعارض مع وجود الإله، إذ إن الكمال الإلهي يقتضي ألا يكون هناك شر في العالم وألا يفعل الله الشر"<sup>3</sup>، وبعض المفكرين لم يعترف بالشیطان اطلاقاً، "لأنه غير منطقي أن يسمح "الله"، خالق الكون وما فيه، بوجود يناقضه وبمملكة بعيدة عن إرادته تدعو إلى الشر"<sup>4</sup> ولكن الله خلق الشيطان رمز الشر و هب الإنسان الحرية، حرية الإرادة والاختيار، "فإنه لم يسمح بظهور الشر بل سمح بالحرية، وليس الشر إلا ناتجاً من نواتج الحرية"<sup>5</sup>، ومنحه العقل والقدرة على التمييز بين الخير والشر، "إن منح الناس حرية للاختيار في الفعل يلزم منه أن يختار أناساً الخير ويختار غيرهم الشر"<sup>6</sup>، فالخير يصدر عن إرادة سوية، والشر يصدر عن إرادة فاسدة، والإله منح الإنسان القدرة على الفعل والاختيار، "حرية الإدارة نعمة إلهية، لا تكون إلا في عالم يحدث فيه الخير والشر، وينقاد فيه الإنسان إلى العمل الصالح غير مكره عليه"<sup>7</sup>، "لقد فقدت صوابي. إن الشيطان يجذبني من ناحية، والرحمن من ناحية، وهكذا أتمزق بين الاثنين"<sup>8</sup>، "إرادة الإنسان إرادة حرة وبالتالي فمن الممكن أن تتغلب على أهوائها أو تخضع لها"<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> السواح، فراس: الرحمن والشيطان، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 2000، ص55.

<sup>2</sup> عامري، سامي: مشكلة الشر ووجود الله، ط2، تكوين للدراسات والأبحاث، الدمام، 2016، ص111.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص109.

<sup>4</sup> الخوري، روجيه شكيب: الدين والبارابسيكولوجيا، ج7، ص52.

<sup>5</sup> السواح، فراس: الرحمن والشيطان، ص7.

<sup>6</sup> عامري، سامي: مشكلة الشر ووجود الله، ص112.

<sup>7</sup> العقاد، عباس محمود: عقائد المفكرين، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص57.

<sup>8</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص95.

<sup>9</sup> عبد الرحمن: سامية: الميتافيزيقا بين الرفض والتأييد، ص135.

الله والشيطان والماورائيات شكلت معضلة "زوريا"، "فهو ينكر أي شيء روحاني أو ديني أو إلهي، فكل ما يناقض المنطق ليس سوى خرافة"<sup>1</sup>، إيماناً منه أن ما لا يقع تحت حواسه، لا يدركه في ذهنه ولا يعترف به عقله، "لو كنت أوّمن بالإنسان، لآمنت أيضاً بالشيطان. وتلك مشكلة"<sup>2</sup>، وبالتالي هما (الله والشيطان) لا يعترفان به، "إنني أعتقد أنني منذ سنوات ليست بالقليلة لم أعد مسجلاً في سجلات الرحمن. ولا في سجلات إبليس أيضاً"<sup>3</sup>.

تاهمت آراء "زوريا" عندما سأله باسيل عن حقيقة الله في نظره، وأظهر حيرة الإنسان حول صدق وجود الله صاحب الصفات الكاملة ووجود الشر، كيف يسمح بذلك؟، "فإما أن يكون ما ندعوه إلهاً غير موجود، وإما أن يكون ما ندعوه من جرائم وذناعات ضرورياً"<sup>4</sup>، فالخير المحض لا يسمح بالقتل والحرب والموت، "إن الموت، باعتباره شرط الحياة، والشر، الذي يرتبط في جوهره بالموت، يشكل هو أيضاً، بطريقة ملتبسة، أساس الكينونة"<sup>5</sup>.

كما وجزم أن الإنسان جُبل على الخير والشر، نصفه إله ونصفه شيطان، وهو في نزاع أيهما يطغى على الآخر، "الإنسان نصف فاضل، ونصف شرير"<sup>6</sup>، ولا يمكن أن يعرف الخير إلا بالشر، كما وضح العقاد ذلك في كتابه عقائد المفكرين "الشر هو تمام الخير الذي يوجد معه وينعدم بانعدامه، فلا معنى للرحمة بغير الألم، ولا معنى للشجاعة بغير الخطر، ولا معنى للكرم بغير الحاجة..."<sup>7</sup>، وقد انتقد "باسيل" الذي كان يطمح للخير الكامل في نفسه قائلاً: "اعتقد أنك تحاول أن تحول ما

<sup>1</sup> الخوري، روجيه شكيب: الدين والبارابسيكولوجيا، ج7، ص53.

<sup>2</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص73.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص193.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص33.

<sup>5</sup> بيتاي، جورج: الأدب والشر، ت: حسين عجة، ط1، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، 2018، ص27.

<sup>6</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص292.

<sup>7</sup> العقاد، عباس محمود: عقائد المفكرين، ص57.

تأكله إلى إله. لكنك لا تستطيع ذلك وتعذب نفسك"<sup>1</sup>، "باسيل" الذي كان يرى الله أو الخير جمالاً وسعادة، باحثاً عنه في جوهر كل شيء، "إن الله يبذل وجهه في كل لحظة. وسعيد من يستطيع أن يتعرفه تحت كل أفتعته! فهو تارة قدح ماء بارد، وتارة أخرى ابن يثب على ركبتك، أو امرأة ساحرة، أو بكل بساطة نزهة صباحية صغيرة"<sup>2</sup>.

ونعود إلى "زوربا" الذي استنتج "أن الله والشيطان واحد"<sup>3</sup>، شيء غيبي يملك قدرات خارقة "فائق القوة -البعض يسمونه الله والبعض إبليسا"<sup>4</sup>، والإنسان يميزه من أفعاله إذا كانت خيراً أو شراً، فإذا ماتت امرأة "إذا كانت عاقلة يقال: لقد أخذها الإله الرحيم وإذا كانت خاطئة، يقال: أخذها الشيطان"<sup>5</sup>، ولكن في المحصلة سيان عنده الله أو الشيطان "إن الشيطان، أو الرحمن، يرسل لك هذا الطعام"<sup>6</sup>، ويتمائل عنده الخير والشر "إنني لا أسر للخير، ولا أحزن للشر"<sup>7</sup>.

وفي محاولة لتوضيح رأيه، عقد "زوربا" مقارنة بين الله والشيطان، فقد أنفذ "الإله الرحيم وأشفق علي وأرسل لي صاعقة طيبة"<sup>8</sup>، وقد استخدم الشيطان شماعة ليعلق عليه أخطائه "لعن الله الشيطان"<sup>9</sup>، ولا ينكر أنه ساعده "الشيطان يقدم لنا خدمة رائعة! اعتقد أنه سيوصل الأمور للغاية المطلوبة"<sup>10</sup>، وهو يرى "أن كل ما هو جميل في هذا العالم قد اخترعه الشيطان: النساء الجميلات، والربيع، والخنزير المحمر، والخمر. كل هذا، إنما الشيطان هو الذي أوجده. أما الإله الطيب فقد أوجد

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص 89.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 266.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص 299.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 368.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 299.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 130.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص 185.

<sup>8</sup> المصدر السابق، ص 15.

<sup>9</sup> المصدر السابق، ص 227.

<sup>10</sup> المصدر السابق، ص 264.

الرهبان والصوم ونقيع البابونج"<sup>1</sup>، وقد مال "زوريا" للشيطان، للشر، للتمرد، للمتعة، للحرية، "فالحرية هي دائماً الانفتاح على التمرد، والخير مرتبط بالطابع المغلق للقاعدة"<sup>2</sup>، للفوضى، لاختراق وخلخلة كل القوانين والمحاذير، "لكني سرقت، وقتلت، وكذبت، ونمت مع مجموعة من النساء، وانتهكت كل الوصايا. كم وصية هناك؟ عشر؟ آه! أود لو كان هناك عشرون، خمسون، مئة، كي أنتهكها جميعاً"<sup>3</sup>.

ولكي يعبر عن رغباته، ويفلت من قيوده، ويفرغ المكنون من نفسه، ابتكر شيطان الذات، "فالأبالسة في نظرنا، نحن، رغبات شريرة، مستهجنة، تنبع من دوافع مكبوتة، مكبوتة"<sup>4</sup>، ليعلق عليه كل ما يشتهييه وما حرم منه في الواقع، وكان يعمده ويطلق عليها اسماً، كما فعل راهب الدير، "الخوجا يريد أن يأكل لحماً يوم الجمعة المقدس. الخوجا يريد أن ينام مع امرأة، الخوجا يريد أن يقتل رئيس الدير. انه الخوجا، الخوجا، وليس أنا"<sup>5</sup>، "فقد خلق الوجدان الإنساني صورة الجني ليضفي عليها كل الصفات التي تنقصه"<sup>6</sup>، فكل واحد شيطان يدفعه الى ما حرم منه في الحياة، الراهب زكريا كان يريد الطعام والشراب، "زوريا" شيطانة يريد الشباب والصحة الدائمة، أما "باسيل" "فيك شيطان، لكنك لا تعرف بعد ما يدعى، وإنك لتخنتق بسبب ذلك عمده أيها الرئيس، وأعد الطمأنينة إلى نفسك"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 272.

<sup>2</sup> بتاي، جورج: الأدب والشر، ص 209.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 298.

<sup>4</sup> فرويد، سيجموند: التحليل النفسي، ت: جورج طرابيشي، ط 2، دار الطابعة للطباعة والنشر، بيروت، 1982، ص 6.

<sup>5</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 186.

<sup>6</sup> خورشيد، فاروق: عالم الأدب الشعبي الحديث، د ط، دار الشروق، القاهرة، 1991، ص 56.

<sup>7</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 187.

ومع كل هذا، إلا أن حلم "زوريا" كان أكبر بكثير، كان يريد أن يتحرر من الإله ومن الشيطان، من ضوابط تقسم ما يفعله إلى خير شر، يريد الحرية لما يقول أو يفعل دون تدقيق أو تنقيح، معلناً "سنحقق ذات يوم مشروعنا الأكبر. سنبنّي ديراً لنا، دون إله، دون إبليس، مع رجال أحرار"<sup>1</sup>.

### 3.4.5 الجنة والنار:

العالم الآخر، الأكثر غموضاً وغيبية، هاجس الإنسان وشاغله، فكل ما فيه مجهول وغامض لا يعلمه، ولتفنيده هذا الغموض ربطه بالدين، على مستوى كل الأديان، وقسمه جنة ونار، "الفردوس ليس إلا رمز ديني، إلهي، لأرقى درجة يتوصل إليها الإنسان، أي إلى التقرب من الخالق المبدع"<sup>2</sup>، ترغيباً وترهيباً جزاء أعمالهم في الدنيا، إيماناً منهم أن الجسد الفاني سيبعث في اليوم الموعود ويتحد مع الروح ويحاسب، "لو أن الله موجودٌ، لما خفت مطلقاً أن أمثل أمامه، حين يجيء اليوم الموعود"<sup>3</sup>، "زوريا" كان يعلم أنه سيحاسب ولكنه موقن بالرحمة الإلهية، فالله "يمسك بإسفنجة مليئة بالماء، وكأنها غيمة من المطر، وعن يمينه الفردوس، وعن يساره، الجحيم وعندما تأتي روح من الأرواح مرتجفة، عارية تماماً، المسكينة، لأنها أضاعت جسدها... ويلمحة بصر، يمسح بالإسفنجة كل خطاياها. ويقول لها: هيا غني، اغربي إلى الفردوس"<sup>4</sup>، فهو أمام عظمة الخالق يرى نفسه حشرة حقيرة لا تستحق الاهتمام، "هل يتنازل الله ويعير اهتمامه دود الأرض ويحاسبه؟"<sup>5</sup>، وهو لا يؤمن أن الجحيم\* موجودٌ، ويتساءل دائماً: "هل هناك جحيم أم لا؟"<sup>6</sup>، من منطلق أن الإله

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص376.

<sup>2</sup> الخوري، روجيه شكيب: الدين والبارابسيكولوجيا، ج7، ط1، دار ملفات، بيروت، 1996، ص50.

<sup>3</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص298.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص137.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص298.

\* جحيم: مكان عذاب لا يحتمل، أو مكان شديد الحر،... نار شديدة التآجج عكسه النعيم. إلى الجحيم: دعاء بالهلاك، وهو اسم من أسماء جهنم. عمر: أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ص347.

<sup>6</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص385.

خلق الإنسان فلماذا يعذبه، "لأنه لو كان لدي، أنا، ابنان، أحدهما عاقل، رصين، مقتصد، وتقي، والآخر خبيث، شره، زير نساء، خارج على القانون، لقبلت بهما كليهما على مائدتي"<sup>1</sup>، ففكرة الإله الذي يحاسب عباده مرفوضة عنده.

وإذا كانت الجنة جزاء إحسان قدمه الإنسان، "تابع! ستخرج على كل حال رابحاً. ستذهب روحك مباشرة إلى الجنة"<sup>2</sup>، فهو يريد أن يختار جنته بنفسه، "لو كان كل إنسان يستطيع أن يختار فردوسه في السماء، حسب ذوقه، وهذا ما يجب أن يكون"<sup>3</sup>، لاختار "زوريا" جنته "أما فردوسي أنا فهو هذا: غرفة صغيرة عبقة فيها أثواب زاهية، وصابون، وسرير عريض ذو نوابض، وإلى جانبي امرأة"<sup>4</sup>، ومع هذا فهو لا يضمن جنة الآخرة؛ لأنها غيبية وليست محسوسة، ويرى الجنة في الحياة التي يعيشها، فهو يرفض الموت "كي أذهب مباشرة إلى الجنة"<sup>5</sup>، "فلقد دخلت الجنة حياً"<sup>6</sup>، فهذه الدنيا هي جنته التي يعيشها ويحياها، "أؤكد لك، يا صديقي، أنه ليست هناك جنة أخرى غير هذه. لا تصغ إلى ما يقوله الكهنة، فليس هناك جنة أخرى"<sup>7</sup>.

---

<sup>1</sup> كازانتزافي، نيكوس: زوريا، ص298.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص217.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص34.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص191.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص342.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص191.

<sup>7</sup> المصدر السابق، ص132.

### 3.4.6 الأساطير\* والموروث الشعبي:

شكلت الأساطير نقطة ارتكاز في تحليل الأمور الغيبية التي واجهت الإنسان الأول، كون "الأسطورة في المجتمعات القديمة، والمجتمعات التقليدية، تلعب نفس الدور الذي تلعبه الميثافيزيقا في الثقافات المتطورة التي أعلنت من شأن الفلسفة"<sup>1</sup>، وحظيت بقبول ورضى شعبي لإجابتها عن تساؤلات حول الكون والطبيعية، "كانت الأسطورة لدى تلك الشعوب قصة مقدسة، تحكى لأنها تروي واقعة حدثت في أول الزمان... تصور الإنسجام بين الإنسان والكون"<sup>2</sup>، وهي نتاج حضارة إنسانية عرقية ومجتمع مفكر.

ومن أقدم الأساطير الإنسانية في العالم الأساطير اليونانية، التي تحدثت عن أصل الحياة، وعن الآلهة والمخلوقات الأسطورية وعن الطقوس والعادات، وانتقلت "من جيل إلى جيل، ب الرواية الشفهية بما يجعلها ذاكرة الجماعة، التي تحفظ قيمها وعاداتها وطقوسها وحكمتها"<sup>3</sup>، وتميزت عن غيرها من الحكايات والقصص باكتسابها صفة القداسة، وأبطالها الآلهة، وتعالج قضايا مصيرية ليس للإنسان سلطة عليها.

ولثرائها وشعبيتها، كانت الأساطير معيناً لا ينضب للأدباء والفنانين في كل زمان ومكان، "الأسطورة نص أدبي، وضع في أبهى حلة فنية ممكنة، وأقوى صيغة مؤثرة في النفوس، وهذا مما زاد في

---

\* "الأسطورة: تروي تاريخاً مقدساً، تروي حدثاً جرى في الزمن البدئي، الزمن الخيالي، هو زمن البدايات. بعبارة أخرى تحكي لنا الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود، بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا... إذن هي دائماً سرد لحكاية خلق، تحكي لنا كيف كان إنتاج شيء، كيف بدأ وجوده... باختصار تصف الأساطير مختلف أوجه تفجر القدسي أو الخارق في العالم". إلياد، مرسيا: مظاهر الأسطورة، ت: نهاد خياطة، ط1، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، 1991، ص10.

<sup>1</sup> السواح، فراس: الأسطورة والمعنى، ص10.

<sup>2</sup> عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب، ط1، دار الفارابي، بيروت، 1994، ص35.

<sup>3</sup> السواح، فراس: مغامرة العقل الأولى، ص19.

سيطرتها وتأثيرها"<sup>1</sup>. وتوظيف الأسطورة في الرواية يمدّها برؤى فكرية وفلسفية، ويمزج حاضرها بماضيها ليصل إلى الخلود بنص واضح واقعي وإنساني.

وفي رواية "زوريا" جاء توظيف الأسطورة منسجماً مع الطبيعة اليونانية، والواقع في كريت، مع الإيمان العميق بها وشهرتها الواسعة، "الأسطورة حكاية مقدسة يؤمن أهل الثقافة التي أنتجتها بصدق روايتها، إيماناً لا يتزعزع، ويرون في مضمونها رسالة سرمدية موجهة لبني البشر"<sup>2</sup>.

وقد جاء استخدامها مباشراً وصريحاً، مثلما ربط "زوريا" علاقته بالمرأة بأفروديت\*، ربة العشق والنشوة والإخصاب، "فوراء كل امرأة ينتصب وجه أفروديت، صارماً، مليئاً بالأسرار"<sup>3</sup>، وهنا يُعد المرأة إله وهو يؤسّر نفسه كي يتزوج بها، في محاولة منه للحصول على مميزات الإله، وقد كرر ذلك عندما شبه نفسه بالإله "زوس"<sup>4</sup>، "الذي لا يترك امرأة واحدة تشكّي"<sup>4</sup>، "وكان يتنكر، ويصبح ثوراً، أو بجعة، أو كبشاً"<sup>5</sup>، ليصل إلى النساء في الأرض، "لقد كان يرثي لهن ويفهم ألمهن جميعاً، ويضحي بنفسه من أجلهن"<sup>6</sup>.

وقد رأى في نفسه انعكاساً لهذا الإله العظيم، وسبباً لركضه وراء الجنس الأنثوي.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص20.

<sup>2</sup> السواح، فراس: الأسطورة والمعنى، ط2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، 2001، ص15.

\* "أفروديتي": ابنه زوس وديوني، يقال إنها ولدت من زيد البحر الذي سقطت فيه الأعضاء المبتورة من جسد أورانوس. وهي ربة الإخصاب بسائر أنواعه، وربة الحب ومسرته والزواج مع القدرة على هدم وقتل الحب في قلوب البشر، وربة الجمال التي تهب البشر جمال الجسد وفتنته. سلامة، أمين: معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، ط2، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر، القاهرة، 1988، ص30.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص58.

\* "زوس"، إله الأرض والسماء وكبيرهم، ولد وترعرع في كريت، والده إله الزمن كرونوس، وأمه الإلهة ريا، وهو أصغر أخوته الذين ابتلعهم والدهم لخوفه من تمردهم عليه، فأخفت الإلهة ريا ولداها في كريت. عُرف عنه كثرة عشيقاته من البشر، كغيره من الإله. يُنظر: سلامة، أمين: معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، ص214-216، وينظر: أ- يتهارت، أ: الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ت: هاشم حمادي، ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق، 1994، ص13-15.

<sup>4</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص277.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص277.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص278.

كما وصف "باسيل" حالة الابتهاج والفرح التي أصابته، "كان قلبي قد طفح بالسعادة عندما تأملت في الكنيسة أيقونة القديس باخوس"<sup>1</sup>، قائلاً: "إن ديونيزوس\*، إله الخمر والنشوة الجميل، والقديس باخوس، يمتزجان فيّ، ويأخذان الوجه نفسه. تحت أوراق العنب"<sup>2</sup>. كما أسقط صفات الإله بروميثيوس\* الذي كان يحب البشر كثيراً ويدافع عنهم ويساعدهم في بناء حضارتهم على صديقه "ستايفريداكي" الذي يتحمل هو الآخر "عذابات حقيقية وهو يناضل ضد قوى الظلام: الجوع، والبرد، والموت، والمرض"<sup>3</sup>.

وكان هناك أيضاً إشارة إلى بعض الأساطير من خلال السرد، كأسطورة الخلق والتكوين، عندما "راح زوربا يخترع، نصف منتش، ونصف هازئ، حكاية خلق الإنسان الأسطورية"<sup>4</sup>، فكرة تكوين الإنسان من طين وإضافة شيء من خواص الإله له وعجنها ووضعها في الشمس. وفي إشارة أيضاً إلى الظواهر الطبيعية، غروب الشمس "تملكنا من جديد رعب أسلافنا البدائي، الذين كانوا، خلال الشتاء، يرون الشمس تنطفئ قبل أوانها"<sup>5</sup>، "التي قدستها المجتمعات الأبوية باعتبارها رمزاً للإله الذكر، إله السماء الأعلى"<sup>6</sup>، وفكرة اتحاد السماء والأرض التي تم التفريق بينهما عنوة والطوفان الذي أغرق الأرض "كان ثمة حزن، ليس من أجلي، ليس لي، أعمق، وأظلم، يتصاعد من الأرض

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص254.

\* "ديونيسوس: يسمى أيضاً باخوس ولوايوس... إله الخمر وإخصاب الطبيعة، كانت قوة الخمر المسكرة هي رمز قوة الطبيعة المسكرة، واهب البشر الغبطة والسعادة والحرية من الهموم والموجي بالموسيقى والأغاني وكان يقدر الكرملة العنب-". يُنظر: سلامة، أمين: معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، ص200.

<sup>2</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص254.

\* بروميثيوس: يشير هذا الاسم إلى رجل ذي بصيرة، كان يعدّ أعظم محسن عرفه البشر، أتى إليهم بهديه النار، فمهد بذلك الطريق لتقدم مدينتهم وعلومهم وفنونهم. كان ينظر إليه كخالق للإنسان. يُنظر: سلامة، أمين: معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، ص100.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوربا، ص119.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص196.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص135.

<sup>6</sup> السواح، فراس: مغامرة العقل الأولى، ط11، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، 1996، ص42.

الندية"<sup>1</sup>، الأرض "هي الأم الأولى التي انبثق منها كل الأحياء من بشر وحيوان ونبات.... وخصوبة النساء ليست إلا قبساً من خصوبة الكونية المتمثلة في الأرض - الأم"<sup>2</sup>، "ما الذي يمكننا أن ننتظره من النساء؟ أن يلدن الأطفال من أول قادم"<sup>3</sup>، وجاء في الأساطير "ممارسات الجنس الجماعي الذي من شأنه في هذه المناسبة المقدسة تحريض القوى الأخصابية الكامنة في الأرض اعتماداً على مبدأ السحر التشاكلي حيث الشبيه ينتج الشبيه"<sup>4</sup>، وهذا ما حدث مع زوريا عندما كان في روسيا "تدحرج الرجال والنساء على الأرض، الحابل بالنابل..."<sup>5</sup>.

أما الموروث الشعبي\* فيشكل عقيدة المجتمع وتقاليد وقيمه الأصلية، والمكون الأساسي في صياغة الفرد، "فالإيمان بخوارق العادات والكرامات والمعجزات لا يشيع غالباً إلا بين ذوي العقول ذات الطابع الأسطوري، وهي التي كانت سائدة في البيئات والعصور التي ظهر فيها القول بالمعجزات"<sup>6</sup>.

---

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 116.

<sup>2</sup> السواح، فراس: مغامرة العقل الأولى، ص 310.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 91.

<sup>4</sup> السواح، فراس: مغامرة العقل الأولى، ص 311.

<sup>5</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 113.

\* "الموروث الشعبي: مصطلح شامل نطلقه لنعي به عالماً متشابكاً من الموروث الحضاري والبقايا السلوكية والقولية التي بقيت عبر التاريخ... ويضم المصطلح الممارسات الشعبية السوكية والطقسية معاً، كما يضم الفولكلور". خورشيد، فاروق: الموروث الشعبي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1992، ص 12.

<sup>6</sup> الخشت، محمد عثمان: مدخل إلى فلسفة الدين، ص 100.

وهنا نخص بالدراسة الفولكلور\* الماورائي في الرواية:

### 3.4.6.1 المعجزة\*:

التي تحتاج لقوى خارقة لحدوثها، فالعقل لا يصدقها؛ لأنها تخالف قوانين الطبيعة والعادة، لكن لارتباطها بالعالم الغيبي، الذي يتوجسون رهبة منه، "المعجزات التي كانت تحدث في ذلك الزمان، لأن الناس كانوا يخشون الله ويؤمنون"<sup>1</sup>، آمنوا بها، وقد ارتبطت بالسيدة العذراء، "فإن مريم وحدها قد نالت جميع المواهب بغير قياس، وفي يدها جعل الله مقاليد كل شيء، فهي مستقر جميع النعم وكمال الجود والصلاح"<sup>2</sup>. لمكانتها الدينية العظيمة "لقد وُلدت بمعجزة نعم بمعجزة. وعندما سأروي لكما كيف، سندهشان، وتقولان: الرحمة أيها الرب، وستذهبان إلى دير العذراء لتشعلا لها شمعة"<sup>3</sup>، وقدرتها على الانتقام ممن يعتدون عليها، "كان زكريا ممدداً، ميتاً، عند قدمي الأيقونة المقدسة، ورأس رمح العذراء لا يزال ملطخاً بقطرة دم كبيرة"<sup>4</sup>، لكن "زوريا" لم يؤمن بالمعجزات؛ لأنها تخالف العقل والمنطق، "لماذا لم تقم بمعجزتها قبل أن يحرقوا الدير؟"<sup>5</sup>، لكنه آمن بقدرتها على التأثير في الناس فاستغلها، فتمنى أن يرأس ديراً، "سأستخدم الدير كمصنع للمعجزات"<sup>6</sup>، المعجزة الوحيدة التي آمن بها تلك التي حدثها باسيل له، عن الرهبان في جبال التبت الذين "يغطسون ثيابهم في الماء المتجمد، ويعيدون ارتدائها ويتركونها تجف على أجسادهم. ثم يعيدون تغطيسها، ويجففونها من

---

\* "الفولكلور: هو ذلك الفرع من فروع المعرفة الإنسانية الذي يهتم بجمع وتصنيف ودراسة المواد الفولكلورية بمنهج علمي لتفسير حياة الشعوب وثقافتها عبر العصور". يونس، عبد الحميد: معجم الفولكلور، ص349.

\* المعجزة **Miraele**: تعرف في العادة بشيء ذي أهمية دينية ينتهك قوانين الطبيعة، لكن في بعض الأحيان تعرف بأي حدث له مغزى ديني. باجيني، جوليان: الفلسفة موضوعات مفتاحية، ص241.

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص77.

<sup>2</sup> فانوس، القمص باسيلي: مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية، د ط، بطريركية الأقباط الكاثوليك، القاهرة، 1991، ص102.

<sup>3</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص77.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص358.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص245.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص355.

جديد، وهكذا، سبع مرات<sup>1</sup>؛ لأنه فسرها له قائلاً: "إنهم يركزون نفوسهم على شيء واحد لا غير، ويقومون بالمعجزات. وهكذا تحدث المعجزات"<sup>2</sup>، "أي أن قوانا العقلية (الباطنة غالباً) تستطيع إشعال النار في فتيلة شمع إذا تدفقت بقوة، فالطاقة هي نفسها وإن تعددت أشكالها واختلفت مظاهرها"<sup>3</sup>.

### 3.4.6.2 الحكاية الخرافية:

"وهي حكاية سردية قصيرة تنتمي صراحة إلى عالم الوهم، من خلال اللجوء إلى الشخصيات الخيالية، والقبول بما يخالف الطبيعة وتصوير العالم غير الواقعي"<sup>4</sup>، والفارق بينها وبين الأسطورة كائن في القداسة ووجود الآلهة\*، وهي حصيلة خيال واسع وخصب، "كان زوربا يتكلم، وخياله ينصب أفخاخاً يقع فيها هو نفسه، وأخذ يؤمن شيئاً فشيئاً بحكاياته، لاهياً منفعلاً"<sup>5</sup>، قادر على اختراع أحداث تعبر عن المكبوت في نفس الراوي وتطلق العنان لأفكاره، فتنجح حكاية أحداثها خارج حدود العالم تتجاوز السحاب، "كان جدّي يحتذى حذائين من المطاط. وذات يوم، عندما ابيضت لحيته، قفز من سطح بيتنا لكنه ما إن لمس الأرض حتى قفز من جديد ككرة، وارتفع أعلى من البيت، أعلى باستمرار، وأعلى، حتى اختفى بين الغيوم، هكذا مات جدّي"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوربا، ص232.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص234.

<sup>3</sup> الخوري، روجيه شكيب: سلسلة العلوم البارابسيكولوجيا، ج9، ص105.

<sup>4</sup> زيتوني، لطيف: معجم مصطلحات نقد كازانتزاي، نيكوس: زوربا، ط1، دار النهار للنشر، بيروت، 2002، ص78.

\* تقوم الخرافة على عنصر الإدهاش وتمتلىء بالمبالغات والتهويلات وتجري أحداثها بعيداً عن الواقع حيث تتحرك الشخصيات بسهولة بين المستوى الطبيعي المنظور والمستوى فوق الطبيعي، وتتشابك علائقها مع كائنات ماورائية متنوعة مثل: الجن والعمالقة والأرواح الهائمة. وقد تدخل الإلهة مسرح الأحداث في الخرافة ولكنهم يظهرون هنا أشبه بالبشر المنفوقين لا كآلهة سامية متعالية كما هو شأنهم في الأسطورة". السواح، فراس: الأسطورة والمعنى، ص15.

<sup>5</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوربا، ص280.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص94.

### 3.4.6.3 المعتقدات:

الحسد من المظاهر الاجتماعية التي تنتج عن خوف الإنسان من الأذى، وهي مشاعر سلبية اتجاه الآخر ونوايا مشبعة بالغيرة والحقد، "حباً بالله، لا ترمه بعين حسود!"<sup>1</sup>، والعين أداة الحسد وتهدف إلى الامتلاك، ويمكن لهذه العين والنظرة أن تحرك مشاعر غيبية للإنسان عن بعد\*، "رفعت رأسي فجأة، قلقاً لست أدري كيف، فقد شعرت أن ثقبين انفتحا في أعلى جمجمتي، واستدرت فوراً، ونظرت خلفي... ثمة شخص مجهول... ينظر لي"<sup>2</sup>، ويأخذ الإنسان حرزه للوقاية من الحسد، "تقر على الخشب وتمتم خائفاً"<sup>3</sup>. وتدفع نظره العين أيضاً إلى التطير والتشاؤم، كما حدث مع "باسيل" عندما شاهد الغراب، "تملكني الغضب، فقد تشاءمت من هذا الغراب، وأخذت حجراً ورميته به"<sup>4</sup>، "إذا كان أصل التطير من الطير فإن الغراب أشأم ما كانوا يتطيرون به"<sup>5</sup>، وما حدث مع "زوريا" عندما مر كاهن القرية من عنده، ولكن "الحسن الحظ تمكن زوريا أن يبصق ثلاث مرات على الأرض، قبل أن يوجه إليه الكاهن الكلام"<sup>6</sup> بهدف إبعاد الشر عنه، وكان من أساليبهم للتعرف إلى المستقبل وكشف الطالع\* قراءة ظهر الخروف "لنر نحن أيضاً ما يقوله ظهر الخروف"<sup>7</sup>، أو من الكواكب والنجوم، "وشقت نجمة ضخمة هاوية كبد السماء، فانتفض زوريا، وجحظت عينه وكأنه

<sup>1</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص194.

\* "أحد الأشكال الشائعة للتأثير العقلي عن بعد على الكائنات الحية والذي تتم روايته، هو الشعور بأن أحداً يحدق النظر إليك والذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً تاريخياً بمفهوم العين الحسودة. هناك فولكلور شعبي شائع ومعروف يصادق على فكرة أن تصويب النظر نحو شخص ما يحمل في طياته قوى خاصة وتأثيراً إيجابياً أو سلبياً. رادين، دين أي: الظواهر الروحية الخارقة، ص50.

<sup>2</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص15.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص81.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص373.

<sup>5</sup> عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب، ص325.

<sup>6</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص139.

\* "والحقيقة أن كل هذه السخافات ينبذها العلم، ويعطي البرهان على عدم صحتها، إلا أن عامة الناس تعتقد أن القوى العقلية تستطيع معرفة المستقبل عبر هذه الشعوذة. الخوري، روجيه شكيب: سلسلة العلوم الباراسيكولوجية، ص22.

<sup>7</sup> كازانتزاي، نيكوس: زوريا، ص365.

يرى للمرة الأولى نجمة تهوي<sup>1</sup>، "فقد كان المجهول ولا يزال مما تهفو النفوس إلى معرفته بشتى الوسائل من خلال وسائط متعددة هي من عناصر الطبيعة كالنجوم وبعض الحيوانات..."<sup>2</sup>.

كما وارتدى التعويذة التي "تستخدم لدفع الشر أو أذى عين الحاسد"<sup>3</sup> وتقلد بها، وهي حيلة نفسية يتصدى بها ويناكف الواقع، اعترافاً منه بقصور قواه ومحدودية قدراته في مواجهة المجهول وقهر الطبيعة، "لقد خر الشريك ساجداً أمام قطعة الخشب، ثم علقها في عنقه، ومنذ ذلك اليوم أصبح إنساناً آخر، لقد تبدل كلية"<sup>4</sup>، فقد أنصبت عليه قوى خارقة عندما علقها "كان يخترق، ببسالة، سبل الرصاص. ولماذا يخاف؟ إن معه قطعة من الصليب المقدس، والرصاص لن يستطيع أن يخترقه"<sup>5</sup>، وقد اكتست بطابع ديني يزيد لها مهابة ومكانة، فأى قطعة خشب منزوعة من باب قديم أو قطعة قماش مطرزة بكنيسة القديسة صوفياً، شكلت درعاً حامياً قادراً على درء المخاطر عن حاملها، كان الإيمان بها يمنح المرء شجاعة وقوى خارقة، "الفكرة هي كل شيء. أعندك إيمان؟ إذن قطعة من باب قديم تصبح رفاتاً مقدساً. ليس عندك إيمان؟ إن الصليب المقدس كله يصبح باباً قديماً"<sup>6</sup>، "الشعوذة وضرب الرمل وقراءة الطالع، كلها تنتسب إلى أنواع غامضة من المعرفة ترتبط بالموروث الشعبي من المعارف المنحدرة من أصول معبديّة قديمة، وهي في مجمل أمرها تسمى بالكهانة في كتب التراث الشعبي عامة"<sup>7</sup>، وهدفها أن تبعد الأرواح الشريرة وتكف أذاها، "كان الساحر يرفع ذراعيه، ويرش الهواء بالماء، المقدس ويتمم بكلمات غامضة وفائقة القوة، فتهرب الشياطين

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص 380.

<sup>2</sup> عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب، ص 325.

<sup>3</sup> يونس، عبد الحميد: معجم الفلسفة، ص 266.

<sup>4</sup> كازانتراكي، نيكوس: زوريا، ص 282.

<sup>5</sup> المصدر السابق، ص 282.

<sup>6</sup> المصدر السابق، ص 282.

<sup>7</sup> خورشيد، فاروق: الموروث الشعبي، ص 86.

الخبیثة، بينما تسرع الأرواح الطيبة"<sup>1</sup>، فأصحابها يعتقدون بأن الأرواح الصالحة والشريرة تلعب دوراً هاماً في حياة المرء، وبأن هناك عوامل غريبة لا تفسیر لها، وهي ذات تأثير على الحياة الجسدية والروحية، فكأنها نوع من الوجود السحري"<sup>2</sup>، وهي في حقيقة الأمر لا تدفع شراً ولا تجلب خيراً؛ لأن الأقدار مقدرة للإنسان، ومن سخرية القدر\* في الرواية وحدث ما لا يتوقع أن يصبح الببغاء "كانافارو" بعد أن تعهر وتنقل حول العالم سجيناً في دير، "إنه ينشد، كراهب حقيقي. اللعين. هذا لا يصدق! فهو سيعلم الإنشاد لببغائنا المسكين. آه! كم شاهد في حياته"<sup>3</sup>، وأن يموت الراهب زكريا بعد أن أحرق الدير وهو خادمة المقدس له الذي قال فيه: "شقي من يمس الدير بسوء؟ إنها تثب عليه وتبقره بحربتها، لقد جاء الأمر، في الماضي، وأحرقوا الدير. لكن انتظر، سترى ما كلفهم هذا الأمر"<sup>4</sup>.

وبناء على ما تقدم فإن هذه المعتقدات تبدو إنسانية، إذ لا يخلو مجتمع منها أو من بعضها، وكأنها متأصلة في اللاوعي الجمعي العالمي، "ربما كان هذا المعنى الذي ذهب إليه كارل يونج في تعبيره عن اللاشعور بأنه ليس مجرد مخزن لمكونات الماضي المرتبط بحياة الفرد. وإنما هو مجمع رموز الماضي السحيق بعقائده وطقوسه. بالمعنى الذي يصبح فيه اللاشعور الفردي وريث عقائد الإنسانية وتراثها الرمزي"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 291.

<sup>2</sup> الخوري، روجيه شكيب: سلسلة العلوم الباراسيكولوجية، ج 9، ص 22.

\* القدرية: حتمية حدوث، تفرضه قوة فوق طبيعية، تخرج عن طبيعة الأشياء حيث يلعب القدر دوراً مهماً في سير الأحداث. علوش، سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985، ص 174.

<sup>3</sup> كازانتزاكي، نيكوس: زوريا، ص 383.

<sup>4</sup> المصدر السابق، ص 245.

<sup>5</sup> الجابري، صلاح: خارقية الإنسان الباراسيكولوجي، ص 31.

## الخاتمة

وقفت الباحثة في هذه الدراسة على أبعاد المضمون في رواية "زوريا" للكاتب العالمي "نيكوس كازانتزاكي"، الذي استطاع أن يتحف العالم بشخصية "زوريا" محملاً إياها خلاصة فكره وفلسفته، بجرأة في طرح القضايا ومباشرة ووضوح، مركزاً على القيم الاجتماعية والمكونات النفسية للشخصيات.

وترى الباحثة أن شخصية "كازانتزاكي" أقرب إلى شخصية "باسيل"، وهو يتطلع أن يكون مثل "زوريا"، طائر لا تتكسر أجنحته.

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

• في البعد الاجتماعي كان الطرح ذكورياً خالصاً متماشياً مع الواقع اليوناني، وكان وضع المرأة متوائماً مع عقلية المجتمع، كما ووجه نقداً لاذعاً للمؤسسة الدينية بسبب الاهتراء الاجتماعي الذي أصابها.

• في البعد النفسي تعددت القضايا التي أثارها الكاتب، موضحاً كيف أثرت الحرية والبوذية على ذوات الشخصيات وسلوكهم، في قضايا المرأة والجسد والجنس والموت والأحلام وانعكاسها على حياتهم.

• البعد الفلسفي بدا طاغياً في الرواية، متماشياً بما اشتهرت به اليونان من الفلاسفة والمتفلسفين، من طرح أسئلة فلسفية لم يجد إجابة محددة عليها، موضحاً الأثر والتغير الذي تركته على "باسيل"، معرجاً على قضايا عدة منها التحرر من الوطن، ومن الدين، وعرض فلسفته الخاصة بالرقص، ودورها اللغوي في التواصل بين الناس.

## قائمة المصادر والمراجع

- [1] أ. يتهارت، أ: الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ت: هاشم حمادي، ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق، 1994.
- [2] إبراهيم: زكريا: مشكلة الفلسفة، د ط، مكتبة مصر، القاهرة، 1971.
- [3] \_\_\_\_\_: مشكلة الإنسان، د ط، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1959.
- [4] \_\_\_\_\_: مشكلة الحرية، ط3، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1971.
- [5] \_\_\_\_\_: مشكلة الحياة، د ط، مكتبة مصر، القاهرة، 1971.
- [6] أحمد، نبيل عبد العزيز، الطرب وآلاته، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980.
- [7] إدجار، أندو: موسوعة النظرية الثقافية، ت: هناء الجوهري، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.
- [8] ادلر، الفريد: معنى الحياة، ط1، ت: عادل نجيب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
- [9] \_\_\_\_\_: الطبيعة البشرية، ت: عادل نجيب، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
- [10] إسماعيل، عز الدين: التفسير النفسي للأدب، ط4، دار العودة، بيروت، 1981.
- [11] أكوافيفا، سابينو: علم الاجتماع الديني، ت: عز الدين عناية، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2011.
- [12] إمام، إمام عبد الفتاح: الفيلسوف المسيحي والمرأة، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1996.
- [13] \_\_\_\_\_: أفلاطون والمرأة، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996.
- [14] \_\_\_\_\_: مدخل إلى الفلسفة، ط5، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985.
- [15] الأهواني، أحمد فؤاد: النوم والأرق، د.ط، دار المعارف المصرية، القاهرة، 1955.

- [16] باجيني، جوليان: **الفلسفة موضوعات مفتاحية**، ت: أديب شيش، ط1، دار التكوين للنشر، دمشق، 2010.
- [17] باس، ديفيد، النساء، الوقوف على الدوافع الجنسية، ت: أحمد ناصح، ط1، المقعدين للنشر، البصرة، 2018.
- [18] البدوي. محمد علي. **علم اجتماع الأدب النظرية والمنهج والموضوع**. د ط، دار المعرفة الجامعية. 2004.
- [19] بدوي، أحمد زكي: **المصطلحات السياسية والدولية**، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989.
- [20] \_\_\_\_\_: **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، د ط، مكتبة لبنان، بيروت، 1983.
- [21] بدوي، عبد الرحمن: **دراسات في الفلسفة الوجودية**، د ط، دار الثقافة للنشر، بيروت، 1973.
- [22] برلين، آيزايا: **الحرية**، ت: معين الإمام، د ط، دار الكتاب، مسقط، 2015.
- [23] بغدادي، عبد السلام إبراهيم: **الوحدة الوطنية**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993.
- [24] بنكراد، سعيد: **السيمياءات مفاهيمها وتطبيقاتها**، ط3، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية 2012.
- [25] بوتول، جاستون: **تاريخ علم الاجتماع**، ت: غنيم عبدون، د ط، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، --19.
- [26] بوفوار، سيمون دي، **الجنس الآخر**، ت: ندى حداد، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2008.
- [27] بيدوح، سمية: **فلسفة الجسد**، د ط، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2009.

- [28] ببيز، الآن: لغة الجسد، ت: مكتبة جرير، ط1، مكتبة جرير، الرياض، 2008.
- [29] بيبين، بيتر: مدخل إلى كافافي، كازانتزاكيس، ريتسوس، ت: سعاد فركوع، د. ط، دار منارات للنشر، عمان، 1985.
- [30] تا ناهيل ري: قصة الجنس عبر التاريخ، ت: إيهاب عبد المجيد، ط1، دار بيروت، القاهرة، 2008.
- [31] تاوضروس، موريس: المسيحية والجنس، ط2، دار الناسخ الحديث، مصر، 2000.
- [32] التريكي، فتحي: الفلاسفة والحرب، ت: زهير المديني، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
- [33] تشارلتن، ه، ب: فنون الأدب، ت: زكي نجيب محمود، د ط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1945.
- [34] تودوروف، تزفيتان: الحياة المشتركة، ت: منتذر عياشي، ط1، المركز الثقافي العربي، أبو ظبي، 2009.
- [35] توفيق، أشرف: العالم السري للنساء، ط1، مكتبة رجب، القاهرة، 1997.
- [36] الجابري، صلاح: خارقية الإنسان الباراسيكولوجي، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2004.
- [37] \_\_\_\_\_: الوعي والعالم السيكلوجي والباراسيكولوجي، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2005.
- [38] الجاحظ، عمرو بن بحر: الحيوان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ.
- [39] الجدة، نجوان نجاح: فلسفة الدين. ط1. مركز عين للدراسات الفكرية المعاصرة، بغداد، 2016.

- [40] جمهورية أفلاطون: دراسة وترجمة. فؤاد زكريا، د.ط، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004.
- [41] جوردن، امسلي وآخرون: اتجاهات علم النفس المعاصر، ت: عبد الله عريف، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1993.
- [42] حجازي، مصطفى: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1976.
- [43] حداد، نقولا: علم أدب النفس، د ط، المكتبة العصرية، بغداد، 1928.
- [44] الحفني، عبد المنعم: الموسوعة النفسية الجنسية، ط4، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002.
- [45] الحوت، علي، الجرائم الجنسية، ط1، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1997.
- [46] خدرج، زهرة وهيب: لغة الصمت، دراسة في أسرار لغة الجسد، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2015.
- [47] الخشت، محمد عثمان: مدخل إلى فلسفة الدين، د ط، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2001.
- [48] خليل، رफقة رعد: فلسفة الحرب، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
- [49] خورشيد، فاروق: الموروث الشعبي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1992.
- [50] \_\_\_\_\_: عالم الأدب الشعبي الحديث، د ط، دار الشروق، القاهرة، 1991.
- [51] الخوري، روجيه شكيب: الدين والبارابسيكولوجيا، ج7، ط1، دار ملفات، بيروت، 1996.
- [52] \_\_\_\_\_: سلسلة العلوم البارابسيكولوجية، ج9، دار ملفات، بيروت، 1996.
- [53] \_\_\_\_\_: قوى العقل الفيزيائية، ج3، ط1، دار ملفات، بيروت، 1996.
- [54] الخولي، البهي: المرأة بين البيت والمجتمع، ط3، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1965.

- [55] داكو، بير: المرأة؟، ت: وجيه أسعد، د ط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1983.
- [56] داود، محمد محمد: جسد الإنسان، دط، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2006.
- [57] الدباغ، فخري، الموت اختياراً، د ط، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1968.
- [58] دور كايم، إيميل: قواعد المنهج في علم الاجتماع، ت: محمود قاسم، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988.
- [59] \_\_\_\_\_: الانتحار، ت: حسن عودة، د ط، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011.
- [60] دولز، جيل وآخرون: ماهي الفلسفة؟ ت: جورج سعد، ط1، دار عويدات الدولية، 1993.
- [61] الديالمي، عبد الصمد، سوسيولوجية الجنسانية العربية، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2009، ص13.
- [62] الديدي، عبد الفتاح: الخيال الحركي في الأدب النقدي، ط1، دار المعرفة، القاهرة، 1965.
- [63] ديورانت، ول: قصة الفلسفة، ت: فتح الله المشعشع، ط6، مكتبة المعارف، بيروت، 1988.
- [64] رادين، دين آي: الظواهر الروحية الخارقة، ت: سعد رستم، ط1، دار الجسور الثقافية، حلب، 2006.
- [65] رايك، ثيودور: سيكولوجيا العلاقات الجنسية، ت: نائر ديب، ط1، دار المدى للثقافة، دمشق، 2005.
- [66] \_\_\_\_\_: الدافع الجنسي، ت: نائر ديب، ط1، دار الحوار، اللاذقية، 1992.
- [67] رايلي، كافين: الغرب والعالم، ت: عبد الوهاب المسيري، دط، مطابع الرسالة، الكويت، 1985.
- [68] رضوان، شفيق: الطاقة الخفية والحاسة السادسة، د ط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2004.

- [69] زكريا، فؤاد: **التفكير العلمي**، د ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1978.
- [70] زهران، حامد عبد السلام: **علم النفس الاجتماعي**، ط4، عالم الكتب، القاهرة، 1977.
- [71] أبو زهرة، محمد: **مقارنات الأديان**، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991، ص64.
- [72] الزهي، فريد: **الجسد والصورة المقدسة في الإسلام**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999.
- [73] زوسكيند، باتريك: **عن الحب والموت**، ت: نبيل الحضار، ط1، دار مدى، دمشق، 2017.
- [74] زيتوني، لطيف: **معجم مصطلحات نقد الرواية**: ط1، دار النهار للنشر، بيروت، 2002.
- [75] زيماء. بيري: **النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع النص الأدبي**. ت: عابدة لطفي، ط1. دار الفكر للدراسات. القاهرة. 1991.
- [76] سارتر، جان بول: **الوجود والعدم**، ت: عبد الرحمن بدوي، ط1، منشورات دار الآداب، بيروت، 1966.
- [77] الساعاتي، سامية حسن: **الجريمة والمجتمع**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1982.
- [78] أبو سريع، أسامة سعد: **الصدائة من منظور علم النفس**، د.ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993.
- [79] سعيد: أدوارد: **تأملات حول المنفى**، ت: ثائر ديب، ط2، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، 2007.
- [80] سعيد: جلال الدين: **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، د ط، دار الجنوب للنشر، الرباط، 2004.
- [81] سلامة، أمين: **معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية**، ط2، مؤسسة العروبة للطباعة والنشر، القاهرة، 1988.
- [82] السواح، فراس: **الأسطورة والمعنى**، ط2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، 2001.

- [83] \_\_\_\_\_: **الرحمن والشيطان**، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 2000.
- [84] \_\_\_\_\_: **دين الإنسان**، ط4، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، 2002.
- [85] \_\_\_\_\_: **لغز عشتار**، ط8، دار علاء الدين، دمشق، 2002.
- [86] \_\_\_\_\_: **مغامرة العقل الأولى**، ط11، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، 1996.
- [87] شاهين، سمير الحاج: **لحظة الأبدية**، ط1، دار الفضيحة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1980.
- [88] شحرور، ليلى: **فن التواصل والإقناع**، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2009.
- [89] شكري، غالي، **أزمة الجنس في القصة العربية**، ط4، دار الشروق، القاهرة، 1991.
- [90] شلبي، أحمد: **الرهبانية المسيحية**، ط10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1993م.
- [91] \_\_\_\_\_: **مقارنة الأديان-أديان الهند الكبرى**، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1979.
- [92] شلبي، رؤوف: **الأديان القديمة في الشرق**، ط2، دار الشروق، بيروت، 1983.
- [93] شلحت، يوسف باسيل: **علم الاجتماع الديني**، ط1، منشورات مكتبة الأمانة، حلب، 1946.
- [94] شيا، محمد شفيق: **في الأدب الفلسفي**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2009.
- [95] صليبا، جميل: **المعجم الفلسفي**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1971.
- [96] \_\_\_\_\_: **المعجم الفلسفي**، ج2، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973.
- [97] الضوى، محمد توفيق: **دراسات في الميتافيزيقيا**، ط1، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 1999.
- [98] طه، فرج عبد القادر وآخرون: **معجم علم النفس والتحليل النفسي**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.
- [99] عاصي، ميشال: **الفن والأدب**، ط3، مؤسسة نوفل للطباعة، بيروت، 1980.

- [100] عامري، سامي: **مشكلة الشر ووجود الله**، ط2، تكوين للدراسات والأبحاث، الدمام، 2016.
- [101] عبد الجليل، عبد العزيز: **الموسيقا الأندلسية**، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1988.
- [102] عبد الخالق، أحمد، **قلق الموت**، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1987.
- [103] عبد الرحمن: سامية: **الميتافزيقيا بين الرفض والتأييد**، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1993.
- [104] عبد القادر، حامد: **دراسات في علم النفس الأدبي**، د.ط، المطبعة النونجية، القاهرة، 1949.
- [105] عبد الله، نجية إسحق: **سيكولوجية البغاء**، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.
- [106] عبد المعنم، توفيق، **سيكولوجية الاغتصاب**، د. ط، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1994.
- [107] عبد الوهاب، بكر: **مجتمع القاهرة السري**، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.
- [108] عبده، سميرة: **المرأة العربية بين التخلف والتحرر**، ط1، دار الأفق الجديدة، بيروت، 1980.
- [109] عتيق، عمر: **قضايا نقدية معاصرة**، ط1، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، 2015.
- [110] عجيبية، أحمد علي: **الرهبانية المسيحية**، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م.
- [111] عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب**، ط1، دار الفارابي، بيروت، 1994.
- [112] عدوان، ممدوح: **حيونة الإنسان**، ط6، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق، 2016، ص216.
- [113] العقاد، عباس محمود: **عقائد المفكرين**، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.
- [114] علوش، سعيد: **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985.
- [115] علي، سعيد إسماعيل: **التربية في الحضارة اليونانية**، د.ط، عالم الكتب، القاهرة، 1995.

- [116] عمر: أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصر، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008.
- [117] عويضة، كامل محمد، علم نفس الشخصية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
- [118] غانم، محمد حسن: فن قراءة لغة الجسد، مكتبة الأنجلو الحديثة، القاهرة، 2008.
- [119] غدنز، أنتوني: علم الاجتماع، ت: فايز الصباغ، ط4، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005.
- [120] الغدامي، عبد الله، ثقافة الوهم، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998.
- [121] غريفوريوس، الأنبا: الرهبنة القبطية وأشهر رجالها، ط1، مكتبة المنتج غريفوريوس، مصر، 2003م.
- [122] غزال، مصطفى فوزي: فضائح الكنائس، ط1، دار القبلة للثقافة، جدة، 1991م.
- [123] فاخوري، كفاح: آلات الموسيقى العربية، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1998.
- [124] فانوس، القمص باسيلي: مريم العذراء المنزهة عن الخطيئة الأصلية، ط1، بطريركية الأقباط الكاثوليك، القاهرة، 1991.
- [125] فائق، أحمد: الأمراض النفسية الاجتماعية، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2001.
- [126] \_\_\_\_\_: التحليل النفسي بين العلم والفلسفة، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1967.
- [127] فرح، محمد سعيد، مصطفى خلف، علم اجتماع الأدب، ط1. دار المسيرة للنشر والتوزيع. عمان. 2009.
- [128] فروم، إريش: فن الوجود، ت: إيناس نبيل، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 2011.

- [129] فرويد، سيجموند: أفكار لأزمة الحرب والموت، ت: سمير كرم، ط2، دار الطليعة للنشر، بيروت، 1981.
- [130] ———: التحليل النفسي، ن: جورج طرابيشي، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1982.
- [131] ———: الحلم وتأويله، ط4، ت: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1982.
- [132] ———: تفسير الأحلام، د.ط، ت: نظمي قوقا، دار الهلال، القاهرة، 1962.
- [133] ———: علم النفس والنظريات الحديثة، د.ط، ت: فارس ظاهر، دار القلم، بيروت، 1976.
- [134] ———: محاضرات في التحليل النفسي، ت: أحمد عزت، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978.
- [135] فهمي، مصطفى: علم النفس الاجتماعي، ط3، مكتبة الخانقجي، القاهرة، 1979.
- [136] فوستر، أم: أركان القصة، ت: كمال عياد، د ط، دار الكرنك، القاهرة، 1960.
- [137] فيشر، إرنست: ضرورة الفن، ت: أسعد حلیم، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.
- [138] قطب، محمد: مذاهب فكرية معاصرة، ط7، دار الشروق، القاهرة، 1993.
- [139] كازانتزاكي، نيكوس: تقرير إلى غريكو، ت: ممدوح عدوان، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002.
- [140] ———: زوربا، ت: جورج طرابيشي، ط11، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، 2013.

[141] كازانتزاكيس، نيكوس: الحرية أو الموت، ط1، ت: رحاب عكاوي، دار الحرف العربي، بيروت، 2007م.

[142] كاس. أف. آي: في الطب النفسي وعلم النفس الاكلينيكي، ت: سامر جميل، ط1، دار الكتاب الجامعي، غزة، 2009.

[143] كامو، ألبير: أسطورة سيزيف، ت: أنيس زكي، د.ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983.

[144] كانط، إمانويل: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ت: محمد الشنيطي، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1970.

[145] كرم، يوسف: المعجم الفلسفي، د ط، مكتبة يوليو، القاهرة، 1996.

[146] كمال، طارق: أساسيات في علم الاجتماع الديني، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2018.

[147] كمال، علي، الجنس والنفس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994.

[148] كولر، جون، الفلسفات الآسيوية، ت: نصير فليح، ط6، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012.

[149] كونديرا، ميلان: فن الرواية، ت، خالد بالقاسم، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2017.

[150] لوبروتون، دافيد: انتروبولوجيا الجسد والحدائث، ت: محمد عرب، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1997.

[151] \_\_\_\_\_: سوسيولوجيا الجسد، ت: عياد أبلال، ط1، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014.

[152] لودج، ديفيد، **الفن الروائي**، ت: ماهر البطوطي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.

[153] لوكاتش. جورج: **معنى الواقعية المعاصرة**، ت أمين العيوطي، د ط، دار المعارف، مصر، 1971.

[154] ماتز، جيسي: **تطور الرواية الحديثة**، ت: لطيفة الدليمي، ط1، دار المدى، بغداد، 2016.

[155] مارتن، برونوتن: **معجم مصطلحات السيموطيقا**، ت: عابد خزندار، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008.

[156] مارزانو، ميشيلا: **فلسفة الجسد**، ت: نبيل أبو صعب، د ط، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2011.

[157] ماركيه، جان -فرانسوا: **مرايا الهوية، الأدب المسكون بالفلسفة**، ت: كميل داغر، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005.

[158] ماشيري، بيار: **بم يفكر الأدب؟** ت: جوزيف شريم، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009.

[159] محمد، هالة مجحوب: **جماليات فن الموسيقى عبر العصور**، ط1، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007.

[160] المختاري، زين الدين: **المدخل إلى نظرية النقد النفسي**، د. ط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.

[161] مردوخ، آيريس: **نزهة فلسفية في غابة الأدب**، ت: لطيفة الدليمي، ط1، دار مدى، بغداد، 2018.

[162] مرسى، علاء زكي: جرائم الإعتداء على العرض، ط1، المركز القومي للإصدارات القانونية، عابدين، 2013.

[163] ابن مسكويه، أحمد بن محمد: كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط1، المطبعة الحسنية، القاهرة، 1911.

[164] معدي: الحسيني، موسوعة الحرب العالمية الأولى والثانية، ط1، دار الحرم للتراث، القاهرة، 2011.

[165] مل، جون ستوروات: استعباد النساء، ت: إمام عبد الفتاح، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998.

[166] الموسى، أنور عبد الحميد: علم الاجتماع الأدبي، د ط، دار النهضة العربية، القاهرة، 2010.

[167] ميتاس، ميشيل حنا: الصداقة قيمة أخلاقية مركزية، د ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2017.

[168] الناصري، سيد أحمد، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976.

[169] نافارو، جو: ما يقوله كل جسد، ت: مكتبة جرير، ط2، الرياض، 2010.

[170] نومسوك، عبد الله مصطفى: البوذية تاريخها وعقائدها، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1999.

[171] نويل، جان بلامان: التحليل النفسي والأدب، ط2، ت: عبد الوهاب ترو، منشورات عويدات، بيروت، 1999م.

[172] نينشه، فريدريك: هكذا تكلم زرادشت، ت: فليكس فارس، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.

- [173] هلال، عبد الناصر، **تراجميذا الموت**، ط1، مركز الحضارة الغربية، القاهرة، 2005.
- [174] هويدي، يحيى: **الفلسفة الحديثة والمعاصرة**، د ط، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981.
- [175] \_\_\_\_\_: **مقدمة في الفلسفة العامة**، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965.
- [176] هيجل، ج. ف<sup>ا</sup>، ف: **محاضرات في فلسفة التاريخ**، ج2، ت: إمام عبد الفتاح، ط3، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2007.
- [177] وهبة، مراد: **المعجم الفلسفي**، ط5، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2011.
- [178] ويلسن، غلين: **قراءة إشارات الغير والتواصل بحرفية**، ت: ديوان آرابيا، ط1، قنديل للطباعة والنشر، 2019.
- [179] ويلسون، كولن: **أصول الدافع الجنسي**، ت: يوسف شرورو، ط3، منشورات دار الأدب، بيروت، 1986.
- [180] ويليك، رينيه: **نظرية الأدب**، ت: محي الدين صبحي، ط3، المجلس الأعلى للفنون والأدب، القاهرة، 1962.
- [181] الياذ، مرسيا: **مظاهر الأسطورة**، ت: نهاد خياطة، ط1، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، 1991.
- [182] ياسبرز، كارل: **مدخل إلى الفلسفة**، ت: جورج صدقني، د.ط، مكتبة أطلس، دمشق، --
- .19
- [183] يتاي، جورج: **الأدب والشر**، ت: حسين عجة، ط1، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، 2018.

[184] يحيى: جلال: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، د ط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

[185] يورتنوي، جوليوس: الفليسوف وفن الموسيقى، ت: فؤاد زكريا، ط1، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2004.

[186] يونس، عبد الحميد: معجم الفولكلور، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982.  
[187] يونغ، كارل: علم النفس التحليلي، ط2، ت: نهاد خياط، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1997.

[188] \_\_\_\_\_: الإنسان ورموزه، ط1، ت: عبد الكريم ناصيف، دار التكوين للتأليف والنشر، دمشق، 2012.

[189] اليرنز، غيره: نشأة النظام الأبوي، ت: أسامة إسبير، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2013.

[190] نصر الله، إبراهيم: 2021، لماذا لم أحب "زوربا" هذه المرة؟، تم استرجاع المقال بتاريخ  
<https://2u.pw/PWrw6> .17/12/2021

[191] ووكالة معاً: 2021. وفاة الموسيقار اليوناني ميكيس ثيودوراكيس استرجع بتاريخ  
<https://2u.pw/7J6VU> .17/12/2021

[192] صلاح: ناهد، 2020، زوربا.. تلك الموسيقى وهذا الرقص!! استرجع بتاريخ  
<https://2u.pw/FBLQR> .17/12/2021م

[193] <https://ar.wikipedia.org/wiki>

المراجع الأجنبية:

- [1] Erato Basea (2015). Zorba the Greek, Sixties exotica and a new cinema in Hollywood and Greece, Studies in European Cinema, DOI:10.1080/17411548.2015.1015830
- [2] Manaan Alexander.2013. Performative Gender in Zorba the Greek,Gender Studies,Greek Literature



**An-Najah National University**  
**Faculty of Graduate Studies**

**DIMENSIONS OF CONTENT IN THE NOVEL**  
**ZORBA BY NIKOS KAZANTZAKIS**

**By**  
**Safa Tayseer Abu Al-Ula**

**Supervisor**  
**Dr. Adwan Nimr Adwan**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree  
of Master of Arabic Language and Literature, Faculty of Graduate Studies, An-  
Najah National University, Nablus, Palestine**  
**2022**

# **DIMENSIONS OF CONTENT IN THE NOVEL ZORBA BY NIKOS KAZANTZAKIS**

**By**  
**Safaa Taysir Abu Al-Ula**  
**Supervised by**  
**Dr. Adwan Nimr Adwan**

## **Abstract**

In this study, the researcher dealt with the translated version of the international novel "Zorba" written by Nikos Kazantzakis. The researcher undertook an objective study to examine the topics of the novel including its social, psychological, and philosophical dimensions.

The study consisted of an introduction, three chapters and a conclusion. In the introduction, the researcher presented the significance of the conducted study and its objectives and provided an overview of its content explaining the approach and previous studies.

As for the first chapter, the researcher discussed in it the social dimension, and it consists of three topics; first the society of Crete and its nature, then the status of women in Greece in general, the life of Cretan women in particular, and finally the clergy and their place in society.

In the second chapter, the researcher examined the human self and its impact on the idea or belief, freedom and Buddhism, and its effect on the human psyche in all issues of his life. This chapter viewed many issues, such as food, women, dreams, death and sex.

Finally, in the third chapter, in which the researcher relied on philosophy and thought in explaining the view of the writer on multiple issues such as religion, homeland, body language and metaphysics

**Keyword:** Nikos Kazantzakis, Zorba movie, Anthony Quinn, Zorba dance, academy awards.